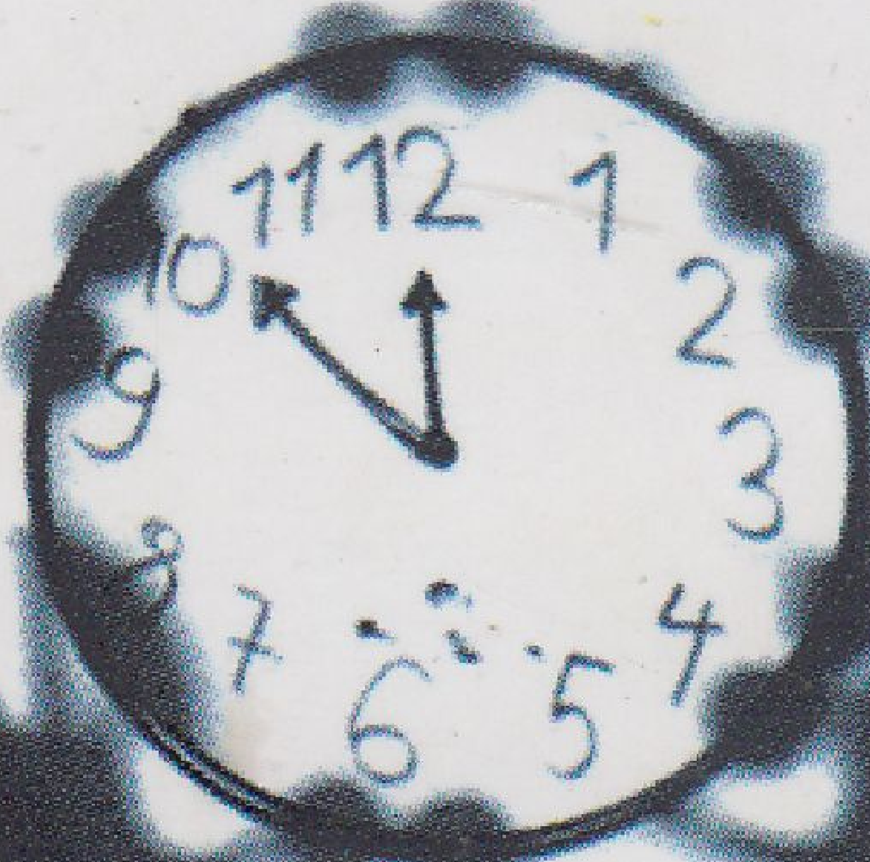
الساعات الأخيرة





د. أحمد مراد
عماد أحمد حجاب
يمنى حسن حافظ

الساعات الأخيرة

الساعات الأخيرة
رواية
أحمد مراد، عماد حجاب، يمنى حافظ

الطبعة الأولى : مايو ٢٠١٠

دار مير للنشر والتوزيع والترجمة
الإسكندرية، مصر
E-mail: info.merpublishing@gmail.com
Telephone: 002. 0100 34 70 36

المدير العام : محمد مرسي
تصميم الغلاف : كريم آدم

الإيداع القانوني : ٩٦٣٩ / ٢٠١٠
I.S.B.N : 977-17-8873-6

الساعات الأخيرة

(رواية)

أحمد مراد
عماد أحمد حجاب
يمنى حسن حافظ

النهاية

بقلم : عماد عجاب

من أجمل ساعات اليوم هي الساعات الأولى التي تشهد غبش الصبح الأول الندي البهي، ساعة البركة، حيث تسمع صياح الديكة تؤذن لإيقاظ النيام، وتسمع صوت العصافير تستأذن الصباح في الخروج خماصًا لتعود كما وعدها ربها آخر اليوم بطانًا، وحيث ترى الأطفال الذين هم أجمل من الزهور وهم يسيرون إلى مدارسهم في مستهل عمرهم وكأنهم السعادة نفسها، ولكن للأسف الشديد هناك من يعتبر هذه الساعات الجميلة أنها من أتعس ساعات يومه على الإطلاق، وكان من هذا الصنف الأسطى «عبده».

من يرى «عبده» في الصباح يرى عليه علامات غضب الله، وجهه مكفهر والتكشيرة بادية عليه، ولايطيق مجرد أن يلقي عليه السلام أحد، حتى أن زوجته تتحاشى أن تظهر أمامه في تلك الساعة، يجلس أمام عجلة القيادة في الميكروباص وبيده كوب الشاي "التقيل" وبين أصابعه سيجارة "الإصطباحة" التي هي على الريق كما تقول زوجته، دقيقتان ووصل صبيه التباع «سيد» الذي ينادونه «سوستة» على سبيل التدليل، فاستقبله ككل يوم بقسط وافر من الترحيب، ولكن طريقة الترحيب هنا تختلف بعض الشئ عن

طرق ترحيب الناس العاديين ببعضهم البعض، كانت طريقة عبده في الترحيب بسوسته – كل يوم – عبارة عن وصلة من السباب والشتائم المتواصلة التي غالبًا ما تطول الأب والأم والدين والملة والصباح والسيارة وكل ما يرد له على بال، ويستمر على ذلك حتى يصل إلى موقف السيارات الأجرة الذي يعملون به.

كان «عبده» قد عمل فترة في الخليج، ولم يعد من هناك إلا بثمن هذا الميكروباص الذي يعمل عليه الآن والذي يطعم منه زوجته وولديه وينفق على مزاجه الواطي، كان في الخامسة والثلاثين من عمره، طويل جسيم، قوي البنية، على وجهه ندوب معارك كثيرة خاضها بسبب سوء خلقه وقلة مزاجه، وكان غير راض عن أي شيء ولا يعجبه أي شيء، وكان ساخطًا حتى على ربه، دائمًا ما تسمع منه هذه العبارة : *"ليه بس كده يا رب ؟!"*

في ذلك اليوم وصل إلى الموقف مبكرًا، فنزل كعادته إلى المقهى (ليشرب حجرًا) و يعمل (الإصطباحة) على حد قوله مع صديقه الوحيد «يدوي» في حين ينادي «سوستة» على السيارة حتى تمتلئ بالركاب.

«سوستة» هذا أو «سيد» كان شابًا في السابعة عشر من عمره، يتيم، له أم مسكينة تبيع الخضار على ناصية الشارع الذي يعيشون فيه، وقد اضطر أن يترك الدراسة ليعمل حتى يساعد أمه وينفق على أختيه الصغيرتين، لذا فقد كان يتحمل سخافات وقلة أدب الأسطى «عبده» حتى لا يطرده.

....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااااا
كان هذا هو نداء «سيد» الذى يمسك بشطيرة الفول – هى إفطاره اليومى – وبدأ أول الركاب فى الصعود إلى الميكروباص .. «أيمن» شاب جامعى، وسيم.

.....

أخذ «عبده» نفسًا من الشيشة، وناولها لصديقه «بدوى» الذى أخذها من فم «عبده» ووضعها فى فمه.
عبده : وبعدين .. حنعمل إيه ؟!
بدوى : أنا عارف .. أنا اللى بسألك ؟!
عبده : خلاص، بسيطة .. إحنا نرفع الأجرة بدل ما تبقى جنيه وربع تبقى جنيه ونصف.
بدوى : يا سلام !!
عبده : أومال إحنا اللى حنلبس الكارتة الجديدة .. نحملها على قفا الزباين.
يناوله «بدوى» الشيشة فيضعها فى فمه.
بدوى : لا يا عم، لازم نقعد كلنا و نتفق عشان نبقى كلنا يد واحدة.
عبده : يا جدع اسمع اللى بقولك عليه .. أنا حاطلع دلوقتى الفردة دى وحاخد من الزباين جنيه ونص.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااااا
ويصعد ثانى الركاب إلى الميكروباص .. «إبراهيم» ذلك الرجل الكبير، الذى خرج على المعاش منذ خمس سنين

......

بدوى : تاهت ولقيناها.
عبده : قول يا عم الفهيم.
بدوى : إحنا نقعد واحد رابع فى الكرسى الأخير.
عبده : أيوه .. عشان ييجى أمين شرطة رخم يترسم علينا .. وبعدين ده حمل على العربية.
بدوى : يا عم خلى قلبك جامد.
عبده : يا جدع دى راس مالى كله لما بتعطل بجوع أنا والعيال.
بدوى : ما انت اللى إيدك مخرومة.
عبده : أبداً والله .. ده اللى جاى على قد اللى رايح.
بدوى : آه اللى جى على قد اللى رايح على المزاج.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااااا

ويصعد ثالث الركاب إلى الميكروباص .. «أمين» قصير، يرتدى جلباب وطاقية، يبدو من مظهره أنه فلاح.

.....

عبده : يا عم مزاج إيه ؟ هو بقى فيه مزاج دلوقتى ؟
بدوى : أومال صارف كل فلوسك على إيه ؟
عبده : أصلك مشوفتش أيام العز.. أيام الحشيش .. الله يرحم دى أيام.
بدوى : أومال دلوقتى أيام إيه.
عبده : أيام الزفت اللى بيخرب الدماغ .. البانجو .. منها لله الحكومة.
بدوى : (يضحك) إشمعنا .. عشان مبتوزعش حشيش على بطاقة التموين ؟!

عبده : لأ بس تخف إيديها شوية عشان السعر ميضربش كده.
بدوى : خلاص .. حابقى أكلمهم لك.
.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!!
ويصعد رابع الركاب إلى الميكروباص .. «محسن» شاب متأنق، يرتدى بذلة كاملة فى ذلك الحر، ويمسك بحقيبة سوداء.
.....

بدوى : الواد إبنك الكبير عنده قد إيه دلوقت ؟
عبده : عنده ست سنين.
بدوى : مش حتقدم له فى المدرسة ؟
عبده : يا عم مدرسة مين .. أنا شوية كده وحجيبه يشتغل معايا ع العربية.
بدوى : يا جدع .. حد يقول الكلام ده برضو .. إنت عايزه يطلع زيك.
عبده : وأنا إيه يعيبنى .. ما أنا زى الفل أهه.
بدوى : قول زى الزفت .. زى الطين.
عبده : ليه كده .. متخليك حلو أومال.
بدوى : خليك إنت حلو ودخل ابنك المدرسة .. خليه يطلع محترم.
عبده : ليه كده بس ؟ يعنى أنا مش محترم ولا إيه.
بدوى : ولا تعرف عن الاحترام حاجة.
عبده : والله انت اللى قفل .. وآخرة التعليم إيه ؟! يبقى موظف؟! .. هياخد كام ؟

بدوى : ياخد اللى ياخده .. على الأقل لما يتقدم لواحدة يتجوزها يبقى ملو هدومه.
عبده : مش بيملى الهدوم غير الفلوس يا برنس.
بدوى : الفلوس بس ؟
عبده : أومال إيه .. إنت عارف الواد سوستة يوميته كام معايا .. ٢٥ جنيه .. مين موظف بيتحصل عليهم.
بدوى : بس بيطفح بيهم الدم معاك طول النهار وبيشبع منك شتايم وقلة قيمة.
عبده : نافوخك بقى .. متصدعناش ع الصبح.
.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!!!
ويصعد خامس الركاب إلى الميكروباص .. «جمال» تاجر، سمين، أصلع.
.....

يتلفت «عبده» ذات اليمين وذات الشمال وكأنه يبحث عن أحد.
بدوى : بتدور على مين ؟
عبده : مفيش.
بدوى : انا عارف بتدور على مين .. على الواد خنكش المعفن.
عبده : إسم الله عليك .. طول عمرك نبيه.
بدوى : يا جدع حرام عليك صحتك .. وفلوسك دى مش أولى بيها بيتك وعيالك.
عبده : يا عم حد اشتكالك .. أنا مش مخلى بيتى ناقصه حاجة .. وبعدين هو أنا حاشتغل زى الحمار فى الساقية .. ماليش مزاج ونفس أنا كمان .. ولا كل حاجة البيت والعيال.

بدوى : مفيش فايدة فيك.
عبده : أيوه ريحنا من مواعظك دى وحياة ابوك .. ده الحاجات دى هى اللى مخلية الواحد عايش ومستحمل القرف اللى احنا فيه.
بدوى : يا جدع احمد ربنا .. عندك عربيتك وشقتك ومتجوز ومخلف وشغال حُر نفسك محدش بيتحكم فيك .. عايز إيه تانى .. بطل افترا.
عبده : بطل انت بس رغي النسوان ده.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااااا
ويصعد سادس الركاب إلى الميكروباص .. «نادية» فتاة تضع على وجهها الكثير من مساحيق التجميل وترتدى ملابس ضيقة وملفتة جدًا.

.....

يصل «حنكش» ويرى عبده فيذهب إلى المنضدة الجالس عليها ويجلس، فيرحب به «عبده» ويتمعر وجه «بدوى»
عبده : إيه يا حنكش .. فينك بقالك كام يوم.
حنكش : أبدًا .. كنت فى مصلحة كده.
بدوى : الله يخرب بيت مصالحك دى .. متحل عنا يا بنى انت.
حنكش : (يبتسم بسماجة) ليه كده بس ؟ بكرة تحتاجنى يا عم بدوى.
بدوى : ربنا يكفينا شرك انت واللى زيك.
حنكش : (يتصنع الغضب) طب يا عم سلامو عليكو.
ينهض فينهض وراءه «عبده» الذى ينظر معاتبًا «بدوى»

عبده : استنى بس يا حنكش .. حاقولك.
يجلس «حنكش» على منضدة أخرى فيجلس معه «عبده»
حنكش : مش شايف صاحبك بيكلمنى إزاى ؟
عبده : سيبك منه .. جبت الأمانة.
حنكش : أمانة إيه بس ؟ دا أنا كنت محبوس اليومين اللى فاتوا دول.
عبده : (بضيق) الله .. وبعدين ؟ أنا لسة حاستنى تانى.
حنكش : اتقل بس .. معايا حاجة أحسن منها.
عبده : (بلهفة) بجد .. معاك إيه ؟
يمسك بيده من تحت المنضدة ويضع فيها شريط حبوب مخدرة.
عبده : (منزعجًا) إيه ده ؟ برشام ؟ لأ يا عم مليش فى السكة دى
وحاول إرجاعه إليه مرة أخرى، ولكنه سحب يده.
حنكش : إفهم يا جدع .. دا أحسن من اللى انت طالبه ميت مرة .. ده شغل البهوات.
عبده : يا عم لا بهوات ولا بوابين .. خلينا فى اللى نعرفه.
حنكش : يا جدع أنا عاوز أظبطك .. عاوز أنضفك.
عبده : بلا تنضفنى بلا تحمينى يا عم دول بيقولوا بيلحس الدماغ.
يضحك حنكش ضحكة شيطانية ساخرة :
حنكش : شوف الجهل .. يا جدع أنا عمرى جبت لك حاجة وحشة.
عبده : ....
حنكش : حقولك .. أنا حاطلع جدع معاك للآخر .. خده يا عم لو معجبكش متدنيش حقه.
عبده : يا عم مش حكاية فلوس.
حنكش : طيب .. اسمع الكازيون ده .. خد دى جربها.

ثم يضع فى فمه حبة فيشرب عليها «عبده» جرعة ماء.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسسااااا

ويصعد رجل وامرأة .. «مصطفى» و«كريمة» زوجان.

.....

ينتبه «عبده» إلى أنه قد ابتلع الحبة المخدرة وهو مقدم على قيادة سيارته.

عبده : الله يخرب بيتك يا حنكش .. دا أنا طالع ع العجل دلوقتى.

حنكش : يا جدع متخافش .. دى حتظبطك وتفوقك .. متخافش.

عبده : حتفوقنى !! يا عم أنا عاوز حاجة تسطلنى.

حنكش : دى للفوقان بالنهار .. فى حاجة تانية للسطل .. بس دى بتبقى بالليل.

عبده : يعنى حاعرف أسوق ؟

حنكش : حتسوق وحتنبسط وتروش .. ادعيلى بقى.

عبده : (يضحك) أدعيلك ؟ أقول إيه ؟ آه الله يخرب بيت أمك !

حنكش : ها ها ها ها.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسسااااا

ويصعد ثلاثة رجال وفتاة .. «محمود» تومرجى فى مستشفى التأمين بشبرا، «اسماعيل» رجل فى الأربعين له لحية وتبدو عليه سيماء الصلاح، «عادل» شاب هادئ تبدو عليه الطيبة، «منى» طالبة ثانوى ترتدى حجابًا.

.....

ينصرف «حنكش» ويعود «عبده» إلى «بدوى» الذى تبدو عليه علامات عدم الرضا.

بدوى : أنا مش قلتلك ميت مرة إبعد عن الواد بن الأبالسة ده.

عبده : يا عم كبر دماغك بقى.

بدوى : يا بنى السكة دى آخرتها وحشة.

عبده : (ساخرًا) حاضر يا عم الشيخ.

بدوى : انت بتتريق .. مش فاكر الواد مرغنى .. مش فاكر لما مات بجرعة زيادة.

عبده : (ينفخ فى ضيق) أففففف .. يا عم متفتكر لنا حاجة عدلة أومال.

بدوى : مبتشوفش مراته بتعمل إيه دلوقت .. ربنا يستر على ولايانا.

عبده : (ثائرًا) يا عم وفر كلامك ده بقى .. هو انت مبتزهقش ؟

ثم يلتفت إلى «سوستة» و يصرخ فيه.

عبده : متعلى صوتك شوية يا بن ...(سب دين)... لسة العربية مكملتش يا بن الـ...(سب بالأم)...

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!!!!

ويندفع نحو السيارة رجلان وإمرأة مسنة؛ «شوقى» محامى، «علاء» عاطل، «أمينة» إمرأة مسنة مريضة.

.....

ولم يعد هناك إلا مكانان فيركب «شوقى» بسرعة، ويدفع «علاء» «أمينة» بكتفه فتكاد تسقط على الأرض ويركب ولا يعيرها اهتمام.

أمينة : يا بنى حرام عليك كنت حتوقعنى.

لا يلتفت إليها ويهملها وكأنها لا تكلمه.

أمينة : يا ابنى أنا باغسل الكلى واتأخرت على دورى فى المستشفى.

ولا كأنها موجودة أصلا، يبدو الضيق على كل الركاب وتتعالى طقطقات الاستنكار.

علاء : أنا كمان مستعجل يا حاجة.

فيخاطبه الراكب «عادل» الشاب الطيب.

عادل : يا أخى حرام عليك بتقولك عيانة.

علاء : (بسماجة) متنزل انت وركبها .. ولا لازم تبقشش من جيبى أنا.

يقوم «عادل» بمنتهى الشهامة من مكانه وينزل للمرأة لتركب هى فتتمنع ويصر ثم أخيرًا تركب و تدعو له كثيرًا، ويذهب «سيد» إلى «عبده» ليخبره أن السيارة اكتملت فيودع «بدوى» ويذهب ليجلس إلى عجلة القيادة.

عبده : الأجرة جنيه ونص يا حضرات من قبل ما نتحرك.

تتعالى همهمات اعتراض من الركاب.

عبده : اللى مش عاجبه ينزل .. إحنا لسة فى الموقف.

محمود : ليه يا اسطى ؟ إحنا كل يوم بنركب بجنيه وربع.

عبده : يا بيه البنزين غلى والكارتة غليت.

محمود : بنزين إيه اللى غلى يا اسطى هو إحنا مش عايشن فى البلد ولا إيه ؟

عبده : (متبرما) بقولك إيه يا أستاذ .. مش عاوز صداع اللى مش عاجبه ينزل ياخد عربية تانية.

وكالعادة وبالسلبية التى يُعرف بها المصريون لم ينزل أحد ولم يعترض أحد، وأخرج كل منهم المبلغ الجديد باستسلام وسهولة ودفعه وهو كاره، وابتسم «عبده» فى ثقة فقد كان يعلم أن هذا هو الذي سيحدث، وابتسم أكثر حين تذكر هذه النكتة التى بعد أن تضحك عليها ملء شدقيك ثم تفيق ستجد فى نفسك رغبة فى البكاء وأن تسح دموع القهر.

.....

ذات مرة رأى الحاكم أن الناس كلها خاضعة خانعة لا يعترض أحد ولا يتبرم أحد، مهما حدث لهم فإنهم مستسلمون منقادون، فنادى وزيره واظهر له ضيقه من خنوع الناس وأنه كان يرغب أن يكون شعبه أكثر إيجابية، يعنى على الأقل تخرج ولو مظاهرة واحدة تعترض على أى شيء، حتى لمجرد أن يعلم العالم أن البلد فيها ديموقراطية، فاقترح وزيره أن يقوموا بالضغط على الشعب حتى يخرج عن طوره و يبدأ فى الاعتراض، واقترح اسلوبًا للضغط يتمثل فى فرض الحكومة رسومًا على صعود أهم كوبرى فى البلد وأكثرها ارتيادًا، فما كان من الناس إلا أن خضعوا ودفعوا واستكانوا، فغضب الحاكم، فاقترح عليه الوزير أن يفرض رسومًا على الهبوط من الكوبرى أيضًا، فما كان من الناس إلا أن خضعوا ودفعوا واستكانوا أيضًا، فاستشاط الحاكم غضبًا وهدد الوزير بالعزل إن لم يحل هذه المشكلة (طبعًا يدرك هذا الحاكم أنه هو الذى قتل النخوة فى قلوب الناس) بات الوزير سهرانًا يفكر فى شيء فظيع يصنعه فى الناس حتى يخرجوا عن شعورهم ويبدأوا فى الاعتراض والمظاهرات، فأمر رجال الأمن أنه بالإضافة إلى تحصيل رسوم الصعود على الكوبرى وتحصيل رسوم الهبوط يقف أحد رجال الأمن فيصفع كل واحد على قفاه قبل الهبوط من

الكوبرى، وبالفعل بدأ تنفيذ هذا الأمر ووقف الناس طابورًا طويلا منتظرين أن يُصْفَعوا على قفاهم حتى يستطيعوا النزول من على الكوبرى ! و كان الوزير قد ذهب بنفسه يتابع الموقف فكاد يتميز من الغيظ لما رأى هذا الخضوع والخنوع من الناس، إلا أنه بعد وقت طويل سمع مواطنًا يرفع صوته فى اعتراض واضح.

المواطن : دى مش طريقة .. مينفعش كده .. ده أسلوب غير آدمى.

طبعًا شعر الوزير بالانشراح والسرور، أخيرًا فى واحد عنده كرامة، فأمر باستدعائه فأتوا به إليه فسأله فوجده صلبًا جادًا !!

المواطن : يا فندم ده ميرضيش حد أبداً .. إحنا بقالنا ساعتين واقفين .. وورانا أشغال اتأخرنا عليها:

الوزير : (سعيدًا) طيب وإيه المطلوب ؟!

المواطن : (بمنتهى الثورة) يعنى يا فندم الحكومة كانت لازم تعين أكثر من واحد يدينا على قفانا عشان نخلص بسرعة ومنتأخرش.

بعد أن تنتهى من الضحك، إقرأها مرة أخرى لتعرف المغزى من ورائها.

.....

بدأ «سيد» فى جمع الأجرة من الركاب الذين دفعوا فى إستسلام واستكانة ورضخوا لطغيان هذا السائق، وبدأت السيارة طريقها وخرجت إلى الطريق الدائرى، ووضع عبده شريط تسجيل فى المُسجل ورفع الصوت عاليًا جدًا بطريقة مستفزة حتى أن «اسماعيل» ذلك الرجل ذو اللحية كان يمسك فى مصحفه ويقرأ فيه فلم يستطع أن يكمل، وشكت «كريمة» لزوجها أن الصوت يكاد أن يصم أذنيها.

مصطفى : لو سمحت يا اسطى .. وطى الصوت شوية.

عبده : يا فتاح يا عليم ع الصبح ....

ولم يمد يده أو يخفض الصوت .. كان من «أمينة» - المرأة الكبيرة – إلا أن طلبت منه أيضًاخفض الصوت، ولكن لا حياة لمن تنادى.

اسماعيل : يا اسطى لو سمحت وطى الصوت أنا مش عارف أقرا قرآن.

عبده : (بوقاحة) بقولك إيه يا عم الشيخ .. أنا دماغي مش فايقه لكم .. التسجيل بايظ والصوت بتاعه كده .. مبعرفش أوطيه.

وسكت الناس مكرهين ولم يخفض صوت المُسجل، واتسعت ابتسامته في داخله فقد شعر شعور المنتصر مرة أخرى وقال يحدث نفسه :

عبده : شعب مبيجيش إلا بالضرب على دماغه.

وكان يسير في منتهى السرعة وتجاوز الحد المسموح له به، وكان مندمجًا في صنع (الغرز) كما يقولون وكأنه يخيط ثوبًا، وكل ذلك حتى ينتهى من هذه الرحلة بسرعة ليدرك رحلة أخرى، ظانا أنه بذلك سيحصل على مزيد من الرزق، ونسى أن في التأنى السلامة وأنه مسئول عن سلامة هؤلاء الناس الذين هم أمانة بين يديه، وأن رزقه مقسوم ولن يزيد أو ينقص ..

واستمرت الرحلة ..

.....

بعد قليل شعر عبده أن شيئًا ما ليس على ما يرام، سأل الراكب الذى بجواره إن كان قد حدثه أم لا فنفى وأخبره أنه لم يحدثه ثم شعر أن الدنيا تصطبغ بلون أخضر خفيف يزداد دكانة شيئًا فشيئًا فهز رأسه حتى يزيل هذا الشعور، و لكنه لم يزل، التفت إلى الراكب المجاور له، كان «أيمن» الطالب الجامعى :

عبده : بتقول إيه يا بيه ؟

أيمن : مفيش حاجة يا ريس .. أنا مكلمتكش.

فنظر إليه عبده نظرة غريبة، خاف منها «أيمن»
عبده : (بلسان ثقيل) هو كل مرة كده .. ماشى يا برنس .. بس المرة الجاية مش حفوتهالك !!
لم يفهم أيمن شيئًا والتفت إلى الراكب المجاور له فوجده أيضًا لا يفهم شيئًا .. أنتم تفهمون طبعًا أن مفعول الحبة المخدرة قد بدأ فى السريان، بدأ «عبده» فى الانفصال عن الواقع رويدًا رويدًا ، وبدأ صوت المُسجل المرتفع جدًا وكأنه يأتى من بعيد.
نظر إلى يديه فأحس أن كفيه الممسكتين بالمقود بعيدين جدًا، فنظر إلى «أيمن» وقال له :
عبده : هو أنا إيدى بعيدة قوى ليه كده ؟
أيمن : (بعدم فهم) نعم ؟!!
كان الصوت يصل إليه بطريقة صدى الصوت المتكرر والصورة أمامه تزداد عتامة، وكان عقله قد غلف بسحابة كثيفة من اللاوعى فلم يسمع «أيمن» وفجأة زاد سرعة السيارة بطريقة انتحارية حتى كاد عداد السرعة أن يصرخ من الاعتراض وشعر الركاب بأن فى الأمر شيء كانت السرعة قد جاوزت المائة وأربعين وما زالت تزداد، فقال له «أيمن» برعب :
أيمن : إيه يا اسطى .. فيه إيه ؟
مصطفى : براحة شوية يا اسطى.
كان «سيد» قد فهم الموقف، وعلم أن «عبده» خاضع لتأثير المخدر فهو رآه كثيرًا ويعلم كيف يكون حاله حينها، ولكنه لم يره فى هذه الصورة وهو فى أثناء القيادة، فشعر بالقلق الشديد :
سيد : متهدى شوية يا اسطى.
يلتفت «عبده» وينظر له نظرة خاوية شديدة البلادة، فيرى الركاب هذه النظرة فيتملكهم الفزع :
سيد : (بخوف) إركن يا اسطى .. إركن وأنا أسوق.

عبده : هو مين اللى يسوق يا ...(سب دين)...
أدرك الناس خطورة الموقف فالسائق يسير بسرعة مائة وخمسين كليومتر الآن وخاضع بالكامل لتأثير المخدر فترتفع أصواتهم وتبدأ النسوة فى الهيستيريا فيلتفت إليهم «عبده» مرة أخرى ويصرخ فيهم.
عبده : فيه إيه .. مالكوا .. والله أنزلكوا.
طبعًا كانت هذه أمنيتهم الآن.
شوقي : طيب نزلنا يا اسطى.
عبده : طيب أنا كبرت فى دماغي بقي ومحدش نازل .. واللي ليه شوق فى حاجة يوريني نفسه .. أنا محدش يضحك على أبدًا .. أنا قلت لبدوى الكلام ده ميت مرة .. هو اللى مبيسمعش الكلام.
كان لسانه ثقيلا جدًا ويقود وهو يلتفت إلى الخلف والركاب قد ألجمهم الرعب وشعروا جميعاً بدنوا النهاية .. وفجأة .. احتكت سيارتهم بسيارة أخرى ملاكى وضربت المرآه الجانبية لها فحطمتها ولكنه كان منطلقًا كالصاروخ، فعلا صوت الناس المذعورة وصرخت النساء ودبت الفوضى فى السيارة، كل هذا و«عبده» فى واد آخر فمد «سيد» الكتف وهزها.
سيد : إركن يا اسطى عبده .. يا اسطى عبده .. اركن.
ولا حياة لمن تنادى ماتت رجله على البنزين وماتت يده على المقود فأيقن الناس بالهلاك، وحانت من «أيمن» التفاته نحو عداد السرعة فوجد أن السيارة قد جاوزت المائة وستين كيلو.
وبالفعل حدثت المأساة ...

*
.....

بعد ساعتين كان الحال على الطريق الدائرى فى منتهى الفوضى، وكان رجال الأمن منتشرين بكثافة، وكان رجال الأسعاف يعملون

بطاقتهم القصوى، وبين كل هؤلاء وقف العميد «التونى» يحقق فى الحادث وكان قد استدعى أحد شهود العيان.

التوني : اسمك إيه ؟

الشاهد : اسمي شوقي سعادتك.

التوني : عاوزك تحيكلى على اللى شوفته يا شوقى.

شوقي : أنا كنت واقف مستنى الميكروباص فوق الرصيف، وفجأة لقيت الميكروباص ده جاى من بعيد زى الطلقة، راح خابط فى جنب عربية نص نقل وراح داخل يمين لحد ماخبط فى الرصيف اللى كنا واقفين عليه وطلع عليه، ولولا ستر ربنا كان موت حد فينا.

التوني : و بعدين ؟

شوقي : وبعدين راح خابط في السور بجنب العربية ونزل تانى على الشارع وراح مقلوب ثلاث أربع قلبات، كانت العربية النقل جاية بسرعة راحت دايسة على الميكروباص هرستة.

نظر العميد «التونى» إلى السيارة المهروسة فعليًا وإلى الجثث التى رصت على الرصيف وجاء إليه مساعده يعلمه بانتهاءهم من عملهم.

التوني : إيه الأخبار يا كريم.

كريم : خلاص يا فندم حننقلهم على المستشفى.

التوني : مفيش حد نجى ؟

كريم : للأسف لأ يا فندم.

التوني : لا حول ولا قوة إلا بالله .. ستاشر واحد فى حادثة واحدة.

كريم : قضاء ربنا يا فندم .. سيادتك تأمرنا بحاجة ؟

التوني : جمعتوا كل أوراق الضحايا ؟

كريم : أيوة يا فندم.

التونى : طيب .. خليهم يخلصوا وينقلوهم للمستشفى بسرعة.
كريم : أمرك يا فندم.

وينصرف «كريم» ليتابع عملية النقل والإخلاء، ويذهب العميد «التوني» إلى سيارته ويركب في المقعد الخلفي، و يأمر السائق بالرجوع إلى مكتبه ثم يشرد .. كان العميد «التونى» قد رأى حوادث كثيرة، ولكنه لم ير حادثة بهذا الحجم، ولأول مرة يهتز ويشعر بمشاعر مختلفة، شعر بالخوف؛ فقد كان قريبًا جدًا من هؤلاء الذين فارقتهم أرواحهم من ساعة أو ساعتين، كان على عكس المعروف عن رجال الأمن المميزين بالقسوة وغلظة القلب والبعد عن الله، كان يخشى الله ويحاول أن يتقه على قدر الإمكان، لا يحب الظلم ولا التكبر ولا التربح من وظيفته ومركزه .. شرد ذهنه فى هؤلاء الذين رآهم مكومين لا حول لهم ولا قوة وقد غطاهم المارة بصفحات الجرائد، رأى الشاب الوسيم الذى هو فى مقتبل العمر، ورأى الفتاة المحجبة ورأى المرأة العجوز ورأى الرجل الذى فارقته الحياة وهو ممسك بالمصحف ورأى المرأة المتزينة وقد لوث التراب وجهها الذى حرصت على تلطيخه بالمساحيق، ثم خطر له خاطر زلزل أركانه وجوانحه، وجال بخاطره سؤال كاد له قلبه أن يتوقف .. على أي شئ قد مات.هؤلاء، أين هم الآن ؟ ما حالهم مع ربهم حين واتاهم القضاء ؟ هل ما يرد عليه كل منهم الآن خيرٌ مما تركه أم هو شر ؟ إنتهى عملهم وليس أمامهم إلا الحساب. تذكر الحديث الشريف :

" يبعث كل عبد على ما مات عليه "

فكيف مات كل واحد منهم، ما آخر شئ صنعه، إلى أين كان كل واحد منهم يذهب، ما هي قصة كل واحد منهم .. والسؤال الأهم .. كيف كانت ساعاته الأخيرة، بالطبع كان علم ذلك خافيًا على العميد «التونى» الذى ما زال عقله حائرًا في محاولة لإجابة كل

هذه التساؤلات، ولكن لن يستطيع أن يصل لإجابه تـشفيه لأنـه لا يعلم عنهم شيئًا، لكنا سنعود بالزمن إلـى الأربـع وعـشرون سـاعة الأخيرة في حياة كل منهم، سنقترب منهم وسنعرف كيف كانت حياتهم وكيف انتهت.

.....

نادية

بقلم : أحمد مراد

الرجال في بلادنا لا تحركهم إلا غرائزهم .. يقولون بأن المرأة ناقصة عقل لأنها تُحكِم عواطفها ومشاعرها قبل عقلها .. فما بالكم بمن تحركه غرائزه قبل عقلة ؟!

لا تجعلي الرجل ييأس منك تماما فيهجرك، ولا تعطيه كل شيء فيزهدك، نحن في عالم مادي بحت لا يكفي فيه العلم والأخلاق كي تستطيع أن تنال قسطًا من الحياة المريحة .. لذا الغاية تبرر الوسيلة وما تكسب به .. العب به، تلك هي المبادئ التي تؤمن بها «نادية» وهي المحرك الرئيسي لها، بالرغم من أن حظها من الجمال متوسط إلا أنها بكثير من المساحيق والصبغات تستطيع ابعاد العيون عن مواضع القبح بها وبهذا يعدها الكثيرين جذابة، وتعتمد في ملابسها على أن تجذب كل الأنظار اليها بطريقة أن ما خفي كان أعظم، تعمل ضمن طاقم سكرتارية ضخم بإحدي شركات القطاع الخاص .. بالطبع لا داعي لأن نقول بان مؤهلها الأكبر للتعيين في هذه الوظيفة كان أسلوب ملبسها وزينتها، يعتمد عليها المدير كثيرًا عند طلب التوقيع سريعا بلا نقاش من العملاء، فبمجرد دخولها حاملة للأوراق وابتسامه متدللة للعميل يفقد الكثير من توازنه وتركيزه ويصبح جل همه في أن يلفت

انتباهها أو أن يفوز منها بدعابة أو ضحكة، على النقيض من زميلتها «هبة»، خريجة كلية التجارة القسم الانجليزي .. الماهرة في آداء عملها والمخلصة بقوة فيه، يعتمد عليها المدير في كل الأعمال الجدية التي تكون مرهونة بمستقبل الشركة، وهي التي يستقدمها للعملاء الأجانب أولا لأنهم جديون .. وقت العمل عندهم مقدس لا هزل فيه، ثانيا لأنها تجيد اللغة الانجليزية وتستطيع التعامل معهم ببراعة منقطعة النظير، وعلى النقيض من «نادية»، تتميز «هبة» بجمال رقيق وهادئ يزينها حجابها البسيط بايشارب ذو ألوان متناسقة مع بقية ملابسها يظهر زوقها الرفيع في اختيارها، «هبة» ذات الصوت الخفيض والتي لا تستطيع ان تنظر لعين محدثها أكثر من ثانيتين، وتحرص وقت صلاة الظهر على الذهاب الى قاعة الاجتماعات وتتأكد من غلقها لتصليه، وتصلي العصر بعد عودتها لبيتها، هي الأنثي الوحيدة التي تصلي الظهر بالشركة، وأربعة رجال يفترشون سجادتي صلاة بإحدى الطرقات ويؤدونها، وما دون ذلك .. تجد الجميع مكفهر الملامح جدي المظهر ودائما السير بالخطوة السريعة هو شعار كل من ينطلق بالشركة.

- والله ما هتتجوزي طول ما أنت مقفلة كده .. يا عبيطة إلحقي وقعي لك واحد قبل ما يفوتك القطر.

قالتها «نادية» لـ«هبة» أثناء حوارها معها وهما عائدتين سويا من العمل، قالت لها «هبة» :

- الزواج رزق يا نادية والرزق من ربنا يكتبه لمن يشاء.
ونعم بالله .. وهو أنا قلت غير كده .. بس اسعي يا عبد وانا اسعى معاك .. قولي لي ازاي واحد هيعجب بيكي وأنت مش بتديله وش ؟

- والله لو هيعجب بيا علشان هاديله وش واضحك له بمسخرة يبقي مش عايزاه أنا عايزة واحد يعجب بأدبي وأخلاقي لأن الأول مش هاكفيه وهيدور على غيري وغيري وغيري.
- أنت حرة خليكي زي ما أنتِ كده ولما تعنسي هتقولي ياما نادية قالت لي.

بالرغم من أن «هبة» مقتنعة تماما من كل حرف نطقته لـ«نادية»، إلا أن كلام الأخيرة كثيرًا ما كان يقع منها موقعًا، فهي ترى بأم عينيها الكثيرين يتهافتون على «نادية» والتي تستثمر ذلك بشتي الطرق لنيل كل ما تريده، حتى ان عميلا ذات مرة أعطاها خط هاتف جوال هدية به مزايا لا تتوافر إلا لرجال الأعمال وبالطبع كان هذا الخط داخل جهاز جوال حديث للغاية، أما هي فتشعر بأن الجميع يتجنبها ويخشاها ويقولون عنها أنها غفير الشركة كما قالت لها «نادية» ذات مرة، حتى أن «هبة» كثيرًا ما كانت تقف أمام المرآة للتأكد من تناسق ملامحها وجمالها، أما «نادية» فكانت تشعر بحقد دفين نحو «هبة» ليس كراهية فيها فـ«هبة» مؤدبة معها ولا تصارعها، ولكن لأن «هبة» تظهرها وتشعرها بأنها شيطان وفاسقة داعرة، «نادية» مقتنعة بأنها محترمة لأنها لا ترخي الحبل على آخرة .. فهي تعطي بحدود ولا تتجاوز حد معين مهما حدث، حدثتها «هبة» ذات مرة بأنها تغضب الرب لأجل رضا العبد عنها وانبهاره بها، ردت عليها نادية قائلة :

- يا بنتي هم يومين بس لغاية ما نوقع اللي عليه العين .. وبعد ما نضمنه في ايدينا نبقي نفوق لبيتنا ونتوب لربنا .. وربنا غفور رحيم .. مش كده ولا ايه ؟

ولكن هبة دائما ما تذبحها قائلة :

- طيب وانت ضامنة تعيشي لغاية ما تتوبي ؟

وداثما ما تعطل عنها «هبة» الكثير من العطايا والعمولات، يأتي العميل ويكن كل أوراقه متوقفه يبحث بناظرية وعندما يجد «نادية» هي التي يبدوا عليها الاستجابة يتوجه اليه طالبا فقط إمضاء المدير لصرف شحنته حتى يحملها الي مخازنه ومراكز توزيعه وإلا سيخسر الكثير .. فهل ترضي أن يخسر ما يقرب من عشرة آلاف جنيه بسبب التأخر في الصرف ليومين ؟ .. ويقول بأنه يقبل خسارة ألف أما عشرة فكثير في تلميح الى المبلغ الذي ينتوى دفعه لو أنهت له أوراقه بسرعة، وقبل أن ترد «نادية» اذا بـ«هبة» تتدخل قائلة: - أوراقك لا يمكن إنهائها إلا بعد التأكد من رصيدك بالبنك حتى لا يتكرر ما حدث بالشحنة السابقة حينما وجدنا الرصيد غير كاف وتأخرت في السداد لشهرين متتابعين. ينظر اليها الرجل شذرًا وتنظر اليها «نادية» بغل ولسان حالهما يقول :

- وأنتِ مالك هو إحنا هناخد من بيت أهلك.

اليوم فقط وجدت «نادية» ما تستطيع به إيقاع «هبة» هي تعلم بان «هبة» متابع جيد للمسلسلات والأفلام وكم من مرة قالت لها هبة بأنها تحلم بان تكون بطلة سينمائية محترمة تؤدي رسالة فنية هادفة فعلا بعيدًا عن الابتذال، اليوم توصلت «نادية» عن طريق أحد العملاء الكبار الى مخرج إعلانات وذهبت لتجربة الآداء، وكانت صدمتها حينما رفض المخرج وقال لها بأنها تصلح لأن تكون موديل في كليب إنما لا تصلح لإعلان .. لأن الإعلان يعتمد على تسويق البضاعة بجمال حقيقي، أما الكليب يعتمد على الإثارة أكثر. وبرقت الفكرة في رأسها، أخبرته بأن صديقتها جميلة حقًا فهل يقبل بأن يجري مقابلة لها ؟ وببساطة وافق الرجل، كانت «نادية» تشعر بخنجر حاد مزق أحشائها وبغصة في حلقها لقد رفضها الرجل .. وهي لم تعتد على الرفض من أي

رجل، ولكن عزائها أنها وجدت السبيل الذي تستطيع به أن تلين من عزيمة «هبة» وأن تجعلها تخلع قناع التدين والإحترام هذا.

ذهبت «نادية» الى العمل بكل نشاط وحماس، ولأول مرة كانت مبكرة، وبالطبع وجدت «هبة» وحدها هناك تعيد ترتيب ملفاتها، جذبتها من يدها وقالت لها :

- تعالي فرصة عمرك ولو ضاعت منك يبقي نقول يا رحمن يا رحيم عليكي.

ابتسمت «هبة» وقالت :

- ايه .. عريس من اياهم عايز يقابلني بعد الشغل برضه ؟
- لا يا شاطرة .. فرصة تمثيل حقيقي في الفضائيات.

اتسعت عينا «هبة» في دهشة ولم تكن مصدقة لما تسمع، فقد كان هذا حلم يراودها وفقط ولم تتوقع أبدا أن يكون حقيقة على أرض الواقع، فتركت ما بيدها وجلست وقالت لها باهتمام :

- بتتكلمي جد ؟
- وجد الجد كمان .. ها .. ناوية ولا هتعملي فيها ست الشيخة.

هزت «هبة» رأسها وقد شعرت بدوار خفيف .. وقالت لها :

- تمثيل ازاي يعني وفي ايه ؟
- هتبدأي زي الكل ما بدأ .. ممثلة اعلانات وبعد كده تتعرفي ويطلبوكي في الأفلام.

كانت «هبة» تشعر بأنها تمسك بخيط واه أو بشيء خيالي لم تلمسه من قبل فقالت :

- إعلان عن ايه يعني ؟
- لا يا حبيبتي من أولها هتحققي .. أنت الأول هتروحي للمخرج يشوفك وبعدين يقرر أنت تنفعي ولا لأ .. وبعد كده هتعرفي اعلانات ايه ؟

- بس أنا عمري ما هالبس عريان.
- والله براحتك .. أنست لو رحتي له كده يبقي وفري المواصلات وخليكي في بيتك .. على الأقل في أول مرة تروحي له كويسة تعجبيه .. ويتشد ليكي .. تعملي له شغل يعرف أنك أستاذة .. بعد كده تحطي شروطك .. إنما من أولها تتشرطي عليه تبقي مش لازماه وزيك زي ملايين غيرك .. الاول اعملي لنفسك قيمة.

صمتت «هبة» تفكر كثيرًا فيما قالته لها «نادية» ولأول مرة لم تستطع الرد عليها، نجحت «نادية» بقوة أن تنتزعها مما هي فيه فقالت :

- بس ماما عمرها ما هترضى.
- يا بنتي دي أمك مش بتسمع غير إذاعة القرآن الكريم وبتنام زي الفراخ من المغرب .. يعني عمرها ما هتشوفك.
- أنا كمان عمري ما هاخرج من بيتي من غير حجاب ولا عندي لبس ينفع أصلا.

تضحك «نادية» وقد وثقت بالنصر والفوز وقالت :

- لا دي بقة خليها عليا .. هتيجي لي شبرا ألبسك وأروقك وتروحي ساعة زمن تخلصي المقابلة وترجعي عليا تغيري وتروحي تاني.

كانت «هبة» تشعر بأنها تنسلخ من كل دنياها في لحظة واحدة، فهزت رأسها بعنف وقالت :

- لأ مش عايزة شكرًا .. مش هاعصي ربنا.
- يا بنتي انتِ مجنونة .. دي فرصة بتيجي مرة في العمر لو ضاعت عمرها ما هترجع تاني .. انتِ بس روحي المقابلة وريه حلاوتك وجمالك .. ولما يوافق قولي له

ممكن تخليني في اعلانات محجبة ؟ .. المهم يقتنع بيكي الأول.

كانت رأس «هبة» تموج بعنف، لحظة تقتنع بكلامها، وأخري ترفض بعنف وتشعر كأنما ستتعري في ميدان عام، ولم تكف «نادية» عن الوسوسة لهنا وتذليل كل الصعاب التي تواجهها، وأخيرًا قررت «هبة» أن تذهب فقط أول مرة ليراها وترى هي ما هي تلك الأجواء.

.....

منزل «نادية» قامت «هبة» بتغيير أكثر من عشرة ملابس و«نادية» تنهرها وترفع صوتها موبخة لها في كل مرة لرفضها، وأخيرًا استقرت على ثوب أسفل الركبة بقليل وليس ضيقا لحد الالتصاق، وتركت أمر المساحيق لنادية التي أخبرتها بأن هذا هو مجالها وميدان لعبها، وأخيرًا خرجتا سويا إلى المقابلة، كانت «هبة» تشعر كأنها تسير عارية تمامًا، كانت كل العيون تنهبها بقوة كانت تشعر بتأنيب ضمير لا مثيل له، وعلى النقيض من «نادية» كانت تتقزز من تلك العيون التي تتابعها .. وتتأذي منها، وهناك انبهر الرجل بها، وأخبرها بأن جمالها ورقتها هذه سيجعلانها نجمة كبيرة ولها مستقبل باهر، قالت له «هبة» :

- بس أنا عايزة ...

نهرتها «نادية» بقوة وشوشت عليها وقالت لها :

- كل اللي انت عايزاه أكيد الباشا مش هيتأخر عنك في حدود المعقولَ.

كانت تعلم بانها تريد القول في رغبتها القيام بأدوار محجبة، فأخذتها الى جانب وقالت لها :

- الرجل بيقول لك مستقبل وانتِ عايزة تقفليها من الأول اصبري لما تعملي أول اعلان ويعرف شغلك.

وصمتت «هبة» ...

وإذا بهاتف «نادية» الجوال يرتفع صوت رنينه .. وكان الخبر بأن أمها قد أغمي عليها وتم نقلها للمستشفى .. بثبات أعصاب قالت لـ«هبة» :

- كملي أنت وخليكي مع الرجل .. ولما ترجعي هتلاقيني .. مفيش مشكلة.

همت «هبة» بأن تنطلق معها ولكن «نادية» رفضت أن تضيع الفرصة فقد صحبتها بصعوبة شديدة لا تستطيع تكرارها .. والأمل أن تنغمس فقط في أول عمل لأنها لو عادت الآن قد تفلت منها للأبد، فظلت تقنعها بأن الأمر بسيط وأنه لا يجب عليها تضييع الفرصة، وأخبرتها «هبة» بأنها تخاف أن تكون بينهم وحدها، فقالت لها «نادية» :

- ليه العو هياكلك متخافيش مش هيلمسوكي دول بتوع شغل وبس.

وانطلقت «نادية» لتركب السيارة العائدة إلى المؤسسة شبرا.

.....

طلب العميد «التوني» الجوال الذي كان بحقيبة تلك الفتاة المصطبغة بكثير من ألوان مساحيق التجميل والتي كانت تستقل ميكروباص «عبده» المنكوب، وقال لكريم :

- الوحيدة اللي مفيش معاها أوراق .. على الله يكون شغال ونعرف نوصل لأهلها منه.

كان الجوال مغلقا .. فتحه وهو يبسمل داعيا الله أن يعمل .. ولحسن حظه أضاء وأخيرًا أخذ يقلب في الليستة حتى وجد

كلمة ماما، وطلب الرقم وهو يموج بانفعال عجيب، كيف يخبر أما أنها فقدت ابنتها هكذا في غمضة عين، وإن كان من البادي عليها أنها حتما ليست بارة بأمها مع كل هذا الكم من التبرج والزينة المبالغة فيها، رد عليه صوت هادئ وناعس قائلة :

- ألوو .. مين معايا ؟
- معاكي العميد التوني يا حاجة من قسم شرطة شبرا الخيمة.

لأول مرة في حياتها تجد المرأة ضابطا ذو رتبة عالية يحدثها فارتعدت رغما عنها وقالت :

- يا ساتر يا رب .. خير يا خويا فيه حاجة ؟

تنحنح العميد «التوني» وقال :

- إحنا بنتصل بيكي علشان خاطر بنتك يا حاجة.

صرخت السيدة في لوعة وقالت :

- بنتي مالها ؟ دي في حالها وعمرها ما عملت العيبة.

قال العميد «التوني» بعد تنهده :

- البقاء لله يا حاجة بنتك ماتت في حادثة عربية وياريت تيجي لنا للتعرف عليها واتخاذ الاجراءات الرسمية.

واخترقت صرخة السيدة أذني العميد «التوني» في لوعة شديدة وهي تهتف قائلة :

- بنتي .. هبة ...

ولم يسمع شيئا بعدها.

من اللقطات التي فاتتنا ..

قول «هبة» لـ«نادية» :

أنا عمري ما أقدر أقول لهم بياناتي الحقيقية ولا حد يعرفني ويشوفني في التليفزيون.

تضحك «نادية» وتقول :

- يا ستي ولا يهمك .. قولي لهم اسمك نادية على اسمي .. وصدقيني لو أمك شافتك في الاعلان عمرها ما هتعرفك مفيش حد بيركز إلا إذا أنت قلتي لهم قبلها.

وهناك قامت «هبة» باسمها الفني الجديد «نادية» بعمل أول بروفة، وأعجب الرجل بها وأخبرها بأنها موهوبة، وخرجت من هناك وحدها بعد انصراف «نادية» وهي تشعر بسعادة غامرة، طريق المجد والشهرة يتمهد تحت قدميها، ولم تر نظرة ذئب بينهم هناك، فكلهم يتعاملون معها بمنتهي الاحترام، ولم يطلب منها أي شخص أي عمل خارج، فقط وقفت وأمسكت بعبوة مسحوق غسيل بيديها وأخذت تهزهما ذات اليمين واليسار ضمن مجموعة أخري من الفتيات في مشهد سريع أمام الشمس التي تنهض مشرقة باكرا، استقلت الميكروباص ولم تشعر بتأخره في إكمال حمولته لأنها كانت تسرح في عالم من الخيال، تتخيل نفسها بعد ذلك يتسابق اليها المخرجون ليعرضون عليها الأعمال وهي تختار أفضلها، وتصبح مثل فلانة وفلانة من المشاهير، ولأول مرة تشعر «هبة» أن «نادية» على حق فعلا في كثير مما تقول، لا ضير في قليل من التنازل بحساب حتى تصل إلى تحقيق أحلامك، المهم ألا تفعل الكبائر، الله عز وجل لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، انطلقت السيارة وهبة في عالم آخر، ولم تفق من أحلامها إلا على صرخات النساء وأصوات الرجال العالية التي تصيح بالسائق. وفجأة تبخرت كل أحلامها دفعة واحدة .. لم تكن تتخيل أن كلماتها تتحقق معها بهذه السرعة :

-   وانت ضامنة تعيشي لغاية ما تتوبي ؟

شعرت «هبة» بالانسحاق وعلى عكس الجميع لم تنطق بحرف فقد شلت تمامًا .. حتى وقعت الواقعة.

.....

عمّ إبراهيم

بقلم : يمنى حافظ

وقف عم «إبراهيم» أمام باب الثلاجه المفتوح يقلب بين الأرفف باحثًا عن قطعة الجبن التي اختفت خلف وعاء بلاستيكي كبير أزاحه بيده وهو يبتسم وقال :

- مستخبيه مني ؟

ثم ضحك على دعابته التي يتسلى باطلاقها لنفسه وعاد إلى الشعلة الموضوع عليها رغيف الخبز الصغير قلبه ليحمر وجهه وبين هذا وذاك قطع الطماطم الى حلقات صغيرة وأضاف قطرات من اليمون والزيت ورشات من الملح الناعم. تناول إحدى الحلقات ولقمها في فمه متلذذا بطعمها الرائع، صب كوب اللبن من الوعاء الدافئ وأعد كوبًا من الشاى المضبوط ثم رص الأطباق ورغيف الخبز فوق صينية متواضعه قديمة وخرج متجهًا إلى الصالة التي تطل على الشرفة الصغيرة حيث جلست زوجته على الاريكه القديمة، وضع الصينيه وهو يقول :

- اتفضلي يا ستي .. أحلى عشاء من ايد كبير طباخين القصر.

ضحكت المراه بوهن وهي تقلب في كيس الأدويه الخاص بها وقالت:

- تسلم ايدك يا سيدي .. عامل خروف محمر ؟

ناولها كوب الماء وتناولت الاقراص، القرص تلو الآخر وجلسا يتناولان الطعام سويًا. شردت المرأه وقالت :

- عصام وحشني يا حاج .. وقلبي واجعني عليه.

قال وهو يحاول الهروب من عينيها الحزينتين :

- لقد كبر الولد .. والعمل الخاص لا يرحم .. وسع الله رزقه وحماه.

انفجرت دموعها تغرق وجهها، بكت، ومن بين دموعها قالت :

- لقد أوحشني .. أريد أن أطمئن عليه .. لم أراه منذ عشرة أيام ولم يتصل .. وهاتف منزله دائمًا لا يجيب .. فماذا يؤخره ؟

قال :

- لا تقلقي .. سيمر علينا اليوم .. أو غدًا وانتـ.....

قاطعته بصوت بكاءها :

- أخشى أن يكون مريضًا .. لا أعلم كيف طاوعته أن يترك البيت ويعيش بشقة بمفرده .. كيف ؟

نهض الرجل وقد ارتسمت امارات الحزن الشديد على قسماته وقال:

- طاوعته ؟!! لاحول ولا قوة إلا بالله .. أنسيتِ يا حاجه ؟

صمت، ثم عاد وقبّل رأس زوجته وهو يقول بصوت هامس :

- لا تبكي .. سأتصل به على المحمول غدًا صباحًا.

قالت بعتاب :

- ولما لا تكلمه الآن ؟!

قال بتعجب :الآن ؟! أتدركين كم الساعه ؟! أتزيدى أن تفزعيه وتقلقيه علينا .. أم انـ....

قاطعته، ووضعت يدها على صدرها وشهقت قائله :

- لا .. لا .. غدًا صباحًا .. معك حق.

ثم ابتسمت وجففت دموعها وأخرجت من بين طيات ملابسها بطاقة صغيرة مزخرفة طُبِعَ عليها إسم إبنها، وقالت :

- رقم المحمول مكتوب هنا .. إتصل به .. وإذهب لتطمئن عليه.

تناول البطاقه، وابتسم رغمًا عنه، وقال :

- غدًا .. قبل أن أذهب إلى مشواري سأتصل به .. أعمل إيه ؟ ماقدرش على زعلك ابدًا.

قالها وهو يشيح بوجهه حتى لا ترى لهفته التى مزقت جنباته، فلقد أوحشه إبنه هو الاخر، إشتاق إليه بحق.

.....

جلس المهندس «عصام» خلف مكتبه الفاخر يقلب فى الأوراق وقد وضع هاتفه المحمول على أذنه، ومال برأسه يسند الهاتف بكتفه قائلا بانشغال :

- طيب .. الحمد لله إنها بخير .. لا .. لا ماتتعبش نفسك يا بابا وتيجى أنا مشغول جدًا .. أصلى إترقيت .. طيب أنا هاجى لزيارتكم فى الويك إند الجاى.

وأنهى المكالمة هو يتمتم بكلمات غير مفهومة ثم حول الهاتف على الوضع الصامت. ما هى إلا لحظة وانشغل فى مكالمة عمل، تحذث بعصبية مع المتصل، وضع السماعة بغضب وتمتم بتأفف "إهمال وتسيب .. منتهى الفوضى" دخلت عليه «بسنت» بطلتها المفرحه، بوجه ترتسم عليه أرق ابتسامة قد صادفتها عيناه، حاملة بكل رقة ملف أزرق بين يديها أضفى زرقة أشد وأنقى على لون عينيها الأزرق الغامض، فاحت حولها رائحة العطر المميز الذى اعتادت أن تغرق مكتبه به كلما دخلت أو حتى مرت من أمامه، تهادت فى خطواتها، تمايلت وتمايل معها قلبه، لم يتمالك

نفسه أن أطال النظر وابتسم ابتسامة لا تظهر إلا لها، فبرغم مظهره القاسي، واسلوبه الجاف والحاد مع الجميع إلا أن «بسنت» الوحيدة التي يلين لها في الحديث والمعاملة، ولأنها فطنة، أدركت ذلك بفطرتها كأنثى فزادت دلالا على دلال، وزادها ذلك جمالا على جمال.

ضحكت قائله :

- سلامتك يا باش مهندس عصام .. أصبحت تحدث نفسك الآن ؟

قهقه ببلاهة وقد تحولت قسمات وجهه في لحظات من الغضب إلى السكينه والهدوء، قال بصوت عجز أن يخفي رجفة اللهفة فيه:

- لا .. أبدًا .. كانت مكالمه مستفزه من الجماعه فى الموقع .. عادى .. لا تهتمي.

صمت ثم قال بصوت عميق :

- كيف حالك يا بسنت ؟

«بسنت» .. يااه لكم يعجبه ذلك الاسم الراقى بشده، إنه إسم لنوع من الزهور، وهي بالفعل زهرة لا تقارن بأى من الفتيات أو زميلاته في العمل، هي بالذات ولأسباب كثيرة.

قالت وهى تشيح النظر بخجل :

- الحمد لله .. المهم أنت أخبارك إيه ؟

إعتدل في جلسته، ومد يده يتناول منها الملف وهو يأمل أن تتلامس الأيدى بالمصادفه، ناولته الملف وأشارت إلى أوراق تكدست بداخله وهي تقول برقه :

- شركة الفنيات العالمية لم تسدد الدفعة الخاصة بالإستلام .. وأستاذ حامد يبلغك بعدم البدء فى تنفيذ باقى المرحلة إلا بعد وصول الشيك والـ.......

قاطعها قائلا :

- إتركى الملف سأراجعه.

إبتلع لعابه بشده وسألها وقلبه يرجف من التوتر :

- بسنت .. أيعجبك العمل هنا ؟

- نعم بالطبع .. قالتها وهى تشير إليه بيدها فى عفويه.

قال هو بسرعه :

- بسنت .. أريد أن أتحدث معك قليلا.

قطبت جبينها، وقالت بجديه :

- بأى شأن ؟

هب واقفًا وقال بسرعة يخالطها تردد :

- أريد أن .. بسنت .. أخبرى السيد الوالد أننى أرسل إليه سلامى الحار.

ضحكت وقالت بدلال :

- حاضر.

قال بلهفة :

- لكم أتمنى أن أقابله وأتحدث معه .. تعرفين بأى شأن ؟

لمعت عيناها ببريق الإنتصار، فها هو اخيرًا سيقولها بعد أن ظل يراوغ بالكلمات، عام مر طويلا، يزداد إعجابها به وتشعر بحبه لها ولكنه لا يصرح بشئ على الإطلاق، فقط عيونهم تتحدث.

فقالت بخبث :

- لا .. لا أعرف.

قاطعها سريعًا :

- بل تعرفين .. وتشعرين .. كما أشعر بالضبط.

لم تتمالك نفسها من السعاده، إحمرت وجنتاها، وقالت بهمس تخالطه فرحه وخجل:

- عصام .. أرجوك .. أنت تصيبنى بالإحراج .. نعم أعرف..!!

فقال عصام على الفور :

- إذن لا مانع لديك أن آتى اليوم لمقابلته ؟

ابتسمت، وهزت رأسها موافقة وهى تقول :

- هذه أمنيتي .. تفضل .. تشرف وتنور الدنيا.

وهرعت تغادر الحجرة تاركة عصام في حالة من السعادة والهيام فها هي تجيبه بموافقتها .. ياه .. أخيرًا صدق حدسه، «بسنت» أيضًا تحبه !! إلا أن هذه الحالة لم تدم إلا لحظة واحدة حين تذكر ما يقف فى طريق تحقيق سعادته. إنه ذلك المنزل المتواضع الذى يقطن فيه والديه، تلك المنطقه الشعبية التى يصران على العيش بين أهلها الفقراء، القمامة التى تسد مدخل الشارع، والشوارع الجانبية الضيقة الرطبة والطبقة الفقيرة المعدمه التى تعيش بين جنباتها. لقد فاض به منذ زمن ضاق بالمكان هناك خرج من بيت والديه إلى الحى الراقى والشقة الواسعة الفاخرة وأصبح لديه السيارة والحساب البنكي. فما الذى يمنع والديه من الموافقة على الخروج من تلك المنطقه ؟ فها هو الآن سيتقدم لخطبة من أحبها ولابد أن يكون أهله على نفس مستوى أهلها. قرر أن يُحَدِثَ والديه وللمرة الأخيرة، يقولون إنهم ضحوا من أجله كثيرًا فما المانع أن يضحوا من أجله هذه المرة أيضًا ؟ لابد أن يجبرهما على الموافقة، سيخيرهما بين جياتهم فى هذه المنطقة وبينه، نعم فكيف يقبل والد «بسنت» الراقى أن يكون صهره من قاطنى تلك المنطقه العشوائية ؟ لن يسمح لوالده ذو العقلية العجيبة البسيطة بأن يهدم كل ما سعى للوصول إليه خلال ستة أعوام من الشقاء والكفاح، نعم لابد أن يوافقوا، لابد وحتمًا، هذا موضوع غير قابل للرفض.

.....

عم «إبراهيم» .. عم «إبراهيم» .. الباقي ..
انطلقت تلك الكلمات من فم «سامية» فتاة السنترال الذى يقدم خدمات المحمول وهي تهرول خلف الرجل العجوز المسن الذى رغم سنه انطلقت قدماة بهمة ونشاط يهرول مسرعًا وهو يحمل الشنطة البلاستيكية الثقيلة في يده، عسى إستطاع أن يلحق موعده.
توقف وهو يتعجب ويقول :
- باقي إيه يا بنت يا ساميه ؟
- باقي الجنيه ياعم إبراهيم .. المكالمة بنص جنيه بس ..!!
ضحك «إبراهيم» وقال بصوته الأجش :
- نص جنيه بحاله ؟ والله وإغتنيت يا هيما.
ضحكت «سامية» وهي تلوح له فقد كان أظرف رجل مسن في سكان هذه المنطقه بكاملها، وعادت هي داخل السنترال، في حين أكمل هو طريقه وهو يهز رأسه ويدس النقود في جيبه ويقول في همس :
- نص جنيه ؟ يااه والله زماان يا جنيه ..!!
وفي الشارع الضيق كان الشباب الذى قضى الليل ساهرًا حتى الصباح الباكر في النت كافيه العجيب بالمنطقه يقفون على الناصيه بجوار المحل، يتبادلون السباب والمزاح الفج دون أدنى إعتبار للمارة، يهرولون خلف بعضهم ويضربون بعض على سبيل التسلية، جرى أحدهم نحو عم «إبزاهيم» وهو يهرب من صديقه الذى يهرول خلفه ويسب والدته بلفظ قذر، اندفع بسرعة، حتى أنه كاد أن يُسقِطُ عم «إبراهيم» أرضا فكاد الرجل أن ينكفئ على وجه لولا السيارة التي تقف وتسد نصف الشارع والتي استند

عليها لكان الآن على الارض مكسورًا أو مشروخًا، فما عادت عظامه تتحمل السقطات. نادى عم «إبراهيم» على الشباب وقال :

- تعالى يابنى .. عايز أسالك عن حاجة ؟

فتقدم الشاب نحوه وهو ينظر لأصدقاءه وهم يشيرون إليه ويسخرون منه، فقال له عم «إبراهيم» :

- قولى يابنى .. هى والدتك فين ؟

تعجب الشاب من هذا السؤال فقال للرجل بسماجه

- فى البيت ياحاج .. خير ؟

فقال له :

- هل هى فعلا كما يقول عنها صديقك ؟

تلفت الشاب نحو صديقه الذى كان لا يزال يسب الشباب بكلمة تمس شرف الأم.

فقال الشاب :

- هو بيقول إيه ؟

فقال عم «إبراهيم» برصانه :

- بيقول إنها أعوذ بالله....... (وقال له اللفظ)

فقال الشاب بغضب وانفعال :

- عيب عليك ياراجل .. وهم أن يسبه.

فقال عم «إبراهيم» بحزم :

- بما أن أمك سيدهة فاضلة فما دخلها بمزاحكم .. لما ترضى أن يسبها أصدقائك وبهذا اللفظ القذر ؟ ألا تغير عليها ؟ عيب عليك يابنى .. أمك تتعب وتخلفك وتربيك وفى الآخر تجيبلها الشتيمه وهى قاعده فى حالها فى بيتها .. عيب.

تركه الشاب وعاد متحمسًا يقول لاصدقائه :

- اخرس يا....... أنت وهو .. والله اللي هايجيب سيرة أمي على لسانه هاقطعهوله.

ودبت بينهم مشاجرة كالمعتاد من سكان هذا الشارع من الشباب. في حين أكمل عم «إبراهيم» طريقه وهو يحدث نفسه ويقول "*جيل بايظ .. آدي اللي بنشوفه .. تربي وتتعب وآخرتها تتهان .. إيه يا عم «إبراهيم»؟ دة يمكن تترمي في الشارع كمان .. عيال قلوبها حجر*" قالها وهو يخرج للشارع الرئيسي المزدحم بالبشر والسيارات والأطفال ذاهبون لمدارسهم، فذكرة هواء الصباح بأيام العمل في الشركة الحكومية قبل خمس سنوات، الآن خرج عم «إبراهيم» على المعاش .. وظن أنه سيمل ويضجر من جلسة المنزل ولكن بعد أن مرضت زوجته، منذ ثلاث سنوات وهو يراعيها ويمرضها ويتابع العلاج بانتظام شديد ويقضي اليوم في شراء الطلبات للمنزل، وأحيانا ينظف الخضار، ويقف ليطهو لهما الطعام حين تكون زوجته في حالتها السيئة، إن هشاشة العظام تنهش عظامها بتلك الشروخ الكثيرة وذلك المفصل للحوض الذي ركبته بجراحة والذي تحطم من جراء سقطتها وهي تتوضأ، إلى جانب السكر والضغط ومشاكل التهاب الكُلى، كما أن كسل الكبد يضيف خمولا إليها أكثر من المعتاد. أما هو فحتى السكر لم يطرق باب جسده بعد، والضغط كما يقول له طبيب المركز الخيري في المنطقه أنه أكثر من ممتاز ١٤٠ على ٩٠ وكأنه شابًا في الثلاثين من عمره، فلم يبخل بجهده وصحته عليها وهي من أفنت العمر تخدمه بإخلاص، هي حبيبة العمر، زوجته، كم عاشا سويًا أيامًا هانئةً حتى قبل أن يرزقة الله بإبنه، كسا وجهه الحزن وهو يتذكر «عصام» لقد انتظر هذا الولد لمدة ثلاثة عشر عامًا ولازال ينتظره حتى الآن وكأنما كتب عليه دومًا أن ينتظر، تذكر كيف لم تحمل زوجته علمًا بأنهم سليمين معافين لا عيب فيهما من هذه الناحية،

ولكن سبحان الله الذى يعطي وقتما يشاء، وأصر ألا يتركها والأ يتزوج غيرها حتى مع إلحاج والدته رحمها الله، بعد طول انتظار قرة عينه «عصام» طفل ورث جمال أمه وقوام أبي، وقال أنه سيستند عليه حين يتقدم به العمر ويوهن، قال أنه من سيحمل إسمه من بعده وأنه سيكون له العون والسند، علمه ورباه ولم يبخل عليه طوال فترة عمله بالحكومة، أغدق عليه بكل شئ وجعله همه الأول والوحيد حتى أصبح مهندسًا يعمل فى أكبر الشركات ويقبض مبلغًا يتعدى الثلاث أصفار بقليل، وترك المنزل منذ ستة أعوام ويعيش في شقته الخاصه بمدينة نصر متحججًا أنها أقرب إلى مكان عمله، وكم من مرة قال فيها أنه يريد من والديه أن يتركا الشقة الضيقة التى لم تعد تليق بمستواه وأن المنطقه شعبيه جدًا والناس معاملاتهم صعبه فى هذه المنطقه الحقيرة إلى آخره من الكلمات السخيفة والتى لا تنم إلا عن تعالي وغرور. كان عصام يأتى إليهم بسيارته الفاخره التى أعطتها له شركته كجزء من التسهيلات لموظفيها كل يومين وتباعدت المسافة لتصبح مرة كل إسبوع، ولابد أن يتأفف فى كل مرة من أن الصبيه فى الشارع قد جرحوا دهان السيارة الغالى فى المرة السابقه وأن السيدة جارتهم قد تركت الغسيل يقطر الماء فوق سقفها، أو أنه لم يجد مكانًا خالى من القمامة ليركن السيارة فيه دون أن يتأذى من الروائح القذرة، يجلس نصف الساعة ثم يرحل بعد أن يترك لهم مبلغًا من المال على المنضدة فى الصالة، قائلا :

- هذا لدواء أمى .. فلم أجد وقتًا لأصرف الروشتة لها .. إنه العمل يا والدى .. لا يعرف الرحمة.

فيضحك عم «إبراهيم» كل مرة ويقول :

- كان الله فى العون .. صحيح الدنيا مشاغل !!

ولكنه في قرارة نفسه يتمنى لو أنه شده من أذنيه كما كان يفعل معه حين كان صغيرًا وهو يُحفظه جدول الضرب، وأن يعنفه ويلومه وينصحه ويقول له :

- أمك .. ثم أمك .. ثم أمك .. ثم أبيك.

ولكن لا يطاوعه لسانه، ولا يطاوعه قلبه، ولا تطاوعه نفسه الآبية، واليوم يتغيب «عصام» لمده عشرة أيام كاملة لم يسمع فيها عم «إبراهيم» عنه شئ، ولم يأت ليرى والدته المريضة، ولم يحدثهم في الهاتف حتى ليطمئنا عليه، كيف طاوعته نفسه ؟! لقد تقطع قلب أمه للهفتها عليه وبكت كثيرًا وطلبت منه الذهاب لرؤيه إبنهما الوحيد والاطمئنان عليه، فأسرع يحدثه قبل أى شئ على هاتفه المحمول من عند «سامية» فى السنتزال، فهو لا يحب إستخدام التليفون المحمول، ولم يفكر فى أن يحظى بواحد، ولماذا ؟ فكل من يعرفهم لديهم هاتف فى المنزل. ثم من سيُنفع «سامية» ؟

العجيب فى الامر أن «عصام» كان بصحة جيدة، وتعجب من مكالمة والده وظن أن والدته توفيت أو نُقلت للمستشفى، واتضح أنه حصل على ترقية فأصبح مشغولا بشكل أكبر، حتى أنه قال لوالده :

- لا تتعب نفسك .. سأحضر إليكم فى الويك إيند الجاى.

فرد عليه والده الطيب وقال له :

- ولا تجيب كيك بجوز هند ولا حاجة .. أمك سكرها عالى .. بس تعالى وماتجيبش حاجه.

وأغلقا الهاتف بعد مكالمة لم تكمل الدقيقه الواحدة. هز عم «إبراهيم» رأسه ثم وضع يده فى جيبة وأخرج البطاقة مرة أخرى، نظر بفخر شديد للبطاقة وهو يرى إسم إبنه الوحيد يتوسطها ويزينها، وهز رأسه وقال " *والله وبقالك كارت كمان يا واد .. بسم*

الله ماشاء الله .. كله من دعاء والدتك يا عصام" ثم أضاف بمرارة " بس لو قلبها يطمن عليك ؟ "

فاجأه رجل يقف أمامه ويقول بلهفة :

- أنت تايه يا حاج ؟ عايز تروح العنوان ده ولا إيه ؟

ضحك عم «إبراهيم» وقال :

- تايه ؟ هوأنا شكلى ضايع أوى كده ؟

تعجب الرجل وقال :

- آسف لقد وجدتك تشير إليَ بالبطاقه وتكلم نفسك .. فظننت.. معلش لامؤاخذه.

فقال له عم «إبراهيم» :

- يا سيدى كلنا فى الدنيا دى تايهين .. المهم نوصل آخرتنا وإحنا عارفين رايحين على فين.

قالها ومد يده فى جيبه يعيد البطاقة ويتحسس المال الذى به نعم فمعه مبلغ ٣٠٠ جنيهًا لابد أن يحافظ عليها. أكان عصام يعتقد أن والده يأخذ تلك النقود التى يلقى بها لهم كل زيارة ويصرف منها على المنزل ؟ لا والحمد لله فالمعاش يكفى ولديه طبيب الوحدة الخيرية يعطيه كل شهر الدواء لزوجته من العينات المجانية التى يحصل عليها، كان يجمع المال كل ثلاثة أشهر ويضيف عليه من ماله الخاص ويذهب لذلك الجزار الذى يذبح الجديان ويذبح عنده جدى أو اثنين حسب المال المتوفر ويعبئ اللحم فى الاكياس ويعود محملاً به لكل محتاج يعرفه، نعم كان يخرج المال لله عسي أزاح الله الغمة من على عيني عصام وجعله يرى ويشعر بحب والديه. وقد أتم الذبح بالامس الحمد لله وبقى له بعض المال سيشترى به حاجيات للست «حسنات» التى تحتاج لشراء أربعة بطاطين لها ولأبنائها هذا الشتاء، تلك الأرملة التى تعمل فى تنظيف المنزل لسيدة تسكن فى برج فاخر وهى تذهب عندها

يوم واحد فى الإسبوع، إن البرج يقع آخر مترو ميدان المؤسسة خلف جامع الامام البخارى. أسرع الرجل الخطا فهو لايريد أن يتأخر على الموعد، لقد إعتاد أن يذهب ليعطيها ما فيه النصيب هذا اليوم بالذات حتى تستطيع هى أن تضع اللحم فى ثلاجة السيدة التى تعمل عندها حتى الإنتهاء من عملها لتعود مرة أخرى لمنزلها فى الامام الشافعى حيث تسكن فى مقبرة مشتركة مع أسرتين أخرتين بعد أن إنهار بيتها فى السيدة زينب منذ سبع سنوات ومات زوجها تحت الأنقاض تاركًا لها ثلاث أبناء أصغرهم الآن يبلغ الثامنة. ماذايستطيع أن يفعل لها عم «إبراهيم» ؟ يساعدها على قدر إستطاعته، فهى لا تريد مالا، بل تريد طعام تسد به جوع أولادها، إخترق الصوت أذنيه :

- مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!!

هرول ليلحق بالميكروباص وهو يدعوا الله ألا يكون قد تأخر على الست «حسنات» فإن تأخر سيضطر لأن ينتظرها حتى آذان الظهر كما حدث المرة السابقة وكاد اللحم أن يفسد. ركب السيارة وهو يفكر فى حال الغلابة فى البلد، ليته يستطيع أن يفعل شيئًا أزيَد فهذا قدر إستطاعته يوزع اللحم على أكبر عدد ممكن، هذا عم «ربيع» الكناس الذى يعمل على نظافة الشارع. تلك «عبير» الفتاة اليتيمة التى تعيش مع جدتها فوق السطح فى حجرة خشبية متهالكة. وهذه السيدة العجوز التى تعيش فى عشة صنعتها من عبوات الكارتون القديمة وتلف نفسها ببطانية قديمة وتجلس طوال النهار على الرصيف. وهذا الرجل المبتور الساقين عم «متولى» كمسارى المترو الشهم الذى فقد ساقيه أثناء محاولته إنقاذ إمرأة تعثرت فوق شريط المترو المتهالك ولم يستطع السائق أن يتوقف لعطل فى الفرامل. وهذه السيدة «فرحانة» العجوز التى لابد وقد تخطت المائة عام لما يبدو عليها من إنحناء

شديد ووهن أشد وتعيش وحيدة فى حجرة تحت بئر سلم فى عمارة بالمنطقة. ليت بإستطاعته أن يقدم أكثر !!
جلس يفكر فيما سيطهو طعام لزوجته اليوم ؟ طالب التباع بأجرة جنيهًا ونصف ودارت مناقشة حول إرتفاع الأجرة نصف جنيهًا، هزالرجل رأسه وقال بهمس :

- نستاهل أكتر من كده .. محدش بقى بيراعى ربنا.

وأخرج الجنيه وبحث عن النصف جنيه الذى أخذه باقى من «سامية» فوجده مدسوسًا داخل الجيب، ودفع الأجرة مثل باقى البشر، فهو يريد الذهاب فى أسرع وقت ليلحق موعده، أشعل السائق الغناء بصوت يصم الآذان، ياله من رجل أبله، نظر عم «إبراهيم» من النافذة يطالع الوجوه هنا وهناك، ثم مد يده وأخرج البطاقة التى تحمل إسم «عصام» مرة أخيرة، وفكر فيه كثيرًا .. ياه، لكم أوحشه هذا الولد العنيد، سيحدثه، نعم سيتكلم معه بإذن الله، حقه عليه أن ينبهه لما يفعل خاصة فيما يتعلق بأمه، نعم سيتحدث معـ.......!! قاطع أفكاره الصراخ، هذا يسب السائق، وهذه تصرخ دون توقف، مالهم يصرخون ؟ تنبه لما يحدث ولكنها كانت الإنتباهة الاخيرة، أحكم قبضته على الكيس البلاستيكى بعدها غامت الدنيا وأغلق عينيه وهو يرى البطاقة تطير من بين أصابعه وكل شئ ينقلب رأسًا على عقب وتصمت كل الأصوات.

.....

جلس «عصام» أمام العميد «التونى» يمسح حبات العرق الغزير التى أغرقت جبينه، حل رابطة العنق وطواها فى جيبه وظل ينظر فى ساعة يده الفضية بقلق، فموعده مع والد «بسنت» سيحين بعد ساعتين ولابد أن يعود إلى المنزل ليأخذ حمامًا ويرتدى الحُلة الجديدة، قال العميد له:

- لدى خبر يخص والدك السيد ابراهيم البنا ؟

قال «عصام» وقد إعتدل في جلسته وقطب جبينه :

- نعم ؟ ماذا فعل ؟

أجابة العميد بصوت جدى :

- كان في الميكروباص الذى إنقلب .. البقاء لله والـ.....

قاطعه بصوت مرتجف :

- إبراهيم البنا ؟.. حضرتك متأكـد ؟.. فلا أعتقـد أنـه يركب الميكروباص ؟

قال «التونى» بلهجة مستاءة :

لقد عانينا الكثير لنصل إليك .. منذ تأكدنا من شخصية الضحية .. ووجدنا بطاقتك بين الركام .. ونحن نحاول الاتصال بك .. ولكن هاتفك كان يدق دون مجيب.

قال «عصام» وهو ينظر لهاتفه :

آه .. نعم .. ولكن هل أنت متأكد أنه هو ؟

قال العميد بكل ثقة :

- طبعًا يا فندم متأكد .. ثانية واحدة.

تحدث في الهاتف :

- أيوا يا كريم .. هات الحاجه بتاعت الضحية .. إبراهيم البنا بسرعة.

هز «عصام» ساقيه بعنف، حين فتح «كريم» الباب حاملاً حافظة النقود الجلدية بلونها البنى القديم، ودفتر صغير إهترأت أوراقه، وقدمهما للعميد، فقفز قلب «عصام» من بين ضلوعه وهو يرى بطاقة والده البالية تخرج من بين طيات المحفظة، وخلفها صورة له وهو في عمر الرابعة عشر، وصورة أخرى تجمعه بوالديه، ناول العميد «التونى» الأوراق لـ«عصام» الذى قلبها بين يديه وهو لا يقوى على الكلام، قال :

- كيف ؟ لقد تحدثنا اليوم صباحًا .. كيف ؟!!

شبّك العميد «التونى» أصابعه أمام وجهه وقال :

- لا إله إلا الله .. سبحان من له الدوام.

ومد يده بمبلغ مالي ملفوف بعنايه في ورقة صغيرة وناوله لـ«عصام» وقال:

- وجدنا أيضًا هذا المبلغ فى جيبه وكيس من اللحم النئ كان قابضًا عليه بشدة حين انقلبت السيارة.

ظل «عصام» ينظر إلى الرجل وهو لا ينطق بكلمة واحدة.

- تستطيع الذهاب إلى المستشفى لاستلام الجثة.

قالها كريم، وكانت أصابع «عصام» المرتعشة تقلب فى الدفتر الصغير حيث لفت نظره وجود تدوينات لمبالغ مالية ومكتوب فى أعلى الصفحة (أمانات عصام تقبل الله) تابع القراءة بتعجب فوجد أن والده دون مبالغ بتواريخ مختلفة وكيف تم التصرف فيها، ما بين ذبح، بطاطين، ملابس، أرز وسكر كلها وزعت على المحتاجين. ظل «عصام» فاغرًا فاه لفترة طويلة أكان والده يأخذ الاموال منه ويوزعها على الفقراء كل هذه المدة الطويلة التى كان يعتقد أنه يؤدى واجبه نحوهم ماديًا، كان والده يؤدى عنه ما تغافل هو عن أداءه !! وظل هو يلح عليهم بترك الشقة المتواضعة والإنتقال إلى شقة لائقة ونسى أن والدة عاش فيها مكتفيًا حتى يصرف عليه ويعلمه ليصل إلى ذلك المركز المرموق والمنصب العالي !! فجأة ظهر وجه والده البشوش يضحك، فتذكر أيضًا كم خذله !! كم انشغل عنه !! كم كان مقصرًا، هب واقفًا، خرج من المكتب ينكفئ على وجهه وهو يقول :

- أمي .. أمي .. أمي.

هرع إليها وهو لا يفكر إلا أن يُقبل يداها وقدماها، ويجلس بين ذراعيها ويطلب منها أن تسامحه على سنوات تغرب فيها عنها

بإرادته، سنوات تمزق قلبها لبعده عنها، ماذا ستفعل بعد أن رحل عنها رفيقها ؟ هل ستتحمل خبر كهذا ؟ تنساب الأفكار في عقله أيسامحه أباه ؟ أيغفر له ما فعله بطيش وغباء وتعالي ؟ سؤال لن يعرف قط إجابته، حتما لن يعرف، ولكنه سيظل يفكر في الإجابة طوال حياته.

عمّ أمين .. الفلاح

بقلم : أحمد مراد

عم «أمين» الفلاح؛ من العجيب أنك بمجرد نطقك لإسمه فإنك تشعر بإرتياح، ربما لأن المعنى جميل بالرغم من أن كثيرين يحملون أسماء ذات معان أروع إلا أن نطقها لا يعطيك نفس الإحساس بالراحة حينما تنادي أو تنطق إسم عم «أمين» وهو من القلة القليلة التي ما زالت تحمل عبق الفلاح المصري الأصيل، ذلك الفلاح الذي يحمل حب أرضه في قلبه أكثر من حبه لذاته، فكل ذرة تراب بأرضه حتما قد لامست يده أثناء رعايته لها وزرعه وحصاده لمختلف المحاصيل بها، ويداه المتشققتين الجافتين هي وسامه الحقيقي الذي يفخر بأنه يحمله دلالة على أنه مازال بصحته ويعمل في أرضه بيده، ينقم كثيرًا على تطورات العصر الحديثة والسريعة والمفاجئة التي غيرت وبدلت كل شئ. بعد أن كان الفلاح يستيقظ فجرًا ليؤدي صلاة الفجر ثم يذهب لأرضه قبل طلوع الشمس ليعمل بها والندى يتقطر من النبات كحبات اللؤلؤ ويملأ صدره بأنقى هواء على وجه الأرض أصبح الفلاح المصري الآن الساهر أمام الفضائيات حتى الفجر لا يقوي على تحريك جسده قبل توسط الشمس بكبد السماء. كانت مهنة الفلاح أنقى وأرقى وأطهر مهنة على وجه الأرض، فهو يعمل بيديه في أرضه ليخرج منها ثمرًا مختلفًا ألوانه

يعده كأولاده لذا يرعاه حق الرعاية بلا غش ولا تدليس ولا رشوة ولا محسوبية لأنه يعمل لنفسه، الآن يذهب الفلاح لاستئجار آخرين للعمل عنده وهذا الأجير قد يجيد عمله أو لا على حسب ضميره، وحتى اذا أجاده فلن يزرع أو يحصد بنفس الحُب والمشاعر التي تفيض لو كانت هذه نبتته. حتى الحياة الاجتماعية للفلاح تغيرت بشكل كبير، كان في السابق لكي يتزوج كان أباه يقوم بإعداد حجرة له ولا يحتاج من الأثاث إلا سرير وبعض الآنية ويذهب الحاج فلان أباه إلى الحاج فلان وأبو العروس ليتم الإتفاق ومراسم الزفاف في خلال إسبوع، وبالرغم من ضيق ذات اليد وقتها كان يتم إنجاب ما يقرب من عشرة أولاد واللقمة البسيطة كانت تكفيهم جميعًا للعيش وسد الرمق ويعملون جميعًا في الأرض التي ولدوا وتربوا منها، أما الآن؛ أصبح يبحث عن مسكن خاص مثله مثل الجميع بكافة الأثاث، وأصبح والد العروس يشترط مهرًا مبالغًا فيه فتعقد كل شئ، حتى الأبناء الآن لم يعودوا هم أبناء الأمس؛ أصبح العمل بالأرض مهانة وكلمة فلاح تعد شتمًا، ويكون في قمة الحرج إذا اكتشف أحدهم من لهجته أنه من منطقة ريفية، وهذا أكثر ما يعاني منه الحاج «أمين» الآن، فولده الكبير «المتولي» كان النبوغ يظهر عليه من صغره ونصحه محفظ القرآن بكُتّاب القرية أن يلحقه بالتعليم فالولد نبيه ويتوقع له أن يكون طبيبًا كبيرًا، وكان «المتولي» هو الوحيد في أخوته الذي التحق بالتعليم، وقد كان ما توقع له شيخه، كان الولد سريع التفوق والنبوغ، ولكن لم يدخل كلية الطب كما توقع له، فكانت كلية العلوم بجامعة القاهرة هي نصيبه، ولأنه نابغة فقد كان من أوائل دفعته وأصبح معيدًا بها، ولهذا كانت إقامته بالقاهرة، كان «المتولي» ناقمًا بشدة على أصله وجذوره، وأول ما كان ينقم عليه هو اسمه هذا، كان ثقيلا وعجيبًا بين زملائه وكفيل

بكشف جذوره دون اللهجة أو مطالعة بطاقته الشخصية، ولذا كان «المتولي» دومًا يحاول الإنسلاخ من هذه الجذور بأن يلتصق ويتفاعل مع زملائه أبناء الطبقات الراقية، ولكن هذا التفاعل كان يكلفه مبالغ طائلة، وراتبه كمعيد بالكلية لم يكن كافيًا لتغطية هذه المصاريف، فكان يلجأ لأبيه الذي يتعجب ويقول له :

- ظننت أن مصاريف تعليمك هي نهاية المطاف .. ولكني اكتشف أنك كل يوم تطلب أكثر مما سبقه.

وهو يقول له :

- يا أبي أنت لا تدرك ماذا يعني معيد بالجامعة إنها تتطلب مصاريف طائلة للملبس والمأكل وإسلوب المعيشة.

فيهز الرجل رأسه بطيبة ويقول له :

- إذا كان العائد منها لا يغطي مصاريفك فما فائدتها اذًا ؟

ولكي يكسب «المتولي» الرهان يضرب على مشاعر أبيه النبيلة فيقول له:

- يا أبي أنا الآن من يُعلم أبناء مصر كلها بكلية العلوم .. تخيل أنه سيخرج من تحت يدي يومًا رجلا مثل زويل.

كان أبوه يجهل من هو «زويل» هذا ولكن حتمًا هو رجلا عظيمًا ما دام إبنه يضرب به المثل، ولأنه يثق بإبنه ويثق بأنه لا يبدد ماله فيما لا يستحق كان يعطيه ما يريد، وكان المتولي يرهقه بكثرة مطالبه التي تتكرر وبسرعة، حتى كان هذا اليوم؛ يوم أن طلبه ابنه وقال له :

- أريدك يا أبي للضرورة القصوي.

قال له «أمين» في جزع :

- ماذا هناك يا ولدي طمئني فقط ؟

فيقول له «المتولي» بنفاذ صبر :

- يا أبي لن أتمكن من شرح الأمر في التليفون هذه المـرة .أريدك شخصيًا.
- إذًا فلتأت أنت إلينا لكي يراك أخوتك وأولادهـم فأنـت لم تأت لبلدك منذ سنين.
- يا أبي أنت تعلم ظروف الكلية وصعوبة أن تكون معيـدًا بالجامعة.

فيقتنع الأب الطيب ويحدد له اليوم التالي، ويجهز له زيارة كبيرة فيها من كل خيرات الفلاح المصري من سمن بلدي نقـي، وجـبن أبيض صحـي، ولبن حليب صاف، وفطيـر مـشلتت رائحتـه كافيـة لإشباع نـصف سـكان القـاهرة، والكثيـر. وينطلـق إليـه وهـو سـعيد بحمله الثقيـل هـذا وهـو لا يـدري بـأن إبنـه ينـادي علـى البـواب ليأخذها بعد ذهابه، فهو لا يأكل إلا من إحدى المطاعم الأمريكيـة المعروفة، وهو لا يـدري أيـضًا لمـاذا يريـده ولـده، وآه لـو علـم أن السبب فيما سيلاقي بعد قليـل إنمـا بـسبب «بـسمة» تلـك الفتـاة الجميلة الرقيقة التي إنبهر بها «المتولي» منذ أول مرة رآهـا، وهـي المعيدة معه بنفس القسم، هي إبنه أحد كبار رجال الأعمال بالبلد ولهذا لها إسلوب حياة يختلف تمامًـا عـن بيئـة «المتولي» الـذي وجد أن إرتباط «بسمة» به إنما هو الخطوة الأكيدة للتخلص تمامًـا والإنخلاع من جذوره التي يراها مشينة، ولهذا كـان يـشاركها فـي كل شئ إبتداءًا مـن العمـل حتـى لحظـات المسرح والخـروج إلـى الأماكن العجيبة التي تذهب إليها ليلا، وبدأ أيـضًا يـشاطرها تلـك المشروبات المقززة ويتعاطى الأقـراص إياهـا التـي (تعمـل دمـاغ) حسب قولها، وكان آخر ما تبقى معه من تربية أبيـه الـصلاة وقـد تركها منذ أمد لكي ينغمس فـي دنيـا الملـذات والعـالم الـسحري الذي كان يتوق إليه، وأخيرًا، قالت له بأنها ستسافر لتحصل علـى

الماجستير من لندن، فابتلع ريقه بصعوبة وقال لها كيف حصلت على هذه المنحة، فضحكت وقالت :

- أنا لا أنتظر ولا أبحث عن منح .. أبي سيدفع لي كل المصاريف.

خرج صوته متحشرجًا وقال لها :

- وكم هي التكاليف ؟

قالت باستهتار :

- إنها بضع مئات من الألوف فقط.

دارت رأسه وهو يشعر بأن كل ما فعل سيضيع منه هباءًا إذا ضاعت منه «بسمة» لذا فالحل الوحيد هو مرافقتها، سألها قائلا :

- هل لو حصلت على المال يمكنني مرافقتك.
- واو بالطبع .. إنها خطوة شجاعة للغاية منك.

ولهذا طلب أبيه. الذي احتضنه بقوة وهو يشعر بأن قلبه يخفق بين ضلوعه بالفرحة لرؤية ولده، وانسلخ الولد منه بسرعه وضجر وبدأ مباشرة دون أي مقدمات في طلبه، قال له بأنه يريد مبلغًا كبيرًا للسفر إلى لندن والحصول على الماجستير من هناك. قال له الحاج «أمين»:

- وهل كل زملائك يفعلون هكذا ؟
- المميزون فقط يا أبي .. من يفعلها يكن له مكانة آخري في البلد .. قد تجدني يومًا أحد الوزراء بسبب هذا.
- ولكن يا ولدي أنا لا يمكنني تدبير ذلك المبلغ.
- لهذا طلبت مجيئك يا أبي لأن مطلبي سيكون صعبًا.

سأله الحاج «أمين» بتردد :

- وما هو ؟!!
- أن تبيع قطعة من الأرض وتعطيني ثمنها.

إنتفض الحاج «أمين» واقفا وقال له :

- لا يا متولي .. ليس مطلبًا صعبًا .. إنه المستحيل بعينه .. أنت تطلب مني تقطيع جسدي وبيعه وهذا ما لا أستطيعه.

قال له المتولي في تبجح شديد :

- يا أبي احسب لي ما هي القطعة التي ستكون في ميراثي ولتبعها وسأكتب بعدها تنازلا رسميًا عن أي حق لي في الميراث فيما بعد.

كان الحاج «أمين» غير مصدق لما يسمع، فقال لولده في ثورة :

- أتريد أن ترثني حيًا يا متولي .. لا يا ولدي .. لن تحصل على مليم مني بعد ذلك .. وبعد وفاتي ستأخذ حقك من أخوتك وبرضاهم.

- يا أبي أقول لك ستكون نقلة كبيرة لي .. بعدها سأشتري لك ضعف ما بعت لي.

- لا أريد منك شيئًا .. وأنت أيضًا أصبحت رجلا ذا وظيفة كبيرة ولم أعد أطيق تكاليفك فتلعتمد على نفسك وكفاك دلالا.

كان «المتولي» يعلم بأن أبيه اذا أغلق تفكيره على أمر لن يتراجع عنه أبدا. لذا قال له :

- إجلس يا حاج سأعد لك كوبا من الشاي الذي تحبه ونتحدث بعدها.

وقبل أن يهم أبيه بالرد عليه إنطلق وترك والده يضرب كفا بكف وهو يتعجب. كان الإبن قديما سندا لوالده. رزقه الله بهذا الولد ليستنزفه ويوجع قلبه. ما هو الذنب الذي إرتكبه ليكفره الله له بولده هذا ؟ وضع له إبنه الشاي وقال له :

- تفضل يا حاج إشرب وهدئ أعصابك أولا.

رشف الحاج «أمين» بضع رشفات، وبعد أن أنهي كوبه تحدث إليه «المتولي» ثانية وقال :

- إذن يا أبي فلتسحب سلفة من البنك برهن الأرض.

قام الحاج «أمين» واقفًا مرة ثانية وقال :

- انس أمر هذه الأرض تمامًا .. وانس أمر هذا المبلغ .. تصرف أنت واسحب السلفة بضمان وظيفتك الكبيرة.
- يا أبي إذا فعلتها لن يمكنني السفر قبل سداد المبلغ لماذا تعقدها .. أليس لي حق في الأرض مثل أخوتي ؟!!

كانت كلمة الأرض كلما خرجت من فم ولده أثارت أعصابه أكثر لذا قال في عصبية :

- طلبت منك عدم ذكر أمر الأرض وأنت لا تتوقف ولكي أنهي هذا النقاش .. أنا عائد الآن إلى بلدي وأرضي عرضي التي رويتها بحبات عرقي .. وأكررها للمرة الأخيرة .. لن تحصل على مرادك إلا بعد موتي.

وقبل أن يجيبه إبنه انطلق خارجًا وهو يموج بكل إنفعالات الألم والحسرة والغضب، كان خارجًا من بلده فجرًا وما زال الصباح باكرًا وهو عائد إليها، ماذا يقول لأولاده إذا عاد مبكرًا هكذا ؟ أيقول لهم أخوكم الكبير المتعلم ذو الوظيفة الكبري يريد بيع أرضكم التي تكدون فيها بعرقكم ودمائكم. ذهب إلى الموقف. سمع ذلك الصبي الذي ينادي :

- مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا

ولأن إحساس المرارة كان يغمره فقد كان يشعر بنفسه غير طبيعي ولهذا عقد ساعدية على مسند المقعد الذي أمامه وإرتكن برأسه عليه، والعجيب أنه لم يشعر مطلقا بالصراخ والصياح الذي حدث، وكان أحد شهداء هذا الحادث.

.....

دخل «كريم» على العميد «التوني» وهو يحمل تقريرًا ويقول له :

- هناك أمر ستتعجب منه بشدة يا سيادة العميد.

نظر إليه العميد بتساؤل قائلا :

- ماذا عندك هذه المرة ؟!
- الستة عشر راكبا أحدهم لم يمت في الحادث.

نظر إليه العميد التوني بدهشة وقال :

- ماذا ؟!! .. من هو ؟!!
- أنه الفلاح المسمى أمين.

إتسعت عينا العميد «التوني» بدهشة أكبر وقال :

- ولكني تيقنت من موته بنفسي وقد كانت رأسه مهشمة.
- نعم يا سيدي كانت مهشمة وقد تؤدي إلى وفاته لو كان على قيد الحياة .. ولكنه لم يمت بسبب الحادث فقد مات قبله .. وهذا في تقرير الطبيب الشرعي.
- كيف هذا يا كريم ؟! .. الفارق بين إستقلاله للسيارة والحادث دقائق ومهما كانت براعة الطب الشرعي عندنا لن يمكنه تحديد هذا الفارق الزمني البسيط أبدًا.
- لم يتم تحديد سبب الوفاة بالفارق الزمني يا سيدي .. لقد مات مسمومًا .. وكانت بقايا السم ما زالت بمعدته.

أمسك العميد «التوني» برأسه التي بدأت تدور فها هي قضية قتل تتفرع من القضية الكبرى، لذا طلب أوراق الرجل وقلبها فكان بها ورقه فيها رقم تليفون ولده «المتولي» وعنوانه بالتفصيل، طلبه ليقول له :

- معك العميد التوني من قسم شرطة شبرا الخيمة.

شعر برعشة في صوت «المتولي» وهو يقول :

- أهلا بك يا أفندم .. ماذا هناك ؟

تكرر الموقف وهو يحاول إنتقاء عباراته وهو يقول :

-. نأسف لإخبارك بوفاة الحاج أمين والدك.

وقبل أن يكمل جملته إذا بـ«المتولي» يقاطعه قائلا في استنكار شديد :

- كيف هذا ؟ .. وماذا حدث ؟ .. لقد خرج من عندي دون أن يأكل أو يشرب شيئًا.

توقف العميد «التوني» كثيرًا أمام هذا الرد وبخبرته وحنكته استشعر بكل شك الدنيا نحو هذا الولد، ما الذي يحاول إبعاده عن نفسه وكيف علم بأن سبب الوفاة متعلق بالمأكل والمشرب، لهذا لم يحاول إخباره بالحقيقة وقال له :

- لقد توفي والدك في حادث سيارة .. ونريدك حالا للتعرف على الجثة واستلامها.

إخترقت تنهيدة الراحة أذني العميد «التوني» مما أكد الشك في صدره

ولهذا أكد على السرعة الفورية وعدم التأخر، وعلى الفور طلب من كريم أخذ كل الإجراءات الرسمية وسرعة التوجه إلى شقة «التوني» وتفتيشها تفتيشا جيدًا وتقليب جميع أركانها. وكانت المفاجأة، إكتشاف بقايا السم في الكوب الذي يحمل بصمات الحاج أمين والذي لم يجد «التوني» فرصة لتنظيفه. فبعد انصراف والده ظل يجوب شقته ذهابًا وإيابًا في عصبية شديدة، هل حقًا بكل سهولة ستضيع منه «بسمة» ؟! لما هذا التعنت من أبيه نحو الأرض التي يصرف عليها ولا تعطيه شيئًا وثمنها مئات الألوف، إنها حقه مثله مثل إخوته، ولهذا فهو غير نادم، أبوه يقترب من السبعين وسيموت خلال سنوات ولكن بعد فوات الأوان وتكون «بسمة» قد ضاعت منه، لهذا وضع له السم دون ترتيب مسبق، وقد حدث ما حدث، وأفضل ما فعله أبوه هو إنصرافه بسرعة لكي تحدث الوفاة بعيدًا عنه ولكي لا تطوله الشبهات، فالقاتل لا يرث.

لكن كل شئ قد إنكشف، جريمة قتل مع سبق الإصرار والترصد، وقتل من ؟ أباه !! فياله من قاتل خسيس يستحق الإعدام ألف مرة على فعلته.

محمود

بقلم : عماد حجاب

ضربت الأم صدرها وشهقت في فزع، ولم تتحملها رجلاها فكادت تتهاوى على الأرض لولا أن أسرعت وإستندت إلى المقعد المجاور لسرير إبنتها، وجلست على حافة السرير وهي مذهولة ممتقعة وأخذت تتمتم بكلمات خفيضة لن تسمعها إلا لو إقتربت منها وأرهفت السمع :

الأم : يادى المصيبة .. يادى المصيبة .. أبوكِ لو عرف حيقتلنا.

أما إبنتها «سميرة» بنت العشرين فقد تكورت على نفسها فى ركن السرير وأسندت ظهرها إلى الحائط ووضعت وجهها بين يديها وأسندت يديها إلى ركبتيها وأخذت تنهنه، كانت الصدمة أعظم من أن يتحملها قلب الأم المسكينة، والأفظع من ذلك أنها تتخيل الساعات المقبلة بكل ما تحمله من أحداث يقشعر بدنها لمجرد أن تتخيلها، تغطى الأم وجهها بيديها هي الأخرى و تنهنه، وتنتفض لما تتذكر غضبة زوجها الكاسحة التي لا تبقى ولا تذر. كارثة، جائحة، قل ما تشاء. ظل عقلها يعمل بسرعة الصاروخ، ماذا تصنع، هل تخبره بالحقيقة، هل تخبره بما حدث، ولكنه لا يتفاهم فى مثل هذا، وكيف يتفاهم ؟!! هل تستطيع أن تخبئ عنه هذا الأمر، وإن إستطاعت أن تخبئه فإلى متى، المصيبة آتية لا محالة. نظرت إلى إبنتها بمزيج عجيب من

الشفقة والألم والغضب والثورة، ثم عادت إلى أفكارها مرة أخـرى. ماذا تصنع ؟ هل تهرب مع إبنتها ؟ هل تتصل بالشرطة ليحموها مما سوف يصنعه زوجها ؟ ولكنها ستكون عندئذ فضيحة مجلجلة، نظرت إلى إبنتها بغل وغضب.

الأم : حرام عليكِ .. حرام عليكِ تعملى فينا كده.

سميرة : أنا آسفة يا ماما .. سامحينى !

الأم : أسـامحك .. أسـامحك إزاى ؟ و إن سـامحتك أنـا أبـوكِ هايسمحك؟

تنفجر «سميرة» فى البكاء مرة أخرى.

الأم : إزاى حصل اللى حصل ؟

سميرة : (فى انكسار) غصب عني والله يا ماما.

الأم : غـصب عنـك ؟! غـصب عنـك إزاى ؟ أنـا مـش موعيـاكِ ومفهماكِ على كل حاجة ؟

تنفجر «سميرة» فى البكاء مرة أخرى وتقول من بين دموعها :

سميرة : ما أخدتش بالي والله يا ماما.

تقوم الأم وتدور فى الغرفة والذهول يكتنفها :

الأم : وهنعمل إيه مع خطيبك و أهله ؟

سميرة : يا ماما مش هي دي المشكلة .. المشكلة فى بابا لو عرف.

الأم : مش مشكلة إزاى ؟ الناس هتاكل وشنا !!

سميرة : و هنعمل إيه يا ماما ؟

الأم : (بِغِل) جايـة دلـوقتى تقـوليلى هنعمـل إيـه ؟ بعـد م الـدنيا إتطربقت فوق دماغنا ؟!

سميرة : (بمسكنة) يا ماما لازم نفكر هنعمل إيه !

الأم : أنا بفكر أتصل بأبوكِ وأقوله في التليفون.

سميرة : إشمعنى ؟

الأم : على ما ييجى لحد هنا يكون هدى شوية.

سميرة : صح .. بدل ما يعرف هنا و يكون لسه شايط.

تخرج الأم إلى الصالة وتتبعها إبنتها، وتمسك الأم بسماعة الهاتف لتتصل بـ«محمود» زوجها وهو في العمل، تسمع الجرس، لكنها تحجم فى آخر لحظة وتغلق الخط.

سميرة : إيه يا ماما ؟ قفلتِ ليه ؟

الأم : (ترتغش) مش قادرة .. خايفة .. أبوكِ ممكن يصور فيها قتيل.

تلطم «سميرة» خديها، وترتمي على الكنبة.

سميرة : يا ربي .. أعمل إيه بس ؟

الأم : شفتِ عمايلك حتودينا لفين ؟

سميرة : يا ماما هو أنا أول واحدة ؟ م في غيرى كتير حصلهم كده.

الأم : أيوه .. بس أبوهم مش زي أبوكِ .. ده ممكن يقتلك.

ثم تقوم لتدخل حجرتها.

سميرة : حتروحى فين يا ماما وتسيبينى ؟!

الأم : هغيير هدومي ... إنتِ مش شايفانى لسة بهدوم الشارع.

سميرة : طيب مش هتكلمى بابا ؟

الأم : مش عارفة والله يا بنتي .. هغيير هدومي وبعدين ربنا يحلها.

.....

«محمود عبدالظاهر الوكيل» ممرض في مستشفى التأمين بشبرا نهارًا، وممرض فى مستشفى الرحمة الخاص ليلا، أخذ ينظر في ساعته بقلق، كانت الساعة قد تجاوزت السابعة بعشر دقائق، مما يعنى أن ورديته قد إنتهت منذ عشر دقائق ولم يحضر زميله محسن ليتسلم منه الوردية، معنى هذا أن يتأخر على مستشفى التأمين.

محمود: حاضر يا محسن الكلب .. عشر دقايق ؟!!
دخل الفراش يحمل صينيته ووضع كوبًا من الشاي على مكتب «محمود» الذى نظر إليه شذراً و سأله بغضب :
محمود : إيه ده ؟
الفراش : ده شاي على مزاجك يا ريس محمود.
محمود : ومين طلب منك شاي ؟ إنت عارف أنا ما بشربش حاجة هنا خالص.
الفراش : ما أنا عارف يا ريس ده الأستاذ يحيى هو اللي عازمك.
لانت ملامح «محمود» وإحتلت الإبتسامة وجهه وأمسك بكوب الشاى بلهفة، إنصرف الفراش وهو يقول لنفسه :
الفراش : أففف .. دا إيه ده ؟ حانوتي .. جلدة .. أنا عمرى ما شفت بخل زى ده .. جتك البلا فى بخلك .. عشر سنين متشربش كباية شاى ؟!!
بعد انصراف الفراش أمسك محمود بالهاتف وطلب الأستاذ «يحيى» مساعد مدير الشئون الإدارية بالمستشفى.
محمود : إيه ده يا أستاذ يحيى ؟ ماكنش له لزوم و الله.
يحيى : يا راجل متقولش كده .. إحنا هنبقى أهل.
محمود : طبعًا طبعًا .. ياريت بقى متنسوش تشرفونا النهاردة بعد المغرب.
يحيى : ودى حاجة تتنسى يا راجل .. إن شاء الله حنكون عندكم فى الميعاد.
كان «يحيى» قد خطب إبنة «محمود» إلى إبنه «ياسر» و كان «محمود» سعيدًا بهذا الإرتباط الذي يقربه من مدير عام الشئون الإدارية، لذا كادت إمرأته تصاب بأزمة قلبية حين قال لها منذ يومين :
محمود : بقولك إيه يا نعمات ؟

نعمات : أيوه.

محمود : مش المفروض يعني .... بقول ...

نعمات : فيه إيه يا خويا ؟

محمود : بقول يعنى كنا نعزم الأستاذ يحيى وأهل بيته زى ما عزمونا .. على الأقل نرُد العزومة.

كادت زوجته أن تُصعق من هول المفاجأة، لذا فقد ظنت بعقلها الظنون أو أن سمعها قد عطب، فاستفسرت :

نعمات : بتقول إيه ؟!

محمود : (متبرمًا) فيه إيه يا نعمات .. ما أنتِ سمعتيني كويس.

نعمات : أيوه سمعتك بس مش مصدقة.

محمود : (بضيق) لأ صدقي يا أختى .. ما هو لازم نتنيل نرد لهم العزومة.

نعمات : والله كنت عايزة أقولك كده من ساعتها بس مكنتش قادرة.

محمود : أففف .. طيب هنعمل لهم إيه ؟

نعمات : شوف .. عايزين نبين لهم إنهم مش أحسن مننا.

محمود : يعني إيه ؟!

نعمات : يعنى هم عملولنا بط وحمام وفراخ .. لازم نرد عليهم بحاجة أكبر.

محمود : (بذهول) أنتِ باين عليكِ إتجننتِ .. عايزاني أعمل إيه .. أدبح لهم خروف ؟!!

نعمات : لأ .. لا خروف ولا حاجة .. بس لازم نشرف نفسنا ونشرف بنتنا قدام الناس.

محمود : يعني هنتهبب نعمل إيه ؟!

نعمات : يعني على الأقل نجيب ديك رومي كده سمين .. يبقى كويس.

أحس محمود أن الأرض تدور به وأنه على وشك الإغماء :

محمود : ديك رومي إيه يا ولية يا مجنونة أنتِ .. أنتِ عارفة الديك الرومى بكام ؟!!

نعمات : وأنا هعرف منين ؟ هو عمره دخل بيتنا !!

محمود : ولا هيدخل .. آل ديك رومي آل .. جتلك ديك رومي لما ينقرك فى عينك !!

نعمات : إستني بس .. لو حسبتها هتلاقيها أوفر والله.

محمود : بقولك إيه يا ولية يا مسرفة أنتِ .. خلاص إنسي موضوع العزومة ده .. أنا هبقى أعزمه على كباية شاي في المستشفى وخلاص .. وتبقى دى قصاد دى !!

نعمات : يا دى الكسوف .. كباية شاى يا راجل .. بقى هو يعزمنا على بط وفراخ وحمام وأنت تعزمه على كباية شاي ؟!!

محمود : أقولك إيه ؟ ما أنتِ بتاكلي في أتة محلولة .. هو أنتِ عارفة الفلوس دي بتيجى إزاي ؟

نعمات : طيب قولي أنت .. إيه اللي كان في بالك ؟

محمود : يعني .. كنت بقول نجيب فرخة.

نعمات : يا نهار اسود ... فرخة واحدة ؟!!

محمود : آه فرخة واحدة .. هى ميغة ؟! فرخة واحدة كفاية أوى.

نعمات : إزاى بس ؟ إذا كان هو ومراته وإبنه وأنا وأنت وسميرة نبقى ستة .. يعني لو كل واحد خد ربع مش حتكفي.

محمود : كل واحد فيهم ياخد ربع.

نعمات : طيب والربع الرابع ؟

محمود : تاخده سميرة.

نعمات : طيب وأنا وأنت ؟

محمود : أنا حاقول إني عندي النقرس .. مباكلش لحوم !!

نعمات : نقرس ؟ دا أنت عندك جفاف.

محمود : بقولك إيه .. مش عاوز استظراف دلوقتي.
نعمات : طيب وأنا .. هقولهم إيه ؟
محمود : نقول إنك عندك السكر والدكتور مانعك من أكل الفراخ عشان أنفلوانزا الطيور.
نعمات : يا راجل هتجيبلى السكر عشان ربع فرخة ؟ و الله ما ينفع أبدًا .. دى تبقي فضيحة.
محمود : ولا فضيحة ولا حاجة .. أنتِ اللي بتكبري كل حاجة كده.
نعمات : يا محمود والله ما هينفع .. الناس هتاخد بالها.
يصمت «محمود» قليلا وكأنه يفكر في معضلة ثم يتهلل وجهه :
محمود : بس لقيتها.
نعمات : خير ؟!
محمود : أنتِ تجيبي وركين زيادة من عند الراجل بتاع الوراك.
نعمات : (تنفخ فى ضيق) أستغفر الله العظيم .. يا رب ارحمني.
محمود : ما هو بصي .. أنا عارف لو مشيت وراكِ حيتخرب بيتي.
نعمات : يا محمود والله اللي بقولك عليه ده هو أحسن حل ومش هيكلفنا كتير .. مفيش أحسن من الديك الرومي .. قيمة ومنظر ومش غالي.
محمود : يا ولية متغيظنيش بموضوع الديك الرومي ده .. معاشراني بقالك واحد وعشرين سنة ولسة زي مأنتِ متغيرتيش !
نعمات : إسمع بس هقولك.
محمود : تقولي إيه بس ؟ ما أول القصيدة كفر.
نعمات : لا كفر ولا حاجة كفى الله الشر.
محمود : أمال لما ده مش كفر ؟ الكفر يبقى إيه ؟
نعمات : والله لو حسبتها لتلاقيني عندي حق.
سكت «محمود» وقد لان قليلا، فضربت على الوتر.

نعمات : وبعدين ده مديرك .. لازم تتشرف قدامه بدل ما ياخد عننا فكرة إنا إحنا بخلا.
محمود : بخلا ؟!! إحنا بخلا !! أعوذ بالله !!.
أدارت الزوجة وجهها وضمت شفتيها وحركتهما يمينًا وشمالا بتلك الحركة البلدي التي تنم عن التعجب !
نعمات : آه والله يفكر في كده وممكن الجوازة تبوظ.
إنتفض «محمود» وقد عرته رعدة :
محمود : تبوظ ؟ فال الله و لا فالك يا شيخة .. تفي من بقك.
نعمات : حاضر هبقى اتف !! قلت إيه ؟
محمود : قلت إيه فى إيه ؟!
نعمات : يووه ... هو إحنا هنعيده تاني .. الديك الرومي يا راجل.
يضرب «محمود» كفيه في عجب وألم.
محمود : الله يخرب بيت الديك الرومي على الديك الشركسي .. على بيت العزومة على بيت اللي هيتعزموا على بيت ......
نعمات : (مقاطعة) خلاص .. كفاية خراب بقى .. ها قلت إيه ؟
محمود : قلت الله يخرب بيتك أنتِ كمان.
نعمات : (تضحك) يا راجل فكها هو إحنا هنجوز البت كل يوم ؟!
محمود : طيب يا اختي .. أمري لله.
تتنفس «نعمات» الصعداء وكأنها نجحت في الإمتحان :
نعمات : طيب هتبقى إمتى ؟
محمود : إيه دي ؟
نعمات : العزومة يا راجل ؟
محمود : النهاردة التلات .. نخليها يوم السبت كويس.
نعمات : (تحسبها) يعني بعد بكرة .. كويس أوى ؟ أوفف.
محمود : بتقولي أوف ليه يا ولية أنتِ ؟ إيه اللي مش عاجبك .. مش كفاية خربتي بيتي !!

نعمات : لأ يا أخويا بعد الشر .. بس الجو حر شوية !!

.....

تذكر «محمود» هذه المحادثة التي دارت بينه وبين زوجته. ثم نظر إلى ساعته وكانت قد تجاوزت السابعة والربع فنوى أن يصعد إلى المدير - نسيبه المقبل - ليشكو إليه الممرض «محسن» زميله لأنه تجرأ وتأخر ربع ساعة كاملة. وبينما هو يستعد للخروج من المكتب إذ دخل «محسن» مسرعًا وعلى وجهه علامات الأسف والإعتذار :

محسن : (يلهث) أنا آسف يا ريس والله .. بقالي ساعة واقف في الشارع .. مفيش ولا ميكروباص.

محمود : والله .. إنسى الكلام ده .. أنا طالع للأستاذ يحيى دلوقتي أجيبلك خصم.

كان «محسن» يعلم بأمر زيجة المستقبل هذه. فخاف أن يطاوعه «يحيى» ويأمر له بخصم، لذا فقد تشبث بكمه زهر يرجوه ألا يفعل وهو مُصر على ذلك أشد الإصرار. حتي إذا يأس منه أرسله وقال له :

محسن : والله حرام عليك يا ريس محمود. الموضوع كله ربع ساعة.

محمود : المسألة مسألة مبدأ .. و لو سبتك النهاردة تتأخر ربع ساعة .. بكرة هتيجى متأخر ساعة.

محسن : والله أبدًا .. النهاردة السبت والمواصلات بتبقى زحمة.

محمود : ما ليش فيه .. لازم تتعاقب.

محسن : يا أستاذ محمود .. عشان خاطري والله لأعوضهم لك المرة الجاية.

محمود : المرة الجاية ؟ إبقى قابلني لو كان فيه مرة جاية .. دا أنا مش هاكلمه في خصم .. دا أنا هاخليه يفصلك.

محسن : يفصلني عشان إتأخرت عليك ربع ساعة ؟!!

محمود : ما أنا عارف إنك مش هتفهم أنيا قلت لك دى مسألة مبدأ.

علم «محسن» أنه لا فائدة، فانتهى عن المحايلة وقال له :

محسن : بقولك إيه يا أستاذ محمود ..؟

محمود : عايز إيه يا متسيب ؟

محسن : طظ فيك أنت والمبدأ بتاعك.

تفجر الغيظ من «محمود» وكاد يهجم عليه ليضربه لولا أن فطن فى اللحظة الأخيرة أن «محسن» أكبر منه في الحجم ثلاث مرات على الأقل فتراجع و لكنه أرغى وأزبد :

محمود : طظ فيا أنا ؟! والله لأوريك .. دا أنا مش هاخليه يفصلك .. دا أنا هاعمل محضر سب وقذف .. ظظ فيا أنا ؟!! حاضر.

وخرج من المكتب كالصاروخ متجهًا إلى مكتب مدير شئون العاملين - نسيبه المقبل - ودخل عليه المكتب كالصاروخ.

محمود : شايف يا أستاذ يحيى الممرض اللي .....

فوجئ بأن الحجرة خالية إلا من عامل النظافة الذى ينظف المكتب، فسأله محرجًا عن «يحيى» فعلم منه أنه قد خرج في مأمورية ولن يعود اليوم، عاد إلى حجرته فوجد «محسن» ما زال واقفا.

محسن : أستاذ محمود ...

محمود : (بصوت مرتفع) حظك كويس .. الأستاذ يحيى خرج .. بس أنا برضه مش هسيبك.

محسن : إسمع بس يا أستاذ محمود.

محمود : مش هاسمع منك ولا كلمة .. ولا هاقبل أي إعتذار.

محسن : يا أستاذ محمود إعتذار إيه ؟ البيت عندك إتكلموا وكانوا عايزينك.

محمود : البيت !! عايزين إيه .. م أنا مروّح .. ولا هي مصاريف مكالمات على الفاضي وخلاص.

كان «محسن» كباقي الزملاء يعلم مدى ما يتمتع به محمود من بُخل شديد.

محسن : يظهر إن كان فى حاجة مهمة .. المدام قالت لي أخليك تكلمها ضروري.

ظهر الإهتمام على وجه «محمود» واتجه إلى الهاتف على المكتب وخرج «محسن» بتهذيب ليترك له الحرية في الكلام.

ترون ترون

نعمات : ألو.

محمود : أيوه يا نعمات .. في إيه ؟

نعمات : إنت كويس يا أخويا ؟

يشعر «محمود» بالقلق من لهجة زوجته :

محمود : في إيه يا نعمات ؟ إتكلمي ؟!

نعمات : في حاجة كده عايزة أقولك عليها بس والنبي متزعل نفسك.

يتزايد القلق في صدر «محمود» فيصرخ فيها :

محمود : متتكلمي يا نعمات .. في إيه ؟ أمي جرالها حاجة ؟

نعمات : لأ يا اخويا بعد الشر .. دي حاجة بسيطة.

محمود : ولما هي بسيطة ما استنتيش لحد لما آجى ليه ؟

نعمات : ما أنا قلت أقولك وأنت في الشغل عشان على ما تيجى تكون هديت.

محمود : (يصرخ بصوت عال) متتكلمي يا ولية !!

نعمات : هاتكلم أهه .. أصل.

ثم تسكت مما يكاد يصيب «محمود» بنزيف في المخ.
محمود : يا ولية إتكلمى لأجي أطين عيشتك.
نعمات : أصل .. أصل سميرة غلطت غلطة كبيرة قوي.
أحس «محمود» أن زلزالا قد أصابه، ما معنى هذا الكلام، بنته قد رباها أحسن تربية، خرج منه صوته بالكاد وهو يسقط على المقعد.
محمود : غلطت إزاي ؟
نعمات : هاقولك يا أخويا .. إنت سيبت لي الفلوس بالليل قلت أقوم من بدرى أشترى الحاجة من السوق.
محمود : يا ولية أنتِ هتحكي لي حدوتة ؟!
نعمات : صبرك بالله يا أخويا .. أنا جيالك أهه .. أول ما نزلت عديت على الفرارجي ونقيت ديك رومي حلو كده وقلت له يدبحه وينضفه ويبعته مع الواد الصبي بتاعه على الشقة يديه لسميرة عشان تغسله وتنضفه كويس على ما آجي من السوق.
محمود : يا ولية إخلصى .. يا ولية هاطلقك !!
نعمات : راح الواد قعد يخبط لحد ما صحاها من النوم قامت واخده منه الديك وحطته على السفرة ومقفلتش الباب وراه كويس لما نزل .. ودخلت نامت تاني.
محمود : الله ينتقم منك .. يا ولية هاتي المفيد !!
نعمات : ما أنا باقولك أهو يا أخويا .. قامت القطة دخلت من الباب وراحت واخداه وخرجت بيه ونزلت السلم وقعدت تاكل فيه هي وولادها تحت بير السلم.
محمود : يا نهار أبوكو إسود .. القطة كلت الديك ؟!!
وكانت الصدمة كاسحة، فكاد يغشى عليه من الكمد ولم يستطع أن يتكلم.
نعمات : محمود .... والنبي ما تزعل نفسك يا أخويا.

لا يرد «محمود» فقد كانت الصدمة أكبر وأفدح وأعظم من أن يتحملها، أحس أن الدنيا تسود من حوله، وبعد فترة من الصمت الرهيب وبعد أن كادت «نعمات» تموت رعبًا هي الأخرى، تكلم :

محمود : كان بكام الديك ؟

نعمات : (بصوت مبحوح) بمية وستين جنيه بس.

محمود : بس ؟!! بتقولي بس يا وليه ؟!!

نعمات : فداك يا راجل .. ربنا يخليك لينا أهم حاجة.

محمود : لأ مش دى أهم حاجة .. أهم حاجة إن أنا هاجي أخرب بيوتكم .. ميه وستين جنيه راحو في الأرض يا نعمات ؟! ربنا ينتقم منك يا نعمات .. مش أنتِ اللي طلعتيها في دماغي .. مش أنتِ السبب .. ربنا ينتقم منك يا نعمات كمان مرة.

نعمات : إمسك نفسك يا اخويا شوية .. الحمد لله على قد كده .. أهم حاجة هانعمل إيه مع الناس اللي جايين بالليل ؟!

إنتفض «محمود» فزعًا وقد تذكر :

محمود : يا نهار اسود ومنيل بستين نيلة .. دا الناس جايين بالليل .. هاعمل إيه دلقوتي ؟! خربتي بيتي أول وآخر يا نعمات.

نعمات : يا محمود إهدا .. عاوزين نفكر هانعمل إيه.

محمود : هانعمل إيه ؟ أهي المصيبة حلت واللى كان كان !

نعمات : طيب فكر معايا فى حل .. هانقول إيه للناس ؟

محمود : أنا مافيش دماغ أفكر .. و كمان الراجل مشى ومش جي المستشفى تاني.

نعمات : يادي النيلة وبعدين .. آه طيب ما تكلمه على المحمول.

محمود : (يصرخ فيها) آآه ما هي ناقصة مصاريف .. شوفي الدقيقة بكام .. عشان تكمل .. وهاقوله إيه بقى إن شاء الله ؟!

نعمات : قول له .... قول له إن مراتي عيانة قوي.

محمود : إلهي ربنا يسمع منك يا شيخة .. هاقوله إن مراتي ماتت .. بس مش هاينفع ما هو هيعرف .. هقوله ربنا هدها .. هاقول له جالها شلل.

نعمات : ماشي يا سيدي .. قول له أي حاجة .. بس إتصرف.

أغلق الهاتف في وجهها، وقام مستندًا على المكتب وكأنه قد كبر سنه عشرين سنة مرة واحدة. دخل «محسن» ورآه في تلك الحال فشعر بالقلق عليه :

محسن : في إيه يا ريس محمود .. مالك كفى الله الشر.

نظر له «محمود» نظرة خاوية يائسة بائسة، كان ضياع المال بالنسبة له كموت واحد من أبنائه أو يزيد، كان يحب المال حبًا جمًا، بل كان يعبد المال، لم يكن فقيرًا أو محتاجًا فقد وفر خلال سني عمره ما يكفيه حتى يموت، ولكن كانت متعته الكبرى هي وضع القرش على القرش، ولما يكتمل الجنيه وينضم إلى إخوته فإن هذا يكون بمثابة عيد عنده. كرر عليه «محسن» السؤال فنظر إليه «محمود» تلك النظرة مرة أخرى، ثم وكأنه أفاق لما رأى الهاتف النقال الخاص بـ«محسن» فقال له :

محمود : معلش يا محسن .. ممكن أتكلم من المحمول بتاعك .. مكاملة صغيرة .. مش هطول.

كان «محسن» شهمًا لذا فقد أسرع بإعطائه له ناسيًا ما حدث منه منذ دقائق. أمسك المحمول وسأل «محسن».

محمود : تعرف نمرة الأستاذ يحيى ؟

محسن : (بحذر) ليه ؟ أنت لسة عايز تشتكيني برضه ؟!

محمود : (بابتسامة مداهنة) أنا أشتكيك برضه يا محسن .. دا أنت أخويا !!

أمسك «محسن» الهاتف وإستحضر نمرة «يحيى» وطلبها له وأعطاه الهاتف.

يحيى : ألو.
محمود : أيوه يا يحيى بيه.
يحيى : مين معايا ؟
محمود : أنا محمود الوكيل يا يحيى بيه.
يحيى : أيوه يا محمود .. أنا هاجي أنا والولاد في الميعاد .. مش محتاج تفكرني يا راجل.
محمود : معلش يا محمود بيه أنا آسف والله.
يحيى : خير يا محمود ؟
محمود : أصل المدام تعبت شوية.
يحيى : (منزعجًا) يا ساتر يا رب.
محمود : متقلقش يا أستاذ يحيى بسيطة إن شاء الله.
يحيى : خير طمني ؟
محمود : جالها جلطة !!
يحيى : أعوذ بالله.
محمود : وشلل نصفي !!
يحيى : لا إله إلا الله .. أنا هاجيلك على طول .. لازم أكون جنبك في الموقف ده.
محمود : (منزعجًا) لا لا .. لا يا يحيى بيه إوعى تيجي .. دي حاجة بسيطة إن شاء الله.
يحيى : متقولش كده يا محمود .. إحنا بقينا أهل دلوقتي.
محمود : لأ والله ما تتعب نفسك .. الدكتور طمنا .. و هي عند والدتها دلوقتي.
يحيى : طيب يا محمود معلش .. ربنا هيسترها إن شاء الله .. لو عوزت أي حاجة كلمني على طول .. و أنا هابقى اتصل بيك أطمن على المدام .. مع السلامة.

محمود : مع السلامة .. مع السلامة.
أغلق الخط وزفر في قوة وكأن جبلا نزل من على كتفه، ناول الهاتف لـ«محسن» الذي سمع المكالمة وتأثر بشده وعرض عليه المساعد ولكنه تركه بغير أن يرد عليه وخرج من المستشفى. كانت الساعة حوالي الثامنة، وكان عادة ما ينتظر الأوتوبيس الذي يمر في الثامنة والنصف ليوفر ربع جنيهًا كاملا !! ولكنه هذه المرة كان يعلم أن قدميه لم تكن لتحملاه فذهب إلى موقف الميكروباصات.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!!
ويصعد ثلاثة رجال وفتاة .. «محمود» تومرجي في مستشفى التأمين بشبرا، «إسماعيل» رجل في الأربعين له لحية وتبدو عليه سيماء الصلاح، «عادل» شاب هادئ تبدو عليه الطيبة، «منى» طالبة ثانوي ترتدى حجابًا.

.....

يركب «محمود» السيارة ويجلس خلف السائق وهو في دنيا أخرى غير دنيا الناس. دقائق وصعد السائق الأسطى «عبده».
عبده : الأجرة جنيه ونص يا حضرات من قبل ما نتحرك
تتعالى همهمات إعتراض من الركاب.
عبده : اللي مش عاجبه ينزل .. إحنا لسة في الموقف.
محمود : ليه يا اسطى ؟ إحنا كل يوم بنركب بجنيه وربع.
عبده : يا بيه البنزين غلي والكارتة غليت.
محمود : بنزين إيه اللي غلي يا اسطى هو إحنا مش عايشن في البلد ولا إيه ؟!!

.....

كـاد «محمـود» أن ينـزل بالفعـل ولكنـه تـذكر موعـد عملـه فـي المستشفى الميري فجلس وهو يغلي من الغيظ.

محمود : (محدثًا نفسه) يلا عشان تكمل.

مـن الـذي قـال أن المـصائب لا تـأتي فـرادى، أظـن أنـه شـخص عبقري. توالى الركاب وبدأت الـسيارة فـي المـسير وهـو فـي واد آخر. كان يحسب خسائره.

محمود : (محدثًا نفسه) ديك رومي بمية وستين جنيه، وخمـسين قرش فـرق المواصلات، يبقـوا ميـة وسـتين ونـصف .... واللـه يـا نعمات أنتِ وبنتك لطلعهم على عنيكم .. هاخصمهم من أكلكم.

ثم إنتبه إلى أمر آخر.

محمود : (محدثًا نفسه) يادي النيلة .. يادى النيلة .. دا أنا نسيت إن لسة فـي عزومـة لازم أعـزم الراجـل تـاني .. دي كـده دخلـت ييجي في تلتمية وخمسين جنيه .. الله يبتليكِ بتلتمية وخمـسين عفريت يلبسوك يا نعمات يا وش الخراب !!!

كان موشكا على الجنون، وكاد الدخان يتصاعد من عقلـه لـو كـان لهذا أن يحدث، كل هذا المبلغ من المال يخسره فـى يـوم واحـد، إن الموت أهون من هذا وأخف. وفجأة أفاق من أفكاره على صراخ الركاب وهـم يحـاولون أن ينبهـوا الـسائق الـذي يـسير بهـم نحـو الموت. ولما فهم الموقف بدأ يصرخ معهم.

.....

جمال

بقلم : عماد حجاب

وضع الحاج «علي» النقود على المكتب وهو يقول :
علي : والله يا حاج جمال ما معايا غيرهم.
جمال : الله يكرمك ياحاج علي متحرجنيش .. أنا قلت لك مينفعش.
علي : والله يا حاج جمال ما أنت كاسفني .. وإن شاء الله نعوضها في حاجة تانية .. أهو أخوه السنة الجاية هنجوزه برضه ومش هنروح لحد غيرك.
جمال : يا حاج علي دول خمسميت جنيه .. هو إحنا بنتكلم في خمسين جنيه ؟ ده العربية اللي هتنقلهم من دمياط لحد هنا لوحدها بتاخد متين جنيه .. يعني يرضيك أحط من جيبي ؟
علي : معلش .. إعتبر ياسر زي إبنك .. والله لو معايا مكنتش إتأخرت .. ربنا يعلم إحنا دبرنا الفلوس دي إزاي.
نظر «جمال» إلى «ياسر» الجالس بجوار والده وقد إرتسمت على وجهه علامات الرجاء و الإستجداء، ثم نظر إلى الأرض وكأنه يفكر بعمق :
جمال : يا حاج علي أنت عارف إن أسعارى مش موجودة عند حد .. وأنا أصلا عاملك تخفيض كبير .. ما تجيش عليّ أكتر من كده.

علي : يا حاج والله وحياة أولادي ما معايا غيرهم.
جمال : طيب أدفع حتى حق المشال.
علي : إحنا طمعانين في كرمك .. وعارفين إنك هترجعنا مجبورين.
في هذه اللحظة إرتفع صوت أذان الظهر من المسجد المجاور.
علي : (باستجداء) وحياة الأذان ده ما أنت كاسفنا.
زفر «جمال» بعمق ونظر لهما، ثم أخيرًا إبتسم فكأنما أشرقت الدنيا في وجهيهما.
جمال : وأنا ما أقدرش أرد لك كلمة يا حاج .. ألف مبروك.
قام الحاج «علي» وولده «ياسر» يقبلان «جمال» ويقدمان له أسمى عبارات الشكر والعرفان.
علي : الله يكرمك .. الله يعمر بيتك .. ربنا يزيدك.
ياسر : ربنا يخليك يا عم جمال .. أنا مش عارف أشكرك إزاي.
جمال : العفو .. العفو.
أمسك «ياسر» بالكاتالوج وأشار إلى صفحة فيه وقال :
ياسر : متنساش يا حاج .. الرسمة دي بس لميع مش مط .. والسرير يبقى مترين وعشرة مش مترين.
علي : آه يا حاج والنبي .. أصل ياسر زي ما أنت شايف كده .. طويل زي النخلة.
فيضحكون بصوت مرتفع، ويمسك «جمال» بورقة وقلم ويدون رقم الصفحة وتعديلات «ياسر».
جمال: (ضاحكا) ربنا يخلي .. بس متنساش تعزمني على الفرح يا أستاذ ياسر.
ياسر : يا نهار أبيض .. والله لتكون أول واحد أعزمه إن شاء الله.
علي : وأنت محتاج عزومة يا حاج جمال !! دا إحنا نتشرف بيك.
جمال : الله يكرمك .. ربنا يتمها على خير.

ياسر : أهم حاجة الميعاد اللي إتفقنا عليه يا حاج جمال .. أنا هاعمل حسابي على كده.

جمال: هما أسبوعين بالكتير زي ما إتفقنا بإذن واحد أحد.

علي : على بركة الله .. نقرا الفاتحة بقى عشان ربنا يبارك.

يرفع كل منهم يده أمام وجهه ويغمض عينيه ويبدأ في قراءة الفاتحة.

جمال: .... ولا الضالين آمين.

يقوم «علي» وولده ليسلما على «جمال» ثم ينصرفان، وبمجرد أن يخرجا من باب المعرض يمسك «جمال» النقود ويبدأ في العد.

.....

"السلام عليكم ورحمة الله ... السلام عليكم ورحمة الله"

إنتهى الشيخ «عواد» إمام المسجد الكبير من صلاة الظهر ثم التفت للمصلين وسلم على المحيطين به كعادتهم بعد كل صلاة، ثم أمسك بالميكروفون :

عواد : يا إخوانا يا مصلين .. يا أحباب رسول الله .. المسجد محتاج مصاريف كتير .. إحنا جمعنا لغاية دلوقتي ميت ألف جنيه ومحتاجين قدهم كمان .. اللي ربنا يقدره على دفع أى مبلغ ميبخلش على بيت ربنا.

وأخذ يردد هذا الكلام أكثر من مرة حتى إنصرف المصلين إلا خمسة رجال يبدو أنهم القائمين على أمر المسجد، ثم أغلقوا الباب عليهم وجلسوا يتحاورون.

عواد : لقيت قد إيه فى الصناديق النهاردة يا حاج يونس ؟

يونس : حوالي تلتميت جنيه.

عواد : وأنت لميت كام يا حاج حسنين ؟

حسنين : أنا لقيت النهاردة لفة كبيرة والحمد لله ربنا وفقني وجمعت حوالي ستميت جنيه.
عواد : الحمد لله .. ماشيين كويس بس لسة بدري .. وأنت عملت إيه في الأوقاف يا حاج رضا ؟
رضا : قالوا لي مش هينفع السنة دي ولا السنة اللي جاية ولا حتى اللي بعدها .. الميزانية متسمحش إنهم يساعدونا بحاجة.
عواد : لا إله إلا الله .. يعني نستنى لحد ما المسجد يقع فوق دماغنا ؟
ثم التفت إلى الرجل الخامس الذي كان مغمضًا عينيه ويمسك بسبحته يسبح عليها.
عواد : متشور علينا يا حاج جمال.
رفع «جمال» عينيه إليه في هدوء وكان ما زال يتمتم ثم قال :
جمال : بقولك إيه يا آبا الحاج عواد.
عواد : قول يا جمال.
جمال : أنا كنت بسأل يعني .. هنفضل مستنين لحد إمتى .. يعني هنبدأ في ترميم الجامع إمتى ؟!
عواد : مش لما نجمع المبلغ المطلوب يا جمال .. إحنا لغاية دلوقتي مجمعناش غير نصه بس.
جمال: يا آبا الحاج السقف بيطأطأ .. إيه رأيك لو بدأنا الشغل بالمبلغ اللي معانا دلوقتي والناس لما تلاقي الشغل شغال هيدفعوا لنا أكتر.
عواد : بس لو بدأنا دلوقتي ممكن الفلوس تقصر معانا ومنقدرش نعمل اللي إحنا عايزينه.
يونس : و الله يا آبا الحاج أنا شايف إن رأى الحاج جمال صح.
عواد : أيوه بس خد بالك أنا كل اللي يهمني المدنيَ.
جمال : إن شاء الله هتبقى أعلى مدنىَ في المركز كله.

عواد : أيوه لازم تبقى أعلى من مدنة كفر شبين.
رضا : بس فعلا الفلوس كده مش هتكفى .. دول الصنايعية بس بتوع القبة والمدنى لوحدهم عاوزين ييجى خمساتشر ألف جنيه.
جمال : أيوه دي بأسعاركم أنتم .. أنا بقى عندي الصنايعية اللي ممكن يعملوا كده بنص الثمن.
رضا : فين دول يا أخويا .. إيدى على كتفك.
جمال : في بلدنا .. في دمياط .. إنتم نسيتوا إني دمياطي ولا إيه؟
حسنين : طيب والموَن ؟
جمال : والمون هناك برخص التراب.
عواد : والله يا جمال يابني .. شوف أنت بقالك معانا سنة واحدة .. بس كأنك من أصل البلد.
حسنين : آه والله يا عم عواد .. الحاج جمال كأنه واحد مننا بالظبط.
جمال : الله يكرم أصلك يا عم الحاج .. إحنا خدامين بيت ربنا.
عواد : طيب تبقي دي مهمتك يا بطل .. تاخد الفلوس وتسافر تجيب لنا المون والصنايعية.
رضا : طب والمنبر ؟ نسينا المنبر !!
جمال : دي شغلتي أنا بقى .. أحلى وأجمل وأكبر منبر هيتعمل مخصوص وأجيبه معايا يتركب هنا.
عواد : الله ينور عليك .. دا أنت كده حليت لنا مشكلة كبيرة أوي.
حسنين : طب إيه رأيك لو جبت سيراميك الحمامات بالمرة من هناك .. بيقولوا هناك السيراميك أرخص برضه.
رضا : إحنا كده هنتقل على الحاج جمال يا حاج حسنين !
جمال : أبدًا أبدًا .. أي حاجة فيها مصلحة للجامع ما أقدرش أتأخر أبدًا.

يونس : طيب .. بالمرة بقى تجيب لنا من هناك أطقم الحمامات.
عواد : لأ كده يبقى كتير على الراجل ياجماعة.
جمال : ولا كتير ولا حاجة .. التجار اللي هناك كلهم حبايبي ولما يعرفوا إن الحاجات دى لبيت ربنا مش هيتأخروا.
عواد : ربنا يجزيك خير يا رب.
جمال : الله يخليك يا حاج عواد .. ربنا يتقبل مننا أهم حاجة.
عواد : طيب يا بطل .. يبقى أنت تاخد الفلوس كلها وتاخد المقايسات وتنزل على دمياط تشترى لنا الحاجة وتتفق مع الصنايعية.
جمال : أنا في الخدمة .. أنا تحت أمركم.
رضا : وناوي تتوكل على الله إمتى كده بالسلامة ؟
جمال : إن شاء الله بكره الصبح بدري.
عواد : بألف سلامة إن شاء الله .. وهتقعد قد إيه ؟
جمال : هما أسبوعين بالكتير على ما أتفق مع الصنايعية وأشتري الحاجات وأخلص شغل المعرض بتاعي.
عواد : على بركة الله .. قوم يا حاج رضا على البنك إسحب الفلوس وإبقى وديهم للحاج جمال في المعرض بتاعه.
وإنفض الإجتماع.
.....

كانت الحجرة قد عبأها الدخان وكان «زكي» فراش (معرض الحاج جمال للموبيليا) يمر على الموجودين بأكواب الشاي.
جمال : إتفضلوا يا جماعة .. إتفضل يا حاج نبوي.
كان الحاج «نبوي» رجلا فلاحًا في الخمسين من عمره وكان معه رجلان وشاب.
نبوي : يزيد فضلك يا حاج جمال .. أعرفك.

ثم أشار إلى رجل في الأربعين من عمره يبدو أنه فلاح أيضًا.
نبوي : ده كامل أخويا.
وأشار إلى شاب فى العشرين من عمره.
نبوي : وده سعيد إبني.
وأشار إلى رجل في الثلاثين من عمره يرتدي بذلة كاملة.
نبوي : الأستاذ حجاج المحامي.
جمال : يا أهلا و سهلا .. إنتوا شرفتونا.
نبوي : طبعًا حضرتك عارف إحنا جيين لك فى إيه يا حاج جمال.
جمال : (مبتسمًا في ود) أيوه طبعًا .. جودة قال لي.
ثم التفت إلى جودة الذي كان يجلس بجواره مبتسمًا.
جمال : جودة ده أجدع سمسار أراضي عندنا.
جودة : ده من ذوقك يا حاج جمال.
نبوي : إحنا رحنا معاه وشوفنا الأرض وعجبتنا وقيسناها وكنا عايزين نشتريها.
جمال : أيوه بس أنا عايز أبيعها كلها حتة واحدة.
نبوي : وإحنا جاهزين .. بس كنا عايزين نتكلم فى السعر شوية.
جمال : والله يا حاج نبوي أنت عارف إن الأرض في الحتة دي تسوى أكتر من كده وأنا لولا إني معذور في قرشين عشان المعرض مكنتش أفكر أبيعها أبدًا.
نبوي : أيوه يا حاج مقلناش حاجة .. بس سبعين ألف في القيراط كتير علينا.
جمال : ما هو ده السعر اللي ماشي هناك يا حاج .. دي أرض بُنا مش زراعة.
نبوي : بس إحنا هناخد الست قراريط كلهم.
جمال : ولو كانوا عشرين قيراط .. مقدرش أبيع بأقل من كده.

نبوي : يا حاج أنت عارف إن إحنا مش من البلد .. يعني إحنا ضيوفكم وكنا طمعانين في كرمك.

جمال : أنتم على راسي من فوق .. بس ....

نبوي : (مقاطعًا) مفيش بس ولا حاجة .. نقول ستين ونقرا الفاتحة.

جمال : لا لا .. يا نهار أبيض .. أنزل عشر تلاف في القيراط .. مينفعش يا حاج !!

نبوي : طيب قولنا كلمة تانية .. بس سايق عليك النبي لأنت مريحنا.

جمال : أيوة بس أنت بعدت أوى يا حاج نبوي.

نبوي : طيب قولنا أنت كلمة حلوة.

جمال : طيب .. حاضر .. عشان بس أنتم ضيوفنا .. هابيع على سبعة وستين.

نبوي : بقى ده إسمه كلام يا حاج .. دا أنت معملتلناش خاطر خالص.

جمال : إزاي بقى دا أنا منزل تلتلاف في القيراط يعني تمنتاشر ألف جنيه في الست قراريط.

كامل : بس إحنا عشمنا فيك أكتر من كده يا حاج جمال.

جودة : ريحهم يا حاج .. عشان خاطري.

جمال : (مبتسمًا) عشان خاطرك ولا عشان السمسرة بتاعتك !!

يضحكون وتعلوا أصواتهم ويستبشرون بضحك جمال.

جمال : طيب أنا هاعمل معاكم واجب ماتعملش قبل كده.

نبوي : ودا عشمنا فيك يا حاج جمال.

جمال : أنا هابيع علي خمسة وستين ودا آخر كلام عندى.

كامل : يعني مفيش كلام تانى ؟

جمال : أبدًا والله .. مقدرش .. مترضوليش الخسارة.

نبوي : ربنا ما يجيب خسارة .. على البركة .. الفاتحة.
يرفعون أيديهم إلى وجوههم و يقرأون الفاتحة.
ولا الضالين .. آمين
ينتهي «حجاج» المحامي من قراءة الفاتحة.
حجاج : طيب ممكن أشوف العقود القديمة يا حاج جمال ؟
جمال : معيش غير العقد اللي أنا إشتريت بيه بس.
حجاج : طيب والعقود القديمة فين.
جمال : ما أعرفش .. أنا ما أخدتش غير العقد الجديد بتاعى بس .. وأنا هاعمل إيه بالعقود القديمة ؟! هاقوم أجيبه م الخزنة في الأوضة التانية.
ثم نهض فالتفت المحامي إلى الحاج نبوي.
حجاج : يا حاج لازم يكون معاه العقود القديمة.
نبوي : ولزمتها إيه بس .. ما إحنا هنكتب عقد جديد.
حجاج : عشان نطمن بس لتاريخ الأرض.
جودة : إطمن يا أستاذ .. إطمن يا حاج نبوى .. الحاج جمال سمعته زي اللبن الحليب.
حجاج : يا جماعة أنا مقولتش حاجة .. بس دي إجراءات.
جودة : يا حاج نبوي .. إطمن .. وخد بالك أنا عندي تلات مشترين جاهزين .. متضيعش البيعة من إيدك عشان شوية كلام فاضي .. أنت واخد الأرض بسعر خرافي.
حجاج : (معترضًا) ده مش كلام فاضي يا حاج جودة .. دا شغل.
نبوي : خلاص يا أستاذ حجاج .. الله يكرمك .. مش عاوزين نبوظ البيعة.
حجاج : طيب يا حاج .. بس أنا باخلى مسؤليتي قدامكم.

يدخل «جمال» فيسكتون، ويأمر لهم فراش المعرض بأن يأتيهم بشراب بارد، ويناول المحامي، العقد الذي إشترى به الأرض، فيتفحصه المحامي، ويبدأ في كتابة العقد الجديد.

جمال : أول ما تحب تعمل صحة توقيع إبقى إتصل بيا أروح معاك المحكمة.

نبوي : إن شاء الله يا حاج.

حجاج : ممكن بطاقتك يا حاج.

جمال : (يناوله البطاقة) إتفضل يا سيدي.

حجاج : (متعجبًا) إيه ده ؟! دي بطاقة كرتون .. أومال فين بطاقة الرقم القومى ؟!

جمال : (مبتسمًا) لسة ما عملتهاش.

ثم يضحك بصوت عال يشعر فيه «حجاج» بالإفتعال، ثم ينظر إلى الحاج «نبوي» وكأنه يستشيره، فيشير له الحاج «نبوي» بالموافقة. وهكذا ينتهون من كتابة العقد، وعد النقود وتسليمها إلى «جمال» وينهضون ويشيعهم «جمال» إلى باب المعرض ويعود فيجد «جودة» في إنتظاره.

جمال : (مبتسمًا) نعم .. مستني إيه أنت كمان ؟

يبتسم «جودة» إبتسامة صفراء و يقول له :

جودة : مستني حسنتي .. بس إيه رأيك المرة دي ؟

جمال : عال .. على العموم آهي آخر مرة.

جودة : آه والله .. هتوحشني وهتوحشني أيامك.

يعد له «جمال» نصيبه ويعطيه إياه.

جودة : كام دول ؟

جمال : خمسين باكو.

جودة : نعم ؟! خمسين باكو ؟! إحنا مش متفقين على ستين يا راجل أنت ؟!

جمال : ستين قطر لما يدوس عليك .. الكلام ده لو كانت البيعة تمت بسبعين يا روح أمك.
جودة : (مبتسمًا) طيب يا أخي خلي عندك ذوق وإديني مكافأة نهاية الخدمة.
جمال : متخليني أنت عندك ذوق وتقوم تروّح عشان عايز أجهز نفسي .. عشان مسافر الصبح.
جودة : (ينفخ في أسى) متخليك شوية كمان.
جمال : لا .. مينفعش .. كده رضا أوي .. أكتر من كده خطر.
جودة : طيب م تاخدني معاك .. أنا برضه ماليش حد هنا !
جمال : ماينفعش .. أنا باحب أشتغل لوحدي.
جودة : طب قولي هاتروح فين ؟
جمال : برضه ما ينفعش .. خد بالك .. لازم تختفي أنت كمان.
جودة : يا عم أنا خلاص .. هاخرج من مكتبك على المحطة على طول .. والله كانت أيام حلوة.
ثم يقوم ويعانق «جمال» وينصرف.

.....

كان الحاج «جمال» قد عاد من صلاة العصر وأحضر له فراشه الغداء من الحاتي المجاور لهم، وبعد قليل دخل عليه.
زكي : فيه اتنين بره عايزينك يا حاج.
جمال : مين ؟
زكي : الحاج رضا والحاج حسنين.
جمال : دخلهم بسرعة يا واد وهات لهم حاجة ساقعة.
يخرج الفراش ويدخل بهم فينهض «جمال» من على مكتبه ليستقبلهم.
جمال : يا أهلا يا أهلا .. ده إيه النور دا كله.

حسنين : دا نورك يا حاج جمال.
جمال : إتفضلوا .. يا ألف مرحب.
رضا : أومال المعرض فاضي ليه كده يا حاج جمال ؟!
جمال : ما أنا نازل إن شاء الله أجيب بضاعة.
يرفع الحاج «رضا» على المكتب حقيبة من النوع الرياضي ويفتحها فتبدو بداخلها النقود.
رضا : على البركة .. إتفضل يا عم .. ميت ألف جنيه بالتمام والكمال.
جمال : على البركة .. إستنوا بقى لحد ما أكتب لكم وصل الأمانة.
ينظران إلي بعضهما بإستنكار.
حسنين : وصل أمانة إيه يا راجل ؟! مش عيب لما تقول حاجة زي كده ؟!
رضا : جرى إيه يا حاج جمال .. بتزعلنا منك ليه ؟!
يفتح «جمال» درج مكتبه ويخرج دفتر يقطع منه ورقة ويبدأ في ملئ بيانتها.
جمال : والله ما يكون أبدًا .. دا حق ربنا .. وبعدين محدش ضامن الموت من الحيا.
حسنين : ربنا يبارك في عمرك يا حاج جمال.
رضا : والله ما كانش له لازمة يا حاج جمال.
جمال : لا والله .. يا إما كده يا إما مش هاخد الفلوس.
ينظران إلى بعضهما في إستسلام.
حسنين : خلاص اللي تشوفه يا حاج جمال.
رضا : بس والله الشيخ عواد هيزعل أوي.
جمال : الحق ما يزعلش يا حاج رضا .. وبعدين ربنا اللي أمرنا بكده.

حسنين : الله يزيدك يا حاج جمال .. والله الواحد يآمنك على عمره.
جمال : الله يكرمك يا حاج حسنين.
ثم يناوله الوصل الذي يأخذه متحرجًا.
جمال : أنا كتبت الوصل باسم الشيخ عواد.
رضا : على بركة الله.
ثم ينهضان ويهمان بالإنصراف.
جمال : مستعجلين على إيه .. الواد راح يجيب الحاجة الساقعة.
رضا : معلش .. مرة تانية .. عشان نسيبك تستعد لسفرك.
حسنين : (يصافحه) نشوفك على خير.
يصافحهما ويشيعهما إلى الباب ويعود إلى مكتبه.

.....

بمجرد أن خرجا من عنده، أخرج «جمال» من تحت المكتب حقيبة رياضية كبيرة وفتح السوستة فظهرت فيها رزم من النقود مكدسة ومرصوصة، فيرص جوارهم المائة ألف الأخيرة.
جمال : كده يبقوا إتنين مليون وربعمية ألف .. كويسين .. رضا والحمد لله.
نظر «جمال» إلى نتيجة الحائط وإبتسم. اليوم أكمل عامًا كاملا منذ أن وطأت قدمه أرض هذه البلدة، وكعادته لم يكن ينوي أن يعيش فيها يومًا واحدًا إضافيًا بعد اليوم.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!!
ويصعد خامس الركاب إلى الميكروباص .. «جمال» تاجر، سمين، أصلع.

.....

إختار «جمال» أن يركب في المقعد الخلفي لأن حقيبته كبيرة وحتى لا يضايق أحدًا، فجلس ووضعها على ركبتيه، كانت ثقيلة ولكنه ثقل محبب، فكلما إزداد الثقل كلما أشعره ذلك سرورًا.

شرد في أفكاره وفي الغد وفي المستقبل، ولم يفق من شروده إلا على صوت السائق.

عبده : الأجرة جنيه ونص يا حضرات من قبل ما نتحرك.

تتعالى همهمات إعتراض من الركاب.

عبده : اللي مش عاجبه ينزل .. إحنا لسة في الموقف.

محمود : ليه يا اسطى ؟ إحنا كل يوم بنركب بجنيه وربع.

عبده : يا بيه البنزين غلي والكارتة غليت.

محمود : بنزين إيه اللي غلي يا اسطى هو إحنا مش عايشن في البلد ولا إيه ؟!

عبده : (متبرمًا) بقولك إيه يا بيه .. مش عايز صداع اللي مش عاجبه ينزل ياخد عربية تانية.

جمال : خلاص يا جماعة .. مفرقتش كتير .. خلونا نخلص .. الجو حَر.

وبمجرد أن بدأت السيارة في طريقها حتى عاد مرة أخرى إلى شروده، حتى أفاق للمرة الأخيرة على صوت صراخ باقي الركاب فبدأ في الصراخ معهم من قبل أن يعرف سبب ذلك، فلما تبين السبب إحتضن الحقيبة بشدة وكأنه يستمد منها الحماية، أو هو يحاول أن يفديها بحياته. ولكن للأسف، الحقيبة لم تستطع أن تنجيه من مخالب الموت التي كانت تنهش فيه.

.....

" تمام يا فندم "

رفع العميد «التوني» عيناه المرهقتين إلى الواقف أمامه فوجد أنه النقيب «كريم».

التوني : اقعد يا كريم .. في أخبار ؟

كريم : في أخبار مهمة أوي يا فندم.

التوني : خير ؟

أخرج «كريم» بعض الأوراق من ملف يحمله ثم أشار إلى صورة فيه.

كريم : عارف سيادتك الراكب ده !

التوني : مش ده اللي كان حاضن شنطة الفلوس ؟

كريم : أيوه بالظبط يا فندم .. عارف طلع مين يا فندم ؟

التوني : طلع مين ؟

كريم : طلع النصاب اللي كنا بندور عليه من ست سنين.

.....

نعم الحاج «جمال» رجل البر والإحسان الذي لا تفارق المسبحة يده لص ومجرم ونصاب، وله طريقة فريدة في النصب على الناس، كان يعلم جيدًا أن المدن صعب فيها النصب على الناس، ناهيك عن كثافة الأمن فيها، ناهيك عن وعي الناس، ناهيك طبعًا عن تعرضك وأنت النصاب الكبير لأن ينصب عليك أحد !! من هنا بدأ العمل في القرى والأرياف البعيدة، ذات الناس الطيبين الذين يغلب عليهم السذاجة، فهذه أرض خصبة لم يعبث بها أحد قبله، فكان يذهب إلى البلد بشخصية محترمة، ولأنه يعلم أن الفلاحون والريفيون ينفرون من الغرباء فإنه كان يتصنع لهم ويتودد ويكثر من عمل الخيرات ويتبرع للمسجد ويصاحب شيخ الجامع ويصنع من الأشياء ما يكتسب به ثقتهم، وهكذا من عشر

سنوات، أي منذ كان في الثلاثين من عمره وهو ينتقل من بلد إلى قرية إلى ريف وكأنه نحلة يمتص رحيق الزهور زهرة بعد زهرة، وها هو منذ عشر سنوات كاملة لم يتم القبض عليه مرة واحدة وليس له ملف ولا يعرفه أحد من رجال الأمن، فقد كانت إستراتيجيته الأولى والأخيرة ألا يمكث في بلد واحد أكثر من عام، لأن المكوث أكثر من ذلك قد يعرضه للخطر وقد جرب ذلك مرة وكاد أن ينكشف لولا أن بادر بالفرار، وها هو ذا يثبت لنفسه أن هذه الاستراتيجية ناجحة مائة بالمائة، والاستراتيجية الثانية هي أنه بمجرد أن يستشعر الثقة في الناس فإنه يبدأ في العمل، فكان في المرة الأخيرة قد تطور و نضج فتقمص شخصية تاجر الموبيليا الذي يبيع بأرخص الأسعار وبالفعل ضحى ببعض المال في أول الأمر، ثم بعد ذلك إشترى أرضاً حتى يثبت رسوخه في البلد، كما هي عادة الفلاحين، وحين اقترب موعد إنهاء تعاقده مع هذه البلد، أعني إنتهاء العام الذي حدده لنفسه بدأ في جمع غلته، فباع أرضه الواحدة ثلاث مرات بمساعدة «جودة» النصاب الذي لا تخلو منه قرية، وبدأ في النصب على الناس بأخذ أموال موبيليا على أساس أنه سيشتريها لهم، والكل يأمن له ويطمئن، فكيف يشكون في الحاج «جمال» .. ده كلام برضه !!!

.....

أخرج «كريم» صورة مرسومة باليد لـ«جمال» رسمها رسام الشرطة بناء على مواصفات الذين نصب عليهم قبل ذلك.

التوني : يا سبحان الله .. شوف نهايته كانت إزاي .. ياترى مسمي نفسه إيه المرة دي ؟!

كريم : لقينا معاه بطاقة قديمة مسمي نفسه فيها جمال.

التوني : آه .. لازم تكون بطاقة قديمة عشان تزويرها يكون سهل.

كريم : الغريب يا فندم إن الفلوس مجراش ليها أي حاجة.
التوني : سبحان الله .. أكيد فلوس ناس غلابة كان ناصب عليهم.
كريم : فعلاً يا فندم.
التوني : وعملت إيه ؟
كريم : بعت للبلد اللي ركب الميكروباص من عندها وسألنا عن أكبر ناس فيها فدلونا على شيخ البلد وإمام الجامع الكبير فبعت جبتهم.
التوني : و هما فين ؟
كريم : مستنيين بره يا فندم.
التوني : طيب دخلهم بسرعة.
أدخلهما «كريم» فأحسن العميد «التوني» إستقبالهما وأجلسهما في الأنتريه وجلس معهم مبتسماً بود. كانا مازالا لا يعلمان شيئاً.
التوني : أهلا وسهلاً.
طبعًا كانا في شدة القلق، فهما في مديرية الأمن، ووجودهما هنا في حد ذاته أمر مرعب.
شيخ البلد : أهلا بسعادتك يا باشا.
عواد : في حاجة يا باشا كفى الله الشر ؟!
التوني : أبدًا .. مش عايزكم تقلقوا خالص .. إحنا جبناكم النهاردة عشان تتعرفوا علي واحد.
شيخ البلد : مين يا باشا ؟!
أشار «التوني» إلى «كريم» فأعطاه الملف فأخرج منه صورة «جمال» المرسومة، وبطاقته.
التوني : تعرفوا الراجل ده ؟
نظرا إلي الصورة بتدقيق ثم نظرا إلى بعضهما في دهشة.
عواد : آه طبعاً نعرفه.
شيخ البلد : أيوه .. دا الحاج جمال تاجر الموبيليا.

التوني : الله يرحمه بقى.
ينتفض الشيخ «عواد» وشيخ البلد ويبسملان ويحوقلان.
عواد : يا نهار أبيض .. مات .. مات إزاي ؟!
التوني : مات في حادثة ميكروباص.
عواد : دا كان معاه ميت ألف جنيه بتاعة الجامع .. لا حول ولا قوة إلا بالله.
التوني : متخافش يا حاج عواد .. الفلوس موجودة والحمد لله.
عواد : (يتنفس الصعداء) الحمد لله .. والله يرحمك يا حاج جمال .. ده مات شهيد يا باشا .. ده كان رايح يشتري حاجات للجامع.
ينظر «التوني» إلى «كريم» ويبتسمان.
التوني : إحمد ربنا يا حاج عواد .. جمال ده كان نصاب كبير .. وكان ناوي يهرب بالفلوس لولا إرادة ربنا.
نزل الخبر عليهما كالصاعقة، فمن يتصور ومن يتخيل أن يكون الحاج «جمال» الذي كان كالملاك الطاهر يكون في النهاية نصابًا.
عواد : لا إله إلا الله .. سيادتك متأكد يا باشا .. أكيد في حاجة غلط.
التوني : يا حاج عواد .. إحنا لاقينا معاه في الشنطة إتنين مليون وربعميت ألف جنيه.
يخرج الحاج «عواد» منديلاً كبيرًا يجفف به عرقه، وقد أحس أن الحجرة تدور به، فقام مستندًا على شيخ البلد وخرجا من الغرفة يشيعهما العميد «التوني» الذي ما إن خرجا حتى جلس على مكتبه يفكر، سبحان الله، كل أجهزة الأمن كانت تبحث عنه وكلها فشلت في العثور عليه والذي وجده هو الموت. ثم رفع رأسه إلى «كريم» الذي ما زال واقفًا.
التوني : إيه يا كريم .. في حاجة تاني ؟!
كريم : أيوه يا فندم في حاجة مش هتصدقها سعادتك.

التوني : خير يا كريم .. أنت يومك كله مفاجآت النهاردة !!
إبتسم «كريم» وأخرج له صورة مشبوك فيها صورة بطاقة، أمسك «التوني» بالصورتين و تمعن فيهما.
التوني : شوقي ده من ضمن اللي كانوا في الحادثة .. مش كده ؟!!
كريم : تمام سعادتك يا فندم.
التوني : وإيه ظروفه ده كمان ؟!
كريم : مفاجأة رهيبة يا فندم مكناش نتوقعها.

.....

مصطفى وكريمة

بقلم : أحمد مراد

إستقل «مصطفى» و«كريمة» تلك السيارة التي ستتجه بهما إلى المؤسسة، جلسا بجوار بعضهما البعض وكل منهما لا يحري حديثًا وإنما إنطلقت بهما الذكريات، كل منهما يتذكر ما مر بهما في السنوات الماضية.

لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد .. فقد يخبطك موتوسيكل وتروح فيها.

جملة خفيفة الظل خطها «مصطفى» بعناية وقام بتزيينها على ورق مقوى ووضعها بحافظته، ومن العجيب أنه لم يعمل بها يومًا. «مصطفى» مهندس ميكانيكا خفيف الظل في الخامسة والثلاثون من عمره، له نظرة خاصة نحو كل الأشياء، وأهم هذه الأشياء مسألة الزواج، كل زملائه فور تخرجهم لا تسأل أحدهم عن أمنيته إلا ويقول له أتمنى الزواج وأن يجمعني الله ببنت الحلال، وقد يكون بعضهم معسرًا ولكن همه الأول هو الزواج وتتوقف الدنيا كلها على أمر هذا الزواج. ومن العجيب أن كلهم بعد زواجهم يشتكون مُر الشكوى ويقسمون بأنهم كانوا مجموعة من السُذَج، وأنه الوحيد الذي فهم الأمر على حقيقته، فهو يرى أن الزواج ما هو إلا إحدى مراحل الحياة عليه أن يُقبِل عليها بشكل صحيح أو

لا، وهذا الشكل الصحيح من وجهة نظرة أن يكون لديه ما يحتاجه الزواج من إمكانات وصلاحيات.

كيف يتزوج ويهنأ بزواجه وهو مدين ؟!

كيف يتزوج في مكان مؤقت لا يخصه ؟!

كيف يتزوج وهو لا يشعر بأنه لديه القوامة بأن يكون هو صاحب اليد العليا في كل شئ ؟!

وها قد وصل إلى الخامسة والثلاثون من عمره وحقق كل ما يظنه الجميع من تأهل للزواج، لدية شقة فاخرة بزهراء المعادي مساحتها ٣٠٠ متر، لديه سيارة حديثة، لديه عمله الذي يدر عليه ربحا ماديًا رائعًا، ولكن .. إكتشف فجأة أنه قد أصبح وحيدًا والأعجب هو إكتشافه آلعجز عن الإختيار، فكل زميلاته متزوجات، وكل من يراهن إمّا تافهات أو غير مناسبات، وبدأ رحلة البحث عن عروس، وكم كانت مأساته أنه لا يجد هذه العروس التي تَقر بها عينه، منذ تسعة أشهر رأى فيهن أكثر من خمسين فتاة لم يجد أبدًا تلك التي يشعر بأنها تستحق العيش معه وأن تشاطره حياته، ولأول مرة يشعر بالعجز، ويشعر بأنه قد أخطأ الحسبة، وبدأ يتسلل إليه إحساس بأنه أبدًا لن يجدها، كان يتزين ويتعطر إستعدادًا للذهاب مع أمه لرؤية تلك المدعوة «كريمة» التي رشحتها خالته له وأقنعت أمه بأنها هي صاحبة النصيب. سأل عن سنها فقالوا له ثلاث وثلاثون عامًا إمتعض بشفتيه، حتمًا سيذهب ليرى هيكلا محطمًا فقد الثقة في المجتمع وبدأ يتسرب إليه إحساس العجز مثله واليأس من تكوين الأسرة، وحاول إثناء أمه عن رؤيتها حتى لا يتسبب في زيادة آلامها برفضه لها، فهو لا يستبشر خيرًا بهذه الزيارة، ولكن أمه أصرت على ذلك فما كان منه إلا أن طاوعها إرضاءًا لها.

جلس على مائدة الغداء في بيت متوسط الحال لا يدل على الفقر ولا على الثراء الفاحش، وكانت «كريمة» في مقابلته، والعجيب أنها كانت على صورة تغاير كل ما رسمه لها في مخيلته، كانت تتحرك بكل بساطة وتلقائية ولم تنظر له وتجاهلته بقوة ولم تعره أي إنتباه

على نقيض كل الفتيات التي رآهن من قبل، كانت كل منهن تحاول إبراز أفضل ما لديها والتزين والتدلل وكل منهن تفخر أمها بأنها هي من أعدت هذا الطعام الشهي، ورغم كل هذا عدم الإعتناء إلا أنها كانت تهتم بقوة بتسريحة شعرها مع بعض المساحيق الخفيفة التي بالكاد لحظها. وضعت «كريمة» أول طبق ثم جلست وتركت أمها تحضر البقية، فقال لها «مصطفى» :

- رائحة طبيخك تدل على أنك طاهية ماهرة.

ضحكت «كريمة» ضحكة قصيرة وقالت :

- ومن أخبرك أني أستطيع الطهي ؟! أنا بالكاد أستطيع إعداد الشاي لأني أدمنه.

إرتفع حاجبا «مصطفى» عجبًا من صراحتها وجرأتها وقال لها :

- ما هو مؤهلك يا آنسة كريمة ؟

فقالت بسخرية شديدة :

- دبلوم صنايع سيادتك .. هل ستقبل بي بلية في ورشتك؟

لم يتمالك «مصطفى» نفسه من الضحك، وقال لها :

- ما هذه العدوانية ؟!

قامت «كريمة» واقفة وقالت :

- جئت لسوق الإماء لتختار إحداهن وها قد رأيت ما يكفي .. فما رأيك ؟.. هل أنا مناسبة لأصبح إحدى جواريك يا سي السيد ؟!

شعر «مصطفى» بحرج شديد من إسلوبها هذا وتصبب عرقا فما كان منه إلا أن قام واقفا ونادى على أمه ليصحبها خارجًا والجميع في منتهى الدهشة مما يحدث.

.....

«كريمة» في الثالثة والثلاثون من عمرها، خريجة كلية الصيدلة، وتعمل طبيبة صيدلانية بإحدى الصيدليات، على النقيض من كل الفتيات لا يهمها أبدًا رأي من أمامها فيها. هي ترى بأن من أهم مقومات الثقة بالنفس ألا يهمك ما هي صورتك في مخيلة من أمامك طالما أنك تراها جيدة، لا تؤمن بما يسمى بالحب فهي تراه مشاعر بلهاء يضحك بها الشباب على الفتيات ومعظمهن يتم التغرير بهن تسترًا خلف هذه المشاعر، ولهذا كان الصدود العنيف لكل من حاول أن يتقرب لها سواءًا من زملائها في الجامعة أو في العمل بعد تخرجها، ومن العجيب أنه ترسخ بداخلها شعور تلقائي بالعداء نحو الرجال حتى أصبح يُطلق عليها لقب «الشاويش عطية» بسبب إسلوبها هذا، ولم يكن هذا تدينًا منها بقدر ما كان محاولة نفسية منها لإثبات ذاتها، وبالرغم من كل هذا لم تهمل أبدًا مظهرها فهي تهتم بملابسها بعناية فائقة وتهتم كذلك بتسريحة شعرها قبل كل خروج لها، وكان أكثر ما يغيظها هو أن يخبروها بأن فلانًا قادم لرؤيتها، كانت تشعر بنقمة وغيظ شديدين، هل هي بضاعة تنتظر من تقع عليها عينه وتعجبه فيتم الشراء، هي ترى ذلك ما هو إلا سوق إماء، «سي السيد» يأتي ليُقيّم الجارية ويرى هل تستحق عطفه وكرمه بحيث يجرها إلى منزله.

أمها كم بكت بين يديها وتقول لها :

- يا بنيتي كل زميلاتك قد تزوجن وأنجبن .. متى سأفرح بكِ ؟!

وهي ترد في عناد :

- وهل الحياة لن تستقيم إلا بالزواج ؟!.. ما رأيك لو تزوجت وعدت لكِ في الغد مطلقة أو أرملة لأحمل لقبًا طريفا يجعل الجميع ينظر إليّ وإليك بشفقة .. هل هذا أفضل أم أن أكون أنا من تقرر وتختار لنفسها إسلوب معيشتها .. عمومًا إذا وجدت من يستحق أن أشاطره حياته فلن أتردد بالموافقة.

وأخيرًا أخبرتها بأن المهندس «مصطفى» رجل محترم لديه شقة فاخرة وسيارة فخمة قادم لرؤيتها. ويتكرر موقفٌ كل مرة. وأخيرًا بعد أن أخلى الجميع الصالة وأعطتها أمها طبقا لتضعه على السفرة، فتقوم أم «مصطفى» لتذهب إلى المطبخ لتعاون أمها و«كريمة» تتعجب عن صلة القرابة التي تجعلها تتحرك بهذه الحرية. جلست أمامه لترى بسمته اللزجة السمجة وإنتظرت تقييمه للبضاعة، سألها عن جودة طبيخها، شعرت بالاشمئزاز، إذًا أنت تعيش لتأكل وتشرب وتريد من تقوم بعملية العليف لك، فردت عليه بانها لا تجيد أعمال المطبخ، وكان سؤاله الثاني لتقييم البضاعة عن مؤهلها، من المفترض أيها الساذج أنك جئت ومعك كل المعلومات الأولية فلا تدعي البلاهة ولتظهر وجهك الحقيقي وجه الذئب المتستر خلف كل هذه السماجة، وها قد ظهرت أمارته حينما سألها عن سر هذه العدوانية فما كان منها إلا أن أخبرته بصدق عن رؤيتها للأمر وأنها ترفض أن تكون تلك الجارية التي جاء لفحصها. والحمد لله انطلق خارجًا غير مأسوف عليه، وأمها التي كادت أن تنهار من إبنتها، وقالت لها:

- هنيئًا لك لقب عانس.

.....

كان «مصطفى» متعجبًا ومتحيرًا بقوة من شخصية «كريمة» هذه، لقد كانت المقابلة على نقيض كل ما تخيله أو حتى رآه من قبل، لو كانت «كريمة» رافضة له من البداية منا تزينت وإهتمت بمظهرها، ولكنها على نقيض كل الفتيات لم تتصنع وكانت معه بمنتهى التلقائية والبساطة، والعجيب أنها هي من أعلنت رفضها لهذا الموقف، ولأنه رجل وشرقي لم يعتد أبدًا أن يتم رفضه، ولهذا شغلته «كريمة» بقوة. جمع عنها كل البيانات وتحرى عنها جيدًا، وعلم أن هذا هو المكون الرئيسي لشخصيتها، عدوانيتها للرجال وإحساسها بذاتها، حصل على رقم تليفون الصيدلية التي تعمل بها، وعلم مواعيد عملها بها، طلب رقم الصيدلية، ردت عليه بصوت خال من أي مشاعر، فسألها قائلا :

- هل عندكم سكاتات للأطفال ؟

أجابته بأن نعم، فسألها قائلا :

- هل إذا طلبت عشرة صناديق مليئة بها ستقومين بعمل خصم كبير لي ؟

ردت عليه بمنتهى الجفاء قائلة :

- يمكنك الإتصال بإحدى الشركات المختصة بذلك فنحن لا نبيع هذه الكميات ولا بالجملة.

وأغلقت الهاتف دون أن تسمع رده، كان «مصطفى» يبحث لها عن غلطة واحدة، ولم يجد، طلبها مرة أخرى، ردت عليه بنفس الجفاء، فقال لها :

- هل عندكم قطرة -نقط العين- ؟

فردت عليه بمنتهى السخرية قائلة :

- للأسف القطرة التي عندنا خرجت في مشوار برفقة القطر -تقصد القطار-

وأغلقت الهاتف دون أن تسمع رده، في حين إستلقى «مصطفى» على ظهرة من الضحك، والعجيب أنه بعد نصف الساعة إذا بمن يطرق الباب، ويفتح ليجد أحد عمال توصيل الطلبات يعطيه لفافة ويقول له أنه تم دفع ثمنها، وعندما فضها وجد إحدى سكاتات الأطفال ومعها ورقة مكتوب بها " *عساها تجعلك تسكت عن حركات الأطفال هذه* "

.....

كانت «كريمة» مأخوذة بموقف «مصطفى» حينما ردت عليه بمنتهى العدوانية حين لقائهما في بيتها، فهو الوحيد الذي لم يقف لينتقدها ويسمعها كلامًا قاسيًا، فهناك من قال لها :

- على ماذا تفعلين هذا فأنت لست ملكة جمال وليس الطلب عليك عاليًا أفيقي لنفسك وأعرفي حجمك يا دكتورة وإبقي خلي الدكترة تنفعك !

وهناك من قال لها :

- علمت الآن سبب عنوستك !

وهناك من قال :

أبشرك بالفشل في حياتك الزوجية لو حصلت ولهذا أنصحك بعدم الزواج فأنت لا تصلحين لأي بيت !

وكثير من هذه التعليقات القاسية التي يحاول صاحبها رد إعتباره لنفسه وأنه هو من رفض وليس من تم رفضه، ولكن «مصطفى» الوحيد الذي صمت ولم يرد عليها وإنصرف بمنتهى الأدب، ولم تره بعدها وإن كانت كثيرًا في الآونة الأخيرة تجد من يدخل الصيدلية ويسأل عنها زملائها، وأيضًا لحظت بعض الصبية

يتبعونها أينما ذهبت، وقد تيقنت من هذا حينما دخلت أحد المحلات وإنتظرها الصبي بالخارج، وخرجت هي من باب آخر ثم جاءت إليه لتجده يمعن النظر داخل المحل بحثًا عنها، فهزته وقالت له :

- أنا هنا.

فما كان من الصبي إلا أن إنطلق مسرعًا من أمامها. واليوم تجد أحد الظرفاء يطلبها ويطلب كميات تدل على أنه لا يفعل إلا للعبث فصدته وأغلقت معه، ولكن نفس الرقم طلبها فما كان منها إلا أن ردت عليه بسخريتها المعهودة، وعندما أغلقت أثير بداخلها تساؤل من هذا وما الذي يريده ؟!! فدخلت على الإنترنت وبحثت عن رقمه وإذا به «مصطفى»، ولأول مرة تشعر بالسعادة أن هناك من يهتم بها إذًا فهو الذي يتبعها ويلاحقها ولكن بالصورة التي تحبها

فليست مطاردة «سي السيد» لإحدى إمائه التي يثق بأنها ستنقاد خلفه بمجرد الإشارة لها، فما كان منها إلا أن أرسلت له رسالة تنبئه بأنها كشفته وتعلم كل شئ، وحينما عادت إلى منزلها إذا بها تجده في إنتظارها بصحبة أمه ليقول لها :

- جئت لخطبتك .. وأتمنى موافقتك ولتجعلي فترة الخطبة مرحلة تعارف بيني وبينك وبعدها كل منا يقرر هل الطرف الآخر هو الأنسب له أم لا.

وقد كان.

.....

بعد خمسة أشهر تم الزواج ليكتشف «مصطفى» الوجه الآخر لـ«كريمة» فهي تمتلئ بالحنان والحب والرقة والرومانسية، كانت تنتظر فقط من يطرق بابها بالشكل الصحيح من وجهة نظرها،

كانت تريد من يشعرها بذاتها وأنـه يريـدها لشخـصيتها وذاتهـا وفكرها وعقلها وليس من أعد الشقة والسيارة وكل مقومات الحياة المرفهة وأصبح لا ينقصه إلا الزوجة فذهب ليقتاد إحداهن، وهـذا ما عزف عليه «مصطفى» طوال فترة الخطبة وبدأت معهـا حيـاة لا تخلو من الضحك الرنان الذي هز أرجاء شقته طوال اليـوم، كانـت تستمع إلى نكاته التي لا يكف عن المجئ بالجديد منها يوميًا ثم تنعكس تلك النكات فـي تـصرفاتهم اليوميـة. ذات مـرة قـال لهـا بلدينا أراد الإحتفال بأعياد الطفولـة .. عملهـا علـى نفسه. وفـي ذات يوم وبينما هما جالسين على جهاز الكمبيوتر يستطلعا بعض مواقع الإنترنت إذا بها تقوم منطلقـة، فمـا كـان منـه إلا أن أمـسك بيدها ونظر إلى عينيها بهيام وقال لها :

- حبيبتي لا تدعيني وحدى فأنت لـي كـل شـيئ .. وأنـا بدونك لا شيئ.

جلست «كريمة» بجواره ونظرت إلى عينيه بحنان وقالت :

- وأنـا لا أسـتطيع مفارقتـك يـا حبيبـي .. ولكنـك هكـذا ستضطرني للإحتفال بأعياد الطفولة.

وحينما قال لها نكتة الرجل الذي تزوج ثلاثًا كل واحدة من دولـة عربية، حينما كان مبيته عنـد الأولـي إذا بهـا تقـوم فـي منتـصف الليل

فإنتبه وسألها إلى أين أنـت ذاهبـة، فقالـت لـه .. أقـوم لأعـد لـك طعامًا شهيًا لتتفاجئ به في الصباح، وعندما كان فـي ليلـة الثانيـة إذا بها تقوم أيضًا في منتصف الليل وعند سؤالها قالت لـه .. أقـوم لأعد لك عصيرًا خاصًا لا يعرفه غيري لتتفـاجئ بـه فـي الصباح، وعندما كان في ليلة الثالثة أيضا تكرر نفس الموقف وعندما سألها عن وجهتها قالت له .. إيه رايحة الحمام !! .. بلاش دي كمان ؟!!

وأصبحت هذه لازمة لـ«كريمة» كلما سألها إلى أين أنت متوجهة تقول له :

- إيه رايحة المطبخ !! .. بلاش دي كماني ؟!!

أو غيره من أماكن الشقة، عامان مرا لم يشعر «مصطفى» بهما مرا بسرعة البرق بسبب السعادة والهناءة التي وجدها مع كريمة.

.....

فوجئت «كريمة» أثناء فترة الخطبة بـ«مصطفى» يقدرها ويحترمها وليس بشكل مبالغ فيه بحيث يظهر منه أنه فقط يبغي رضاها ويفعل ما تريده منه وهذا أقصى ما تتمنى، فوجئت به يحمل نفس أفكارها عن الزواج وكثير من الأمور الحياتية علمت بأنه فعلا النصيب وأن لكل منا نصفه المكمل له وحينما يريد الله عز وجل إكتمالهما فلن يوقفهما أي مخلوق. وتم الزواج .. وبعد الزواج كانت هذه هي اللحظة التي تنتظرها «كريمة» لتهب من شاطرها حياتها كل ما إختزنته له، منحته الحب والحنان وكل المعاني الجميلة التي لم يتخيل أحدًا أنها تحملها بداخلها، وكان أجمل ما يعبق شقتهما هو الضحك الذي لا ينقطع أبدًا بينهما، وكانت المواقف تتكرر لتزيد بينهما المزاح والضحك، تذكر حينما كانت تعد له أول وجبة غداء بعد الزواج، وضعت الدجاجة على النار ليتم سلقها وبجوارها بعض البيض ليتم سلقه وإذا بصديقتها أتت لتزورها وهي التي لم ترها منذ تخرجها سنين عدة أخيرًا إجتمعا سويًا وظلا سويًا يجترا الذكريات والأحاديث وتعلو بينهما الضحكات، وفجاة .. إذا بصوت إنفجارات متتابعة بسرعة يصدر من المطبخ إندفعت «كريمة» مسرعة لترى ما الأمر وإذا بها تصطدم بـ«مصطفى» في الصالة وفي المطبخ كانت المأساة؛ المياة التي كان يتم سلق البيض فيها جفت تمامًا وإنفجر البيض بصوت

عال وبهذا فقد إنتهى أما الدجاجة فقد تمت عملية السلق لها أكثر من اللازم حتى تهرأت، كل هذا بسبب إندماجها في الحديث مع صديقتها ونسيانها لما تعد، ولم ينس لها «مصطفى» أبدًا هذا الموقف، وطوال عامين كان دومًا يذكرها به كلما سألته عن مذاق طعامها فاذا به يقول لها :

- طعامك مقبول ومضطر لتناوله مثله مثل البيض المنفجر والدجاجة المهترئة.

عامان مرا بمنتهى السعادة والحب والود بينهما ولكن فجأة إكتشفا أنهما ينقصهما عامل مهم جدًا من عوامل سنن الحياة وفطرتها، إنهما لم ينجبا بعد.

.....

" عمري الآن سبع وثلاثون عامًا إن لم أنجب الآن فمتى سيكون ؟! أريد أن أرى ولدي كبيرًا وأنا ما زلت بصحتي حتى أتمكن من تربيته التربية السليمة .. وحتى لا يكون بيني وبينه أجيالا ونفتقد التواصل بيننا ".

قالها «مصطفى» لنفسه وهو يتفكر في هذا الأمر، ولكنه لا يستطيع أن يجرح «كريمة» ويخبرها بهذا، ولهذا لم يشر لذلك الأمر أبدًا معها وإن كان حرصه الزائد على قراءة كل موانع الإنجاب على النت ومحاولة تجنب بعضها من الأمور الغير مرضية، ولكن الأسباب المرضية قد تكون موجودة وقد تكون به وليست بـ«كريمة» ولهذا وقبل أن يسألها السعي للفحوص معه فضل أن يذهب هو ليطمأن من أنه ليس المانع لديه، وجاءت الفحوص جميعها لتثبت بأنه سليم تمامًا ولا مانع للإنجاب لديه، ولهذا لم يجد بد من مفاتحة «كريمة» وهو يحاول تهوين الأمر وأن المانع قد يكون سببًا تافهًا ويمكن معالجته، وحتى لو كان سببًا كبيرًا ولا

علاج له فهو يكفيه حبه لها وسعادته معها، فقد يأتي الولد ليعقه ويذيقه العذاب ألوانًا، فيكفيه ما هو فيه من سعادة ولن يتخلى عنها أبدًا، وعندما أخبرها بذلك أنبأته بالمفاجأة.

.....

مثلها مثل أي أنثى كانت «كريمة» تشعر بالرغبة في الأمومة وأن تنجب طفلا أو طفلة يناديها بكلمة ماما، تلك الكلمة الجميلة التي رنينها له مذاق خاص عند كل أنثى خلقها الله، وقد مر عامان دون إنجاب، والعجيب هو صبرها طوال هذين العامين ولم تفكر في السبب مبكرًا عن هذا، ولكن وبسبب دراستها الطبية قد يكون هناك بعض الموانع الطبية، لذا ستبحث الأمر أولا وترى نفسها، فعلت كل الفحوص وكانت كلها سليمة ولا مانع لديها في الانجاب ووقعت «كريمة» في حيرة شديدة، فكما كان «مصطفى» يحترمها ويحترم شخصيتها ولم يحاول يومًا أن يقلل من شأنها فهي كذلك لم تحاول أبدًا أن تقلل من رجولته وقوامته، ومن يراها تفعل ذلك حتمًا كان سيتعجب من تصرفاتها السابقة قبل الزواج وربما يبررها بأنها كانت مجرد رد فعل لتأخر زواجها، أما هي فلها وجهة نظر مختلفة فهي ترى بأن الإحترام يجب أن يكون متبادلا وكما يعاملها «مصطفى» ويحترم شخصيتها وأنوثتها فيجب أن تعامله بالمثل وإحترمت أنه لم يفاتحها في أمر تأخر الإنجاب، لكن الشك راودها أنه ربما يعلم يقينًا بأن المانع عنده ولهذا لم يفاتحها، وكانت في حيرتها كيف تفاتحه، وفي وسط هذه الحيرة إذا به هو من يأخذ زمام المبادرة لتظهر المفاجأة لكل منهما، والتي زادت إرتباط كل منهما بالآخر وتمسكه به، وبدأت رحلة جديدة من المعاناة، وطرقا كل عيادات الأطباء الكبار في مجال تأخر الإنجاب، أحدهم نصحهما بالحقن المجهري

وللأسف لم تفلح، والآخر قال بأن أطفال الأنابيب هو الحل الأخير والوحيد ولكنه مكلف وقد يتطلب تكرار المحاولة مرات عديدة، وقد كان، واضطرا لبيع السيارة الفخمة بل لبيع الشقة وشراء أخرى صغيرة بالمقطم، وتدهور بهما الحال وقد أنفقا كل ما يملكانه، ولكن كل الحلول المطروحة والمأمولة لم تفلح، وأخيرًا إحتضن «مصطفى» «كريمة» التي تركت عملها بسبب إقامتها الآن في منطقة نائية وربت على ظهرها وقال لها :

- لقد فعلنا ما علينا .. وبهذا لم يعد بيدنا شئ .. وكما أخبرتك من قبل أنا لكِ وأنتِ ليَ ولن أتنازل أبدًا عنك.

وهي بعين باكية قالت له :

- وأنا لك ولم أكن أبدًا لسواك.

وفي ذات يوم جائها «مصطفى» بموقف عجيب، قال لها :

- لقد تعرفت على صديق جديد على شبكة الانترنت هو طبيب طوارئ بالصحراء ويكتب القصص والروايات يدعي «أحمد مراد» وبدون أن يعرف ما أنا فيه إذا به يقص عليَ موقفا عجيبًا جدًا...

يقول أنه منذ أمد وهو يتمنى وضعه بإحدى قصصه ولكن بشكل يعلم منه القراء بأن هذا الموقف حقيقي جدًا وليس إحدى مفارقاته لأنه صعب التصديق بشكل غير عادي، وأخذ يقص عليها الموقف، يقول «أحمد مراد» بأنه في ذات يوم جائه سائق إحدى ناقلات البترول مصاب في رأسه إصابه بالغة، كان الرجل يتجاوز السبعين من عمره وكان هذا مصدر تعجب آخر كيف يخرج للعمل وقيادة الشاحنات في هذا السن، فقام بتخييط جروحه وتعقيمها وطلب منه المرور عليه في الغد للغيار عليها، وجائه في الغد ببسمة عريضة ويقول له :

- إبنتي جراحة المخ والأعصاب ترسل لك سلامًا خاصًا يا دكتور وتشكرك على ما فعلت معي.

إنتفخت أوداج «أحمد مراد» وانتفش ريشه فسلام خاص يأتيه من طبيبة جراحة المخ والأعصاب إبنة الرجل وأسبل عينينه وقال للرجل بمنتهى الرقة والحنان :

- لا عليك يا حاج فهذا أقل الواجب تجاهك أنت والآخرين وهذا هو عملي.

وإذا بالرجل يمد يده ويسحب كرسيًا ليجلس عليه كأنما يجالس أحد أصدقائه القدامي ويقول له :

- والله أنت شكلك إبن حلال وطيب جدًا يا دكتور ممكن أحكي لك حاجة وتقوللي رأيك فيها.

نظر «أحمد» إلى شاشة جهازه المفتوح على موقعه وعلم بأنه سيخسر ساعات في سماع الذكريات كما هي العادة ونظر للرجل وقال له في سره :

- إرغي يا عم القمور .. أنتظر حكاياتك منذ عهد السلطان قلاوون.

ولكن خرجت في شكل جملة أخرى سمعها الرجل تقول :

- ليَ الشرف أن تمنحني هذه الثقة وكلي آذان صاغية.

وإذا بالرجل يقص عليه قصة لو كتبها «أحمد مراد» لقال له القراء أنت تبالغ بشكل غير عادي، فقد قال له الرجل :

- الحمد لله رزقني الله عز وجل خمسة أبناء بنتين وثلاثة ذكور أربع منهم أطباء البنت الكبرى والذكور...

وأنا سافرت كثيرًا وعملت في أكثر من شركة بترول حتى ربيتهم أفضل تربية وبنيت لهم بيتًا كبيرًا لكل منهم شقته الفخمة وأنا مقيم بشقتي مع إبنتي الأخيرة العاجزة التي تعاني من الإعاقة الذهنية والجسدية والتي تحتاج إلى رعاية خاصة، ولكن

للأسف بعد زواج أبنائي إنصرف كل منهم لحالة وتناسوني مع أختهم، وكانت هذه البنت تحتاج لخدمة لا يستطيع آدائها إلا النساء، ففكرت جديًا في الزواج لأجلها ومدفي ليس الزواج بقدر ما هو جلب من تقبل خدمتها، وكانت لنا جارة في الثامنة والعشرون، تطلقت بسبب عقمها وكل الأطباء أقسموا بأنه من المستحيل أن تنجب يومًا ما فقلت هذه أفضل وأنسب من آتي بها، فذهبت إليها وقلت لها بكل صراحة :

- أنا لا أريدك لنفسي .. وإنما لخدمة هذه العاجزة التي رماها الجميع وأهملها.

وإذا بها تقول في وجوم .. دعني يومين لأفكر وسوف أرد عليك، وبعد يومين ردت عليه قائلة :

- أشكر لك صراحتك .. وأنا أقبل هذه الزيجة بنية دخول الجنة بسبب خدمتي لهذه المسكينة.

وتم الزواج، وبعد شهر واحد كانت حاملا.

وكان هذا الموقف فاصلا في حياة «مصطفى» و«كريمة» فقد إنتبهوا فجاة إلى أنهما مقصرين في حق الله عز وجل، كان لا يهمها إلا حصاد المتع في الحياة الدنيا، لا يهمها إلا الضحكات الرنانة والفسح وحصد كل ما أمكن من وسائل الراحة والرفاهية ونسوا الله عز وجل في خضم حياتهما لهذا تحجبت «كريمة» وبدأ «مصطفى» في الحفاظ على كل الصلوات وبدأو يحثون الخطي نحو الإلتزام فلربما كان الحادث معهما هو عقاب من الله عز وجل لبعدهما عن، ولكن مر عامان آخران دون أثر وفقد كل منهما الأمل في أن ينجبا فـ«كريمة» بلغت السابعة والثلاثون و«مصطفى» على مقتبل الأربعين وحتى لو حدث حمل فالله أعلم هل ستتحملة «كريمة» أم لا، وأخيرًا إنصرف ذهنهما عن هذا الأمر وقررا فقط العيش لله بعد أن ذاقا حلاوة الطاعة والقرب من الله،

وبعد أن علما أن لذة الطاعة لا تدانيها لذة ولا سعادة ولا بكل ضحكات الدنيا وإن كانت حياتهما لم تخلوا أيضًا من النكات والضحكات المتكررة، وفي يوم قام «مصطفى» صباحًا ليجد بأن «كريمة» ليست بجواره فظن بأنها قامت لتفعل شيئًا أو تعد له الإفطار قبل خروجه كالعادة، ولكن لم يسمع صوتًا بالشقة وظل عشرة دقائق لا يسمع لها أثرًا،تعجب من هذا وتسائل أين ذهبت وهل من الممكن أن تكون قد خرجت في هذا الوقت المبكر فقام ليتوضأ ويستعد لصلاة الضحى ففوجي بـ«كريمة» ملقاة أمام الحمام وفاقدة الوعي، فزع «مصطفى» بقوة وحملها إلى سريرها وأحضر عطرًا وقربه من أنفها وهو يقرصها أسفل إبطها، وأخيرًا أفاقت، وما إن فتحت عينيها حتى أجهشت بالبكاء، ضم «مصطفى» رأسها إلى صدره بحنان، وقال لها :

- ما بكِ حبيبتي ؟

ولأول مرة ينتبهَ لأنها رغم فقدانها لوعيها كانت يدها متخشبة على شريط صغير مدت يدها به ولم يفهم شيئًا، فقد كان شريطا صغيرًا به خطين ورديين، فقالت له من بين نحيبها :

- أنا حامل.

وكاد مصطفي أن يغمي عليه من الفرحة مثلما حدث معها.

.....

بلغ «زياد» عامه الأول وسط سعادة أبيه وأمه، كان يظهر عليه كل أمارات النبوغ والذكاء والفطنة، «مصطفى» شعر برضا الله عز وجل عنه برزقه لهذا الطفل الجميل، و«كريمة» جعلت قيام الليل كل ليلة إلا بعذر هي وسيلة الشكر الوحيدة لله عز وجل على منه وكرمه معها، وأخيرًا بدأت تبتسم الحياة معهما مرة أخرى وقد بدءا يستعدا لشراء سيارة بسيطة تعينهما في التنقل. ولكن، أفاق

«مصطفى» من ذكرياته حينما قال الصبي بأن الأجرة جنيه ونصف وهناك البعض يعترض عليها، لكنه أخرج النقود ومنحها لـه وعـاد مرة أخرى إلى ذكرياته، وهو يقول لنفسه :

- إن كريمة حقا أغبي مخلوقات الله.

وتذكر تلك الليلة الكئيبة حينما قام في منتصف الليل وقبّل «زياد» وفوجئ بوجنه تلتهب بالحرارة الشديدة ففزع وأيقـظ «كريمة» ليجدا أن الولد متخشب الجسد والرقبة بـشكل عجيب ودرجـة حرارته تتعدى الأربعين، صرخ فيها بأنه يجب حمله بسرعة لأي مستشفى

فقالت له من بين دموعها :

- لا تقلق هذه حالة تشنج حراري بمجرد خفض الحـرارة يذهب التشنج .. أعطني ثلجا بسرعة.

إنطلق ليحضره لها فوضعت الثلج على جبهتـه وأخـذت تكـرر لـه الكمادات حتى إنخفضت الحرارة ولكن التخشب لم يذهب فنظر إليها متسائلا، فقالت له :

- قد يكون رد فعـل مؤقـت المهـم أن الحـرارة الحمـد للـه إنخفضت وهذا هو الخطر الوحيد الذي كان يتهدده.

وقامت بإعطاء «زياد» بعض خوافض الحرارة وقالت له في الصباح بإذن الله نذهب به لطبيب الأطفال لفحصه، قال لها قلقا:

- أليس من الأفضل الذهاب الآن ؟

قالت له في تحد :

- أولا هو إبني وأخشى عليه بأكثر منك .. ثانيًـا لا تنـسى بأني قد درست قدرًا لا بأس به من الطب فـلا تـستهين بقدراتي .. ثالثًا نحن في منطقة نائيـة ولا سـيارة لـدينا فماذا سنحصد إن خرجنا الآن سوى التوقـف كثيـرًا فـي الظلام والبرد دون أن تجد أي وسيلة مواصلات لتقلنا.

كان القلق ينهش قلب «مصطفى» لكنه إستجاب لها مرغمًا أمام حججها القوية. وفي اليوم التالي ظهرت الكارثة فقد كان الولد مصابًا بحمى شوكية وإلتهاب سحائي وكلما كان إكتشافها سريعًا كلما كان هذا أفضل وأسرع في العلاج، لكنهم تأخروا في الذهاب إلى الطبيب منخدعين بإنخفاض درجة الحرارة، وتم إحتجازه بمستشفى الحميات. ولكن كما وهبهم الله الولد فقد استرد وديعته. لا تنسى «كريمة» أبدًا هذه اللحظة حينما خرج الطبيب من غرفة العناية المركزة ليقول بعين خفيضة وصوت أكثر انخفاضًا :

- البقاء لله.

والعجيب وعلى عكس المتوقع وقفت «كريمة» متجمدة متخشبة لا تحرى نطقا ولم تذرف دمعة واحدة وكان صوت «مصطفى» الثائر الذي يصرخ في الطبيب يصم أذنيها، وأخيرًا إذا بعينه تقذف شررًا وهو يقول لها :

- أنت أغبى مخلوقات الله .. تدعين أنك طبيبة وضيعت لنا الولد الذي لم نحصل عليه الا بشق الأنفس ولن نرى سواه بعد الآن .. أنت طالق.

حملوا «كريمة» بعدها إلى منزل أبيها وأيضا لم تذرف دمعة وكل ما توقر في قلبها إنها إرداة الله، لله ما أعطى ولله ما أخذ، هل أجرمت في حق الطفل حقا ؟ وهل هي من قتلته ؟ إنها أمه، وهي من عانت في حمله وتربيته ويعلم الله مدى محبته وغلاوته في قلبها، لكنها كانت تتصرف على حسب المعلومات الطبية المتاحة لها ولم تتعمد أبدًا أن تتسبب في قتله، ظلت كريمة في بيت أبيها شهرين لا ترى أو تقابل مخلوقا وترفض تقبل العزاء في ولدها، تقول بأن الله عز وجل علم بأن الموت خيرًا له ولي، ولكل أجل كتاب وأنا راضية بقضاء الله عز وجل وقدره، الله أعلم لربما

علم الله بأنه سيكون عاقا لنا وأردا لنا الخير، وإذا بإتصال من «مصطفى» بعد شهرين، يقول لها بصوت جاف :

- لقد رددتك .. وسآتي الليلة لتعودي معي إلى بيتك.

وجائها متأخرًا بسبب صعوبة المواصلات، وطلبت منه أمها أن يبيتا ليلتهما وينطلقا سويًا صباحًا باكرًا، ظلا طوال الليلة كل منهما لا يحري حديثًا وينتظران العودة إلى البيت ليبدأ الحوار بينهما، هو ينتوى الإعتذار لها، وأنه فقد عقله بفقده لولده ولم يدر ماذا يفعل، وأنه حقا لم يعد يطيق العيش بدونها، وأنها هي كل حياته، وأنه أخطأ بإعتراضه على حكم الله وقضائه، وهي أيضًا إختزنت له كل ما تريد قوله حتى العودة إلى المنزل، وفي الصباح الباكر إستقلا السيارة إلى المؤسسة ليقوما بعدها بإستقلال مواصلة أخرى إلى المقطم ومن بين الذكريات إذا بالصراخ يتعالى، والسيارة تتمايل يمنة ويسارًا، ولاحت النهاية لهما، وألقت «كريمة» بنفسها على صدر زوجها وكأنما تطلب الحماية منه، وضمها «مصطفى» بقوة إليه ليعطيها الأمان الذي يفتقدة، وقضي الأمر.

.....

قال «كريم» للعميد «التوني» :

- إحدى العجائب الجديدة في قضية حادث الميكروباص يا سيادة العميد.

تنهد العميد «التوني» وقال :

- يالعجائبك التي لا تنتهي .. إشجني ما هو جديدك ؟

هز «كريم» رأسه في تعجب وقال :

- عدد ضحايا الحادث ليس ستة عشر .. بل سبعة عشر.

نظر إليه العميد «التوني» وقال له :

- وكيف ظهرت الجثة الجديدة .. هل كانت عالقة بأسفل السيارة ؟

هز «كريم» رأسه نفيًا وقال :

لا بل كان عالقا برحم أمه .. السيدة المسماة كريمة والتي برفقة زوجها مصطفى أظهر الطب الشرعي أنها كانت حاملا في شهرين ونصف.

ضم العميد «التوني» شفتيه بقوة وقال :

- لا إله إلا الله .. البقاء والدوام لله .. لكل أجل كتاب.

إبتسم «كريم» بمرارة وقال :

- من الطرائف وجدت ورقة بجيب زوجها مصطفى مكتوب عليها جملة نصفها عربي ونصفها عامي تقول .. لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد .. فقد يخبطك موتوسيكل وتروح فيها. فترى هل كان يعمل بها حقا أم أن هناك ما قام بتأجيله وخبطه الموتوسيكل قبلها.

قال العميد التوني :

- الله أعلم فكل منا يؤجل ويسوف وهو لا يدري ربما تكون اللحظة الماثلة بين يديك هي آخر ما يملك والخطأ كل الخطأ أن يتم التأجيل أو التواني عن كلمة طيبة أو خبر جيد قد يدخل السرور أو يغير من مسار الأحداث.

الست أمينة

بقلم : يمنى حافظ

تشنج الجسد النحيل فوق الفراش تشنجات مؤلمه، كتمت المرأه المتألمة آلامها بكفي يدها ثم مالبثت أن عضت كفها حتى لا تخرج الصرخات من بين شفتيها وتوقظ إبنتها التي رقدت على الفراش المجاور وقد إحتضنت بين ذراعيها طفلين جميلين ينامان في وداعة وهدوء. تقلبت الست «أمينة» يمينًا ويسارًا، حاولت النهوض لتجلس ولكن الألم في جانبها يكاد يفتك بها، تصبب جبينها عرقا كثيفا، تبللت الوسادة بدموعها المنهمرة فآهة أفلتت من بين شفتيها كانت كفيلة بإيقاظ إبنتها «هديل» فهبت فزعة وقد تهدجت أنفاسها وتلاحقت وهي تستند بيدها على فراش أمها لتمنع جسدها من السقوط، فمازالت آثار النعاس بين جفنيها تمنعها من الرؤية الجيدة، فالساعة لم تكن قد تجاوزت السادسة صباحًا ولم تنم «هديل» سوى ساعتين فقط منذ كانت تجلس بجوار والدتها من ليلة الأمس حتى نامت وإستراحت من آلام الكلى التي أصبحت تهاجمها الآن كل يوم، عضت الست «أمينة» مرة أخرى على يدها ثم ظلت تتقلب وتتشنج وتكور جسدها في الفراش وهي تدعو الله بين آلامها أن يخفف عنها وأن يمد في عمرها لتستطيع أن تعين إبنتها الأرملة بعد أن فقدت زوجها العام الماضي فقد كان سقوطه من فوق

السقالات من على إرتفاع ثمانية أمتار في موقع العمل الخاص به صدمة، ودخوله في غيبوبة صدمة أخرى، ولم تفق منها وعانت الأمَرّين في تمريضه والجلوس بجواره والذهاب للأطباء بتقاريره الطبية وإستدعاء أطباء آخرين عسى كانت النتائج مختلفة، شهرين أو يزيد وهو في تلك الغيبوبة حتى صُدمت مرة أخيرة حين فارق الحياة. عام مضى ولا زالت تنام محتضنة طفليها وكأنها تخاف أن تفقدهما كما فقدت والدهما تخاف أن تتركهما يلهوان بعيدًا عن عينيها تحيطهما بعناية ورعاية فائقة لولا أمها لكانت جنت خاصة أن لا أخ لها ولا أخت، وأن الشقة التي كانت تعيش فيها مع زوجها خمس سنوات في مدينة غارب تخص قريب له وقد حاول أن يتزوجها من بعد وفاة زوجها، وحين رفضت طالبها بالخروج من الشقة، فخرجت وعادت إلى بيت والدتها في القاهره لتعيش معها تؤنس وحدتها بعد أن صارتا أرملتين. كانت تلك الأفكار تدور في عقل الست «أمينة» وهي تنظر لإبنتها التي هرعت تأتيها بكوب ماء وتربت على جبينها وتمسح عنه حبات العرق المتساقطة، حتى سكن الجسد المتهالك، هدأت الآلام إنتهت النوبة بعد أن أنهكت قلب الست «أمينة» واعتصرت قلب إبنتها. نامت الست «أمينة» في حين هرعت «هديل» إلى الهاتف تجري مكالمة هامة.

.....

جلس الرجل وزوجته في شرفة منزلهما الكبير يهمسان بصوت يكاد لا يسمع، قالت المرأه وقد غلبتها دموعها :

- هنعمل إيه يا محمد ؟.. نسمه بنتنا هتضيع .. يارب رحمتك يارب.

قال الرجل وهو يحاول أن يظهر التماسك أمام زوجته إلا أنه فشل فخرج صوته متحشرج وهو يقول :

- أعمل إيه يا زينب ؟.. مفيش فلوس خلاص وبعت العربية والشقة لو تمليك كنت بعتها هي كمان وادي فلوس القرض الحسن الخاصة بالعمل إنتهت .. وأنا لا أريد أن أقترض من البنك لعلاجها والجلسات فى مراكز الغسيل الكلوي أسعارها كما تعرفين غالية .. أنا حاسس إنى واقف عاجز وبنتي بتموت.

قالت بضعف :

- يعني لو فعلا إسمها مش موجود فى القايمة يبقى كده خلاص ؟!

قال «محمد» بصوت مرتجف :

- يبقى نصيب .. قال لي المسئول أن الأعداد المتقدمة كبيرة جدًا وأن المرضى بالفشل الكلوي عددهم كبير جدًا .. وقائمة الإنتظار طويلة جدًا .. والأجهزة لا تحتمل كل هذه الاعداد ولابد من إختيار عددًا محددًا فقط ليستطيع أن يتم جلسات الغسيل مجانًا.

بكت «زينب» وهي تضع يديها فوق رأسها وتقول :

- لطفك يارب .. لطفك.

ثم كأنها تذكرت فجأه شيئًا هامًا فقالت وهي تمسح دموعها :

- نأخذ قرض من البنك ونعمل عملية نقل الكلية .. إحنا في حالة إضطرار يا محمد وربنا عارف ومطلع.

قال «محمد» وهو يفكر :

- تفتكري كده يبقى حلال ؟! قرض بنك ؟ وكمان عملية نقل أعضاء ؟! أنا قلبي غير مرتاح يا زينب .. ومن يتق الله يجعل له مخرجًا.

قالت وقد إنهارت آمالها :

- يعني بنتي هتموت ؟!.. ليه كده يا رب ؟.. أستغفر الله العظيم.

وخلف باب الشرفه المغلقة كانت «نسمة» تقف هناك وبين يديها هاتف والدها المحمول الجديد والذي إستبدله منذ إسبوعين بعد أن باع هاتفه الأحدث وأشترى هذا القديم بدلا منه، وقد تسمرت قدماها حين سمعت رغمًا عنها هذا الحديث عن مرضها، وتراصت في مخيلتها صورتها في جلسات الغسيل المكلوي التي كانت تجريها منذ شهر مضى وكانت تنهكها تمامًا حتى أن المرة السابقة إرتفع ضغطها ليصل إلى ٢٠٠ وعلى إثره نزف انفها. كانت قد تصورت أنها شفيت لذلك لم تعد هناك حاجة لتلك الجلسات المرهقة والمتعبة وأن ما تعانيه هذه الأيام مجرد توابع لإرهاق جسدها بالجلسات السابقة وأنها ستختفي بعد أن تسترد عافيتها كاملة، ولم تكن تتخيل أن النقود مع والدها قد نفذت وأنها لاتزال في مرحلة الخطر، وكيف يستوعب عقلها ذو السبعة عشر عامًا أنها ستخرج من الحياة قبل أن تستطيع أن تخطوا فيها قدرًا من الاعوام !! سعلت وهي تحاول أن تنبه والديها أنها في الحجرة المجاورة فهب والدها يفتح النافذة فناولته الهاتف على عجل وهي تقول بإبتسامة شاحبة :

- لقد دق الهاتف كثيرًا .. سأصنع لكما كوبين من الشاي بالنعناع لتشربه أنت وأمي في الشرفة كما تعودتما .. ما رأيك يا أبي ؟

نظر لها وأباها بأسف وأسى وقال :

- تسلم إيدك يا نسمة .. شكرًا يا حبيبتي.

ودخل إلى الشرفة مرة أخرى وهو ينظر إلى شاشة هاتفه المحمول التي تحمل رقمًا يعرفه جيدًا، رقم الطبيب الذي يحاول

إقناعه بشتى الطرق بعمل عملية نقل كلى لـ«نسمة» في مركز خاص لمثل هذه العمليات وستكلفه حوالي ثلاثون ألف جنيهًا للمتبرع غير التحاليل والإجراءات ومصاريف الطبيب والعناية الطبية وأجر المستشفى، لكن مالا يدركه ذلك الطبيب الحريص على جمع المال أن الأستاذ «محمد» قد نفذت نقوده كما ينفذ الوقت الباقي لإبنته قبل أن تتدهور حالتها وتصير مجرد جسد هزيل يرقد ينتظر الموت.

دق الهاتف طويلا فقد كان الحاج «عوض» لا يزال ناعسًا على الأريكة أمام النافذة المفتوحة والتي يدخل منها نسيم الصباح المنعش، كعادته بعد أن يعود من صلاة الفجر في المسجد يفتح النافذة الكبيرة وينعس قليلا ثم ينهض ليراعي مصالح إخوته في الارض التي يمتلكونها وورثوها عن والدهم رحمه الله. تبرم الحاج «عوض» منزعجًا من هذا الرنين المزعج ونهض بتكاسل شديد ليرفع السماعة ويجيب بصوته الجهورى :

- أيوه .. مين ؟

فآتاه صوت إبنة شقيقته «هديل» تقول في لهجة أقرب للتوسل :

- أيوه يا خال .. أنا هديـــ...

قاطعها بسرعة وقال متافقا :

- أيوه يا ست هديل .. خير على الصبح يا بنت أختي .. أمك جرالها حاجة ؟

تهدج صوت «هديل» وتقطع وهي تقول في صوت يرتعش :

- تعبانة والله يا خال .. ولسة جايالها النوبة وكنت باتصل بيك عشا....

قاطعها مرة أخرى وقال في فظاظة :

- عشان إيه يا بنت أختي ؟! موضوع الارض تاني ؟! ولا عايزة فلوس ؟!

إستعادت «هديل» صوتها وقالت بقوة :

- من فضلك يا خالي .. أمي عايزة تبيع نصيبها عشان تتعالج ولا راضى أنك تشتري بسعر السوق ولا راضي أنها تبيع لغيرك .. كده حرام.

هب صارخًا فيها وهوة يقول :

- حرمت عليكي عيشتك يا شيخة .. حرام ؟!! إنتي بتقوليلي أنا حرام ؟!! مين إنتي عشان تعرفي الحلال من الحرام يا بنت إمبارح إنتي !! بلاش قلة حيا أومال وإتحشمي وإنتي بتكلمي خالك الكبير يا بت .. عايزين أبيع الارض ؟! عشان إيه ؟! وعلاج إيه ده اللي عايز ألوف وألوف ؟! ها ؟! ولا دي حركات من بتاعت أمك عشان تاخد الورث ؟! ماني عارف أمك طول عمرها مستعرية مننا إكمننا فلاحين وهي عاشت وإتجوزت في مصر وعجبتها عيشة مصر حتى بعد ما بقت ست وحدانية ولا راجل ولا سند ولا حاجة خالص .. قالت مش راجعة البلد .. هي دي الأصول ؟!!

ظل الرجل يصرخ ويهدد ويتوعد و«هديل» تبكي ولا تستطيع أن تصدق نفسها أن هذا هو خالها شقيق والدتها ويتمسك بالأرض والمال ولا يشعر بمصيبتها، وضعت السماعة بيأس وهي تشعر بأن الحياة ضاقت عليها فهاهي تفقد زوجها وجلست تراقبه وهو يذبل ويذوي كما تراقب والدتها وهي تشحب وتنهار يومًا بعد يوم. دق هاتفها المحمول، جففت دموعها ورفعت الهاتف في تخاذل، فجاء الصوت مهللا مبتهجًا فرحًا يزف إليها نبأ سعيد لم تكن تتوقعه في ظل أحداث اليومين السابقين. كان صوت «فاروق»

إبن عم والدها والذي يعمل في المستشفى الحكومي التي تتعالج فيها والدتها من حالة الفشل الكلوي يخبرها بأن إسم والدتها قد إنضم لقائمة المرشحين لنيل جلسات العلاج والغسيل الكلوي المجانية وأن غدًا هو أول يوم لتلقي العلاج وأنها لابد أن تحضر للمستشفى باكرًا حتى تستطيع أن تنهي جلستها مبكرًا دون الحاجة للإنتظار. أغلقت «هديل» الهاتف وهي تتمتم بكلمات :

- سبحان الله .. ما ضاقت إلا وفرجت.

.....

إستيقظت الست «أمينة» مبكرًا وكانت «هديل» قد إرتدت ملابسها هي الأخرى. وأعدت طفلاها بملابس الذهاب للخارج أيضًا، وما إن خرجت والدتها من الحجرة إلا وقالت لها «هديل» بسرعه :

- هيا يا أمي حتى لا نتأخر لقد قال فاروق أن الميعاد كلما كان مبكرًا كلما كان افضل.

قالت والدتها بعفوية وهي تتكئ على الجدار :

- هاتاخدى الولاد معانا ؟

وقبل أن تجيب «هديل» التي كانت تحمل الطفل الصغير فوجئت به يتقئ ملوثًا ثيابها، فقالت :

- ياه .. لا تقلقي سأغير له ملابسه وأكون جاهزة فورًا.

قالت الأم وهي تضع شفتيها على جبينه لتستشعر حرارته :

- الولد شكله تعبان يا هديل وحرارته عالية .. سأذهب بمفردي ولا تقلقي ومعي فاروق لن يتركني.

قالت إبنتها :

- لأ طبعًا .. لن أتركك يا حبيبتي.

فأسرعت الأم تربت على ظهر الطفل المريض وهي تقول :

- الولد تعبان مالوش لزوم البهدلة.

ترددت «هديل» وما لبثت أن وافقت مجبرة حين واصل صغيرها التقيؤ وهو فوق ذراعيها، وبالفعل خرجت الست «أمينة» مسرعة ولحقت بها «هديل» وناولتها هاتفها المحمول الخاص بها وقالت:

- ضعيه معك يا أمي سأرسل لشراء كارت مباشر وأكلمك حتى أطمئن عليكي.

قالت الست «هديل» بعفوية وهي تقلب الجهاز بين يديها :

- والله شكلي ما هعرف أستخدمه يا بنتي.

وأصرت «هديل» وأمام إصرارها وافقت أمها ووضعت الهاتف في حقيبتها وهرولت بأمل في الحياة نحو موقف الميكروباص وهي ترسم أمالا لحياة خالية من ذلك الألم المفزع الذي يهاجمها.

أفاقت حين لكزها ذلك الشاب وهو يصعد قبلها ليأخذ مكانها في الميكروباص حتى أنها كادت أن تنكفئ على وجهها فقالت بسرعة وبوهن :

- يا إبني حرام عليك كنت هتوقعني !!

لا يلتفت إليها ويهملها وكأنها لا تكلمه فتحدثه بلهجة رجاء :

- يا إبني أنا باغسل الكلى واتأخرت على دوري في المستشفى !!

يبدو الضيق على كل الركاب وتتعالى طقطقات الإستنكار فقال الشاب بكل عدم اهتمام :

- أنا كمان مستعجل يا حاجة.

فيتدخل شاب آخر في الحوار ويقول :

- يا أخي حرام عليك بتقولك عيانة.

فيرد عليه (بسماجة) :

- متنزل أنت وركبها .. ولا لازم تبقشش من جيبي أنا ؟!!

فينهض الشاب بمنتهى الشهامة ويجعلها تأخذ مكانه بعد إصرار وإلحاح منه فتركب الست «أمينة» وهي تدعو له كثيراً.

.....

وقف «فاروق» العامل في قسم الغسيل الكلوي بالمستشفى الحكومي يراجع القائمة الخاصة بأسماء المرضى المختارة أسمائهم لجلسات الغسيل الكلوي المجانية وهو يبتسم إبتسامة رضا حين رأى إسم الست «أمينة» من ضمن الأسماء، ولكن ما لبث أن تبع الإبتسامة نظرة قلق حين نظر إلى ساعته التي تشير إلى التاسعة ولم تحضر الست «أمينة» بعد كما إتفق مع إبنتها، وأفاق على سؤال من الأستاذ «محمد» يسأل عن الأسماء الواردة في القائمة عسى كان إسم «نسمة» إبنته من ضمن هذه الأسماء المختارة، فقال :

- إسم بنتي نسمة محمد موجود ؟

رفع «فاروق» عينيه يتأمل الفتاة النحيلة ذات العيون السوداء وهي تقف متكئة في وهن على ذراع والديها، ثم راجع ببصره القائمة وتردد قليلا ثم قال بلا إهتمام :

- معلش يا أستاذ .. الإسم مش موجود.

تبادل الأستاذ «محمد» وزوجته النظرات الجزينة في حين قالت زوجته بلهجة إستجداء :

- يا بني شوف تاني كده ..يمكن الإسم يكون في الصفحة التانية !!

شعر «فاروق» بحرج شديد وهو يهرب بعينيه من نظرات الفتاة التي وقفت صامتة وقال :

- لا يا أمي .. صدقيني .. والله لو أقدر أخدمك عمري ما أتاخر أبدًا .. لكن ده نظام وذور وأولوية.

إنفجرت الأم في البكاء في حين وقفت الفتاة تربت على كتفيها وهي تقول بصوت واهن وضعيف :

- خلاص يا ماما .. أنا تعبانة من الوقوف .. عايزة أروح البيت.

أحضر «فاروق» كرسي للفتاة بسرعة وهو يقول :

- إرتاحي قليلا .. وسأرى ماذا أستطيع أن أفعل.

شكره والدا الفتاة بشدة ووقفا بجوار إبنتهما التي أخذت تتطلع في الوجوه المريضة والتي ذكرتها بما هي فيه وبالنهاية التي تنتظرها فأدمعت عيناها وظلت تبكي دون صوت.

...

كان الميكروباص يسير بسرعة صاروخية وكانت الست «أمينة» تجلس فيه تنتظر وصولها للمستشفى بفارغ الصبر، وكان صوت الأغنيات عالي جدًا، فما كان منها إلا أن طلبت من السائق أن يخفض الصوت، ولكن لا حياة لمن تنادي.

وفجأة تعالت أصوات الركاب، وطارت السيارة في الهواء، وإنقلبت، وتعالت الصرخات، وحدثت المأساة، ثم هدأ كل شيء.

ووقف العميد «التوني» يشاهد الأجساد الملقاة هنا وهناك، وأقبل عليه «كريم» وهو يحمل بين يديه هاتف محمولا يدق بإصرار، وقال له :

- هذا الهاتف كان في حقيبة السيدة العجوز.

.....

من بعيد وقف «فاروق» لا يستطيع أن يزيح بصره عن وجه الفتاة الحزينة ويراجع مرة أخرى القائمة التي بين يديه، ثم يعيد الإتصال بـ«هديل» ليتعجل حضور والدتها سريعها، ولكن الهاتف

يدق ويدق دون أن يجيب عليه أحد، وقد قاربت الساعة على الحادية عشر والنصف ظهرًا. تأمل التعابير الدقيقه للفتاة والتي أتى عليها المرض بشحوب عجيب، يتأمل لهفة والديها عليها وقد إمتقع وجهيهما بشكل مخيف، ظل بصره معلقا لفترة ليست بالقصيرة، نعم كان يرى الحالات المرضية من هذا النوع يوميًا أمامه إلا أن هذه الحالة بالذات كان لها تاثيرًا كبيرًا عليه، لماذا ؟! هو فقط من يعلم.

دق هاتف «فاروق» برقم «هديل» فأجاب بسرعة وقال :

- أيوه يا هديل .. إتأخرتوا ليه ؟!

ولكن أجابه صوت آخر لرجل يقول :

- مين معايا ؟

أجاب «فاروق» وقد شعر بأن هناك شيئًا غريبًا وغير مألوف فعرفه بنفسه، وسمع «فاروق» الخبر، خبر وفاة الست «أمينة» وهي في طريقها إلي المستشفى، ولم يستطع أن ينطق بشيء. فالتفت ببصره باحثًا عن الأستاذ «محمد» وإبنته «نسمة» وكانا قد تحركا بالفعل يهمون بالمغادرة بعد أن إستراحت الفتاة، فقفز بين المرضى بسرعة يلحق بهم، أمسك الأستاذ «محمد» من كتفه وقال وهو يلهث :

- إستنى يا أستاذ .. إسم البنت بالكامل نسمة محمد حسنين ؟

تهلل وجه الرجل وقال بلهفه :

- نعم .. بالضبط.

فقال «فاروق» وهو ينظر للفتاة :

- إسمك موجود .. إسمك موجود يا نسمة.

ضـحكت «نـسمة» بـين دموعها وإنفجـرت الأم تبكـي وتـضحك وتدعوا الله له بألا يسيئه في حبيب له. فـي حـين مـال هـو علـى «نسمة» وقال لها :

- إدعي للست أمينة بالرحمة.

فقالت له بتعجب :

- والدتك ؟!

قال لها وهو يبتسم شبح إبتسامة :

- نعم.

وأمسك قلمه وهو يهز رأسه غير مصدق، وأعاد كتابـة الإسـم الـذي كان قد محاه من قبل إلى القائمة، إسم «نسمة» بدلا من إسم الست «أمينة» نعم فقد كان هو من بدل الإسمين في البداية فـي محاولـة منه لخدمة الست «أمينة» قريبته على الرغم من أن «نسمة» كانـت الأولى بالعلاج ومن كان إسمها في القائمة من البدايـة، فكـر ودبـر لكن الله كان له تدبيرات أخرى. سبحانه !!

محسن

بقلم : أحمد مراد

ببذلته الأنيقة وهندامه، وحقيبته السوداء الغامضة، إستقل «محسن» ذلك الميكروباص ليذهب لهذا الموعد وليقابل ذلك الرجل، وما إن إستقر بكرسيه حتى هز رأسه في أسى وقال :

- يارب خدني بقى وريحني.

كان الراكب الذي بجواره شاب له لحية وهادئ الملامح، أخرج مصحفا وهم أن يقرأ فيه لولا أن طرقت جملة «محسن» مسامعه رغم خفوتها، فلم يتمالك نفسه من الرد عليه قائلا :

يا أخي لا يجوز شرعًا أن تدعوا على نفسك بالموت والهلاك مهما كانت معاناتك فالله أعلم هل الموت راحة لك أم بداية الشقاء .. ولكن المأثور أن تقول اللهم : إجعل الحياة زيادة لي في كل خير وأجعل الموت راحة لي من كل شر.

نظر «محسن» إليه شذرًا وهز يده بلا مبالاة، وانطلق بذكرياته إلى هناك، إلى لحظة تخرجة من الجامعة. تخرج «محسن» من كلية الحاسبات والمعلومات بتقدير جيد، ورغم أن تقديره عادي جدًا إلا أن «محسن» نفسه هو الغير عادي، فقد كان عبقريًا وموهوبًا بشكل غير عادي في البرمجة سواءًا في مجال البرامج العادية والمتنوعة أو برمجة سكريبتات المواقع وتطويرها على شبكة

الإنترنت، وعلى الفور توجه إلى أستاذه الدكتور «محمد الهنداوي» ودخل مكتبه وما إن رآه الرجل حتى قام واقفا وكأنما قد لاقى عزيزًا عليه وقال له وهو يشير بإصبعه نحوه :

- أحذرك ألا تكون قد نجحت .. فوالله مهما كانت عبقريتك لن يتم تعيينك عندي في شركتي إلا بعد تخرجك .. فأنا أعرف أمثالك يمكنك العمل ببراعة قبل التخرج ولو حدث فلن تتخرج أبدًا.

ضحك «محسن» وقال :

- الحمد لله رب العالمين .. فعلتها وبتقدير جيد أيضًا.

شد الدكتور «الهنداوي» على يده وقال له :

- مبارك يا ولدي .. الآن أنا أهنئ نفسي أن إكتسبت شركتي عقلية فذة وموهبة رائعة تتمثل فيك أنت .. من الغد تكن عندي لتتسلم عملك رسميًا.

إنطلق «محسن» بعد لقائه بالدكتور «الهنداوي» وهو يشعر بالفرحة والسعادة تغمره، فالحمد لله قد تخصص في المجال الذي يحبه وبهذا يمكنه الإبداع فيه وهذا سر تميزه، وها قد حصل على فرصة عمل رائعة في كبرى شركات البرمجة وفي مكان يتمنى الجميع الوصول إليه، تسلم «محسن» عمله وبدأ مباشرة في آداء مهامه وكما هو متوقع علا نجمه بسرعة ولمع، فالدكتور «الهنداوي» شخص خبير يستطيع بسهولة أن يلمح الموهبة الكامنة والمعدن الحقيقي لكل شخص بسرعة، وقد كانت نظرته في «محسن» ثاقبة وفي محلها وتوقع أن تعلوا الشركة بسببه وهذا ما حدث فقد إرتفعت مبيعات الشركة في القسم الذي يتبعه «محسن» بشكل غير مسبوق، ولهذا كان يعامل «محسن» كولده ولا يرفض له طلبًا أبدًا ولا يناقشه مطلقا فيما يريد، فهو يثق بأن وطننا العربي ملئ بالمواهب والعباقرة الذين لا ينالون حقهم ولا حظهم من

التقدير المادي والمعنوي وهذا سبب هجرة كل العقول المميزة للخارج حيث يلاقون هذا التقدير هناك، ولهذا كان من ضمن خطته الإستراتيجية إحتضان تلك العقول حين العثور عليها ومنحها بعضًا مما يستحقون، وكان «محسن» أحد تلك العقول، وكان هذا سر معاملته الخاصة التي كانت تثير غيرة الجميع بالرغم من إعترافهم بقدرات «محسن». كان موعد إنتهاء العمل بالشركة هو الثامنة مساءً، الجميع كان ينطلق كأنما قد لسعه عقرب حينما تدق الساعة معلنة إنتهاء يوم العمل، أما «محسن» فلربما يقوم بكتابة كود لأحد البرامج ويسيطر عليه وعلى كل تفكيره فلا يشعر بالكون من حوله إلا بعد الإنتهاء من هذا الكود وقد يتفاجئ بأن هذا قد حدث بعد منتصف الليل، وبالرغم من ذلك كان يشعر بنشوة خاصة وسعادة غامرة لمجرد نجاحه في آداء وإنهاء هذا الكود، كان يتمنى أن يجد من ينافسه، فروح المنافسة والتحدي تضفي متعة أخرى فوق هذه المتعة، وللأسف كل من حوله مجرد مؤدين يؤدون فقط المطلوب منهم وليس هناك العقل الإبتكاري الذي يهوى الخروج عن المألوف، كم يتمنى أن يجد هذا، وكأنما كانت أبواب السماء مفتحة حينما تمنى أمنيته هذه ففي اليوم التالي إذا به يجد هذه المنافسة التي يتوق إليها والعقل الإبتكاري الذي يبدع ولا يسير على القضبان المرسومة له، إنها المهندسة «فاتن» وهي حقا فاتنة، فبالرغم من ذكائها وعقلها وموهبتها وكل ما هو مميز فيها مما دفع الدكتور «الهنداوي» لتبنيها معه، فعلى عكس المعتاد من أن العباقرة دومًا لا يهتمون بمظهرهم ويكن المظهر هو آخر ما يشغل بالهم كانت هي أنيقة في تكلف واضح، تهتم بأدق التفاصيل في ملبسها ومظهرها، وكان هذا يتناسب مع جمالها الأخاذ، وكان حظ «محسن» أنها معه بقسمه، وكما لفتت إنتباهه بجمالها فقد شغلته بعبقريتها وموهبتها

ومنافستها له، وإنطلق الإثنان في تلك المنافسة مما رفع من آداء الشركة بأكثر مما كان، كانت «فاتن» من النوعية التي تشعر بذاتها وتشعر بجمالها وتعرف بأنها محط إهتمام كل الأنظار حولها، تعلم بأنها عبقرية وموهوبة وتثق بأنها دومًا الفائزة والمنتصرة في أي شئ تريده، أي شئ في أي مجال وفي أي مكان، وكانت ثقتها بنفسها تكاد أن تصل لحد الغرور، وكما كانت تتوقع حين تم تعيينها بشركة الدكتور «الهنداوي» ستكون هي نجمة هذه الشركة المتألقة بها، ولأن عينها إعتادت على التدقيق في كل التفاصيل، فبالرغم من كفاءة «محسن» وبراعته إلا أنها كانت تتأفف بقوة من إهماله لمظهره، وبالرغم أيضًا من أنها رأت في عينيه نظرة إعجاب وإنجذاب لجمالها في بداية تعرفها به إلا أن ما ضايقها بعد ذلك هو تجاهله التام لمظهرها هذا وإهتمامه فقط بالتنافس معها، وهي قد إعتادت أن تكون الأولى والأخاذة في كل شئ، لذا قالتها له مرة ومباشرة :

- لماذا تهمل مظهرك يا محسن ؟!

ضحك «محسن» وقال :

- العباقرة هكذا دومًا ثم إن العقل وقدراته أهم من تلك التوافه التي لا تشغل إلا بال الحمقى.

إزداد ضيقها من رده وكأن كلمة الحمقى موجهة لها، وقالت له :

- جوهرة ثمينة قد لا تستطيع إظهار قيمتها إذا لففتها بغير عناية أو وضعتها بعلبة مهترئة .. وأخرى قد تكون مزورة ولكن العناية بها وبزينتها قد تجعلها ذات قيمة كبرى.

صمت «محسن» برهة، وقال :

- كلامك مقنع جدًا .. سأحاول ولكني لا أجيد العناية بالمظهر وربما لا أستطيع فن هذا.

إبتسمت فاتن بإنتصار، وقالت :

- دع هذه لي .. بعد موعد العمل نذهب سويًا إلى أحد المولات الكبيرة وسوف أجعل منك كائنا آخر.

وقد كان. ففي وسط دهشة وذهول الجميع دخل «محسن» الشركة في اليوم التالي ببذلته الأنيقة ورباط عنقه المحكم وحقيبته السوداء الرائعة، ولاحظ «محسن» هذا الإنبهار وصفير المداعبة من زملائه، وشعر بالسعادة لأجل هذا، وشعر بالإمتنان لـ«فاتن» من أجل ذلك، وبالطبع كان التطور الطبيعي بعدها بشهرين إعلان خطبة «محسن» و«فاتن» بعد إرتباط كل منهما بالآخر. بارك الدكتور «الهنداوي» لهما وقال :

- أصبحت أخشى على نفسي من إرتباطكما هذا .. فيومًا ما ستصبحون أصحاب أكبر شركة منافسة لي.

ضحك «محسن» وقال له :

- أنت أبانا وصاحب الفضل علينا يا دكتور ولا يمكن أن نتخلى عنك أبدًا.

قهقه الدكتور «الهنداوي» وقال له وهو يغمز بعينيه :

- إستعد إذا لأول إختبار لهذا الإنتماء.

نظر «محسن» نحوه متسائلا، وقال له :

- أي إختبار هذا ؟

أغلق الدكتور «الهنداوي» الباب حتى لا يستمع أي شخص إليه، وقال له وهو يربت على كتفه بحنان :

- أنا أعتبرك دومًا ولدي يا محسن ولهذا أهتم للغاية بك .. ويهمني جدًا أن تحقق كل أحلامك .. أعلم أنك من أسرة متوسطة الحال .. وأعلم جيدًا من هي أسرة فاتن وأن أمر زواجك بها ليس هينًا والعائد المادي بعملك عندي لن يكفي أبدًا مهما علا لتحقيق مطالبك المادية ..

ولهذا أخشى ما أخشاه على عبقريتك هذه أن تكون مطالب الحياة المادية هي أول مسمار في نعشها .. ولهذا .. فقد جئت لك بعقد عمل ممتاز وبعائد مادي خيالي بكبري شركات البرمجة بالمملكة العربية السعودية .. وهذا بالطبع مع وعد منك بأن تعود إلينا حينما تشعر بأن مطالبك الشخصية والمادية قد تحققت.

رغمًا عنه سالت دموع «محسن» وألقي بنفسه على صدر الدكتور «الهنداوي» وهو يقول له :

- والله يا دكتور ولا أبي نفسه يمكنه أن يفعل لي مثلما تفعل معي.

ضحك الدكتور «الهنداوي» وقال له :

- بالطبع لأنه ليس أستاذ جامعي بكلية الهندسة وليس لديه شركة كبري في مجال البرمجة .. هيا كفكف دموعك هذه ولتأخذ أوراقك وتذهب حالا للسفارة السعودية لتبدأ في إجراءات السفر فالشركة هناك تنتظرك على أحر من الجمر.

بعدها بدقائق كان «محسن» يقص على مسامع «فاتن» ما دار بينه وبين الدكتور «الهنداوي» وهو مأخوذ ومتأثر جدًا بهذا الموقف النبيل، وهي تقول له :

- الرجل حتمًا مكسبه بسبب أعمالك معه كان رائعًا وهذه مكآفاة طبيعية على آدائك.

قال لها «محسن» بصرامة :

- في سوق العمل لا مشاعر والمفترض بحساب الربح والخسارة الذي تتحدثين عنه ألا يسعى ولا يحضر هذا العقد لي فالأفضل له أن أبقي معه لأدر له ربحا أكبر.

كانت «فاتن» لا تحب أبدًا أن تكون على خطأ لهذا قالت محاولة تغيير دفة الحديث :

- أروع ما في الدكتور الهنداوي أن يسر لك الطريق كي تتمكن فعلا من أن تعد لنا بيتًا رائعًا للزوجية المستقبلية بإذن الله.

.....

أخذ «محسن» عقد العمل ومعه الأروراق المطلوبة وتوجه للسفارة السعودية التي طلبت منه الكثير من الإجراءات الرسمية ومن ضمنها عمل تحاليل طبية للكشف عن الإصابة بالإيدز وفيروس الإلتهاب الكبدي الوبائي من الفئة سي والفئة بي، إنغمس «محسن» عدة أيام في إنهاء هذه الإجراءت وحين قرر الذهاب للمعامل المركزية بوزارة الصحة المصرية لعمل التحاليل الطبية المطلوبة منه نصحه صديقه «علي» بعمل هذه التحاليل أولا بمعمل خاص قبل التوجه للمعامل المركزية وقال له :

- إن نتيجة المعامل المركزية تذهب في مظروف مغلق إلى السفارة السعودية دون أن تعلم ما بها ولو كانت النتيجة إيجابية لأي من الأمراض الثلاثة سيتم تسجيل إسمك على كمبيوتر السفارة من الممنوعين من السفر للعمل بالمملكة السعودية ولا يمكن رفع إسمك بعدها أبدًا.

كان «محسن» مندهشًا لهذا الطلب وهو يقول لـ«علي» :

- ومن أين ستأتيني هذه الفيروسات وها أنا سليم أمامك كالحصان.

قال له «علي»:

- لن تخسر شيئًا إذا فعلتها للإطمئنان.

وقد كان، وكانت المفاجأة القاسية أيضًا، فـ«محسن» مصاب بالإلتهاب الكبدي الوبائي من الفئة سي، لم يكن «محسن» مصدقا أبدًا لنتيجة هذا التحليل، فذهب لطبيب مختص الذي طلب منه الكثير من الفحوصات المعملية التي أكدت أن «محسن» مصاب فعلا بفيروس سي وبنسبة عالية جدًا وفي حالة نشطة، كان «محسن» فعلا يشكو في الفترة الأخيرة من الإجهاد الكبير ومن صفار خفيف ببياض العينين وكان يظن بأن سبب هذا هو الإجهاد والسهر الكثير في العمل، فهو في الفترة الأخيرة كان يبذل مجهودًا أكثر مما يتحمل وفاءًا للدكتور «الهنداوي» فكان يظل طوال اليوم يجري يمينًا وشمالا في محاولة إنهاء إجراءات سفره وآخر اليوم يتوجه للشركة ليقيم بها في محاولة لفعل المستحيل كرد للجميل لصاحب العمل، ولكن إتضح أن هذا الإجهاد لم يكن إلا بسبب مرضه، وحينما أخبر صديقه «علي» قال له :

- لا تخبر أحدًا أبدًا وسوف أجد لك حلا بإذن الله.

وبالطبع كانت «فاتن» هي المستثناه من ذلك، ولهذا قابلها «محسن» وبعين باكية قال لها :

- أنا مريض يا فاتن.

نظرت «فاتن» إليه متوجسة وقالت له :

- عن أي مرض تتحدث وما الذي حدث ؟!

قص «محسن» عليها الأمر بالتفاصيل، وأخيرًا أخبرها بأن حالة كبده سيئه وربما من الصعب علاجه، وظن بأنه سيرى دموعها المنهمرة لأجله، أو أن تربت على كتفه وتطمئنه، أو أن تخبره بمساندتها له وعدم التخلي عنه، ولكن كان رد فعلها أعجب وأقسى رد فعل ممكن، فبكل بساطة نزعت دبلة الخطوبة من إصبعها، وقالت له بكل برود :

- معذرة يا محسن .. لن أتحمل أن اكون أرملة وأنا في عز شبابي.

وفجأة أظلمت الدنيا في وجه «محسن» وأحس باليأس والإحباط من كل شئ، صدمة إصابته بفيروس سي وحالته المتردية، صدمة خسارته لفرصة السفر الرائعة، صدمة «فاتن» التي مزقته بسكين حاد وبكل برود، صدمات متتالية تهد الجبال، وقد هدته. ظل لخمسة أيام بحجرته المظلمة لا يخرج منها ولا يحدث أحدًا ولا يأكل ولا يشرب إلا الكفاف، ولا يرد على هاتفه الذي لا يكف عن الرنين، وأخيرًا دخل صديقه «علي» إليه في حجرته ليوبخه على موقفه هذا ويخبره بأنه قد جاء إليه بالحل لكل مشاكله، نظر «محسن» إليه مندهشًا، عن أي حلول سحرية يتحدث «علي» ؟!!

قال له «علي» في حماس :

- ما هي مشاكلك الآن بالتحديد ؟

قال له «محسن» بوهن :

- أولا صحتي المتدهورة وصعوبة العلاج، والعلاج المتوفر مكلف للغاية ولا استطيع دفع نفقاته رغم آثاره الجانبية القاسية .. وفقداني لفرصة العمل الرائعة .. وفقداني لشريكة حياتي قبل أن تكتمل هذه الشركة.

قال «علي» في تردد :

- دعك من الأخيرة وجئت إليك بحل الأولتين .. آولا وجدت لك رجلا يعمل بالمعامل المركزية بوزارة الصحة يمكنه التلاعب بنتائج المعمل مع المقابل المناسب؛ وبهذا يمكن أن تعود إليك فرصة السفر الرائعة وبالعائد المادي الخيالي يمكنك أن تتعالج .. فما رأيك ؟

كان «محسن» وسط يأسه وإحباطه يرى بأن هذا هو الضوء الوحيد الذي بزغ له فجأه ليعيد إليه شيئًا من الأمل فقال لـ«علي» بإهتمام:

- وما هو هذا المقابل المادي المناسب الذي يطلبه ؟

قال «علي» في تردد أيضًا :

- إنه يطلب مبلغ عشرون ألف جنيه.

إتسعت عينا «محسن» في دهشة وقال له :

- ومن أين لي بهذا المبلغ وقد أنفقت كل قرش معي في خطوبتي التعيسة هذه ؟

قال له «علي» :

- أنظر للعائد بعد دفع هذا المبلغ ولتتصرف بأي شكل كان .. لأنها فرصة لن تُعوض.

شكره «محسن» على جهده وقال له :

- سوف أتصرف بإذن الله.

في اليوم التالي كان «محسن» في الشركة في أول ظهور له منذ خمسة أيام، كانت عيناه منتفختان وحولهما هالة كبيرة سوداء وقد بدأ اللون الأصفر يزداد وضوحًا ببياض عينيه، ولهذا كان يرتدي منظارًا أسودًا لم ينزعه حتى وهو بداخل الشركة وبعيدًا عن الشمس، دخل إلى مكتبه وكانت «فاتن» في المكتب المقابل له، لم تعره إنتباهًا ولم تحاول حتى أن تنظر نحوه، وإذا بها تجده واقفا أمامها، همت أن ترفع وجهها وهي تحضر له جملة قاسية أخرى تفقده الأمل في أي محاولة للرجوع ولكنه بادرها قائلا لها في خفوت :

- مطلبي الأخير فقط أن يكون هذا المرض سرًا بيننا ولا تخبري به أحدًا .. هل يمكنني الثقة بك في هذا ؟

هزت رأسها ببساطة وقالت له في اقتضاب :

- يمكنك.

عاد «محسن» إلى مكتبه بكتفين متهدلين وجلس عليه وهو يحاول أن يبدأ عمله والعجيب أنه كان يشعر بالعجز التام، فجأة ترهل عقله وفقد بريقه ولم يعد يستطيع العودة للسابق حتى أنه يظل يراجع أعماله القديمة ويتعجب كيف أنجزها في السابق ، وأخيرًا أغلق «محسن» جهازه وظل شاردًا ببصره في الفضاء يفكر في مشكلته، من أين يأتي بهذا المبلغ الذي لا يطيقه ؟! أصبح جل همه الآن هو السفر، وبأي شكل كان، وبأي طريقة مهما كانت غير مشروعة، وبدأ إحساس الأنا يسيطر عليه بشكل غريب، وأخيرًا برقت في ذهنه الفكرة، ورغم غرابتها الشديدة، ورغم أنه لو كانت وردت بخياله من قبل لذبح نفسه إلا أنه تقبلها ببساطة، وقال لنفسه "*الرجل وسط أرباحه الطائلة لن يؤثر هذا المبلغ معه أبدًا، لكنه يؤثر معي وتتوقف عليه كل حياتي*" وبالطبع لا يمكنه أن يطلب منه هذا المبلغ كسلفة لأنه سيتوجب عليه أن يكشف له سبب إحتياجه له وهذا هو المستحيل فلن يمكنه كشف السبب، ولهذا، ولأنه يمكنه السهر وحده بالشركة والثقة فيه مطلقة رتب أن يطيل السهر هذه الليلة. وأخيرًا وبعد أن أصبح وحده تسلل لحجرة الحسابات ولكن للأسف كانت مغلقة بإحكام ولن يمكنه دخولها، وفي اليوم التالي دخلها ليلقي السلام على «توفيق» المحاسب وليري على أرض الواقع وسيلة للوصول إلى أموال الشركة، وإذا به يرى مفاتيح «توفيق» ملقاة بإهمال بأحد جوانب مكتبه وإذا بالصدفة تخدمه فقد إتصل الدكتور «الهنداوي» بتوفيق ليستدعيه، ولأن الثقة في «محسن» عالية جدًا فقد تركه «توفيق» وإنطلق ليلبي مطلب الدكتور فما كان من «محسن» إلا أن أخذ المفاتيح ووضعها في جيبه وإنطلق إلى خارج الشركة ليصنع منها نسخة بسرعة وفي خلال نصف الساعة عاد إلى توفيق الذي كان منهمكًا في أعماله وإرتكن «محسن» على مكتبة والمفاتيح في

قبضته ثم ألقاها على الأرض في مشهد يوحي بأنه أوقعها بيده من فوق المكتب ورفعها ليعيطها إلى «توفيق» وإنطلق بعد أن أنهي حواره المفتعل معه. وفي آخر الليل كان ينطلق بحقيبته المليئة بالأموال التي سرقها وهو يرى بأن ما فعله لا شئ فيه، فهو يشعر بأنه مظلوم في هذه الحياة، فهو عبقري ولكن لا يأخذ حقه ولا مكانته، وحينما آتته الفرصة كادت أن تضيع بسبب مرض غريب لا يعرف مصدره، فلما يقع عليه هذا الظلم ؟!! ولما هو بالذات يحدث له هذا ؟!! لما لا يكون متفوقا متألقا صاحب أعمال وثروات ويمن على الناس مثل الدكتور «الهنداوي» كان موعده يوم السبت صباحًا باكرًا لملاقاة الرجل الذي يعمل بوزارة الصحة ليعطيه المبلغ وليحدد معه وسيلة التلاعب بالنتائج. وكان الصبي ينادي على الركاب قائلا:

- مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااااا

فاستقلها ليقابل الرجل في شبرا الخيمة في المكان المتفق عليه، أمسك بحقيبته بعناية ورغمًا عنه تذكر الموقف الذي إحتضنه فيه الدكتور «الهنداوي» وهو يقول له بأنه يعده ولده، وإذا به يشعر بتأنيب كبير للضمير، شعر بأن كل حياته تتداخل بشكل عجيب ومأساوي وأنها مرتبكة جدًا ولم تعد طبيعية أبدًا، شعر بالألم وفي نفس الوقت لا يمكنه التراجع، فهذا يعني له الموت، فقال مرددًا دون أن يشعر بأن صوته مسموع :

- يارب خدني بقى وريحني.

ليرد عليه ذو اللحية الذي يجلس بجواره، ولتقع بعدها الواقعة قبل أن يصل لمقابلة الرجل.

.....

دخل «كريم» على العميد «التوني» وهو يقول له :

- سيادة العميد هناك...

قاطعة العميد «التوني» قائلا :

- مفاجئة جديدة .. أعلم هذا هيا إئتني بها ومباشرة بلا تأخير لقد مللت مفاجئآتك وعجائبك.

بهت «كريم» برد العميد «التوني» وقال له مترددا :

- قضية ميكروباص الطريق الدائري ستتفرع عنها قضية أخري عجيبة تتبع مباحث الأموال العامة .. فالشاب المسمى محسن كان يحمل مبلغًا كبيرًا من المال وكلها أموالا مزورة.

هز العميد «التوني» يديه بتعجب وهو يقول :

- من كان يتخيل أن هذا الحادث يحمل هذا الكم من الأموال ؟! أنا أرى أن هذا الميكروباص وبحادثته هذه قد حمل بين جنباته الكثير والكثير من كل مفارقات الحياة وعجائبها .. فلتطلب لي إدارة الأموال العامة لنحول هذه الأموال والقضية لهم.

وتحولت القضية التي بدأ البحث والتحقيق فيها لتظهر بعد ذلك المفاجئات التي أذهلت الجميع، سرقة «محسن» للرجل الطيب الذي كان يعده كولده، ووقوع «توفيق» بأمواله المزورة التي كان يدسها بالخزانه ليوزعها مع الرواتب.

.....

مشهد قصصنا بدايته ولم نكمله ..

حينما كان الشاب ذو اللحية الهادئ يحدث «محسن» ولوح له «محسن» بغير عناية وإندفع في ذكرياته، حاول الشاب بعدها أن يتجاهل الأمر ويقرأ في مصحفة ولكن لم يستطع التركيز في حرف واحد من أي آية قرأها، فالأفضل له من وجهة النظر العادية

أن يترك الشاب في حاله ويريح نفسه من عنت الجدال معه ولكن، لكنه فكر في أن رُب كلمة واحدة تقولها بإخلاص وتكون سببًا في تغيير مصير إنسان كم من شخص قال جملة وكانت سببًا في هداية آخر، ولذا آثر أن يترك السلبية وأن يكون إيجابيًا، فقال لـ«محسن» :

- ما بك يا أخي أشعر أنك تحمل جبالا من الهموم ؟!

وكأنما كانت جملته هذه هي المفتاح لأن ينطلق «محسن» ويقص عليه كل شئ بإختصار كأنما يريد أن يزيح عن صدره كل الهموم، إبتسم الشاب ذو اللحية وربت على كتف «محسن» وهو يقول :

- أولا يا أخي عسى أن تكرهوا شيئًا وهو خيرٌ لكم .. من أدراك أن الغنى والرزق الواسع هو سبب السعادة في الحياة ربما كان مصدرًا للتعاسة لك !! فكم من ثري لا ينام الليل تؤرقه المشاكل والهموم .. وكم من رجل بسيط ينام ليله وقلبه مطمئن والسعادة تغمره رغم الحاجة .. فالسعادة شعور داخلي يمنحه الله لمن يشاء ولا إرتباط فيها بالغنى والفقر .. ومن أدراك أن خطيبتك هذه كانت هي مصدر الشقاء لك لو تمت هذه الزيجة !! فليس كل ما تطلبه وترغبه هو الصالح لك .. فالطفل الصغير ربما يطلب أكلة ويبكي بكاءًا مُرًا لأجلها ولكن منعها الطبيب عنه لأجل مصلحته لأنه بتناولها ستزداد حالته سوءاً كذلك كل أمورنا في حياتنا .. والله عز وجل أرحم بنا من الأم بوليدها .. ثق أن ما أصابك ما كان ليخطئك وما أخطئك ما كان ليصيبك وثق أيضًا أن أكثر الناس بلاءًا هم الأنبياء ثم الصالحون من بعدهم ومعنى أن إبتلاك الله فهو إصطفاء لك .. فهنيئًا لك أخي الحبيب بشرط

أن تصبر وترضى بقضاء الله عز وجل وأن تسعى دومًا فيما يرضى الله عز وجل لا ما يغضبه ويسخطه.

وإبتسم «إسماعيل» ذلك الشاب الهادئ ذو اللحية بمرارة وأكمل حديثه قائلا :

- وثق بأن هناك من هم أكثر إبتلاءًا منك وربما يكونون أقرب إليك مما تتصور.

كانت كلمات الشاب تهبط على قلب «محسن» بردًا وسلامًا، كانت تشفيه من كل همومة وغمومه وآلامه، ولكن عند تذكره للمبلغ المسروق من أفضل الناس ومن صاحب كل الأفضال عليه، عادت الغصة تحرق حلقه فلم يجد حرجًا لأن يخبر الشاب بها ويسأله ما الحل، فقال له الشاب ببساطة :

- أعد هذا المبللغ لموضعه وإبتعد عن الرشوة سبب اللعنة، وتب إلى الله عز وجل توبة صادقة وإستغفره.

قال «محسن» بخشوع :

- أستغفر الله العظيم من كل ذنب.

وهم أن ينادي على السائق ليتوقف وينزله، ولكن فوجئ بالسيارة تتمايل في مشهد عجيب، وصراخ الناس يعلوا، فما كان منه إلا أن صرخ بقوة معهم لكي يفيق السائق، فما يهمه الآن هو أن يعيد هذا المبلغ قبل أن تقع الواقعة، ولكن. سبق السيف العزل.

.....

علاء

بقلم : يمنى حافظ

كان كعادته كل يوم، يستيقظ قبل آذان المغرب بوقت قليل بعد أن يعود من سهراته مع الأصدقاء والتي لا تنتهي قبل الساعة التاسعة صباحًا، نهض بتكاسل وهو يتخبط في زجاجات وعبوات المياه الغازية الفارغة والأحذية المقلوبة والصحون المتراكمة والمبعثرة والممتلئة ببقايا الأطعمة والتي تملأ أرض الحجرة هنا وهناك، لم يكن قد أفاق بعد حين، داس بقدمه فوق منفضة السجائر التي إمتلأت عن آخرها فكاد ينكفئ على وجهه فركلها بقدمه وهو يتلفظ بكلمات وقحه ويسب ويلعن في اليوم الأسود والحياة والحظ العثر، خرج من باب الحجرة فوجد شقيقته تجلس بجوار والدتها تتحدثان بهمس وصمتن حين سمعن صوت باب الغرفة يُفتح، فما كان منه إلا أن قال بصوت غليظ وبلهجة ساخرة مستفزه :

- إبقي ياختي نضفي الأوضة على ما أخرج من الحمام.

قالت «سلوى» بتعجب مختلط بالترقب :

- ألم تمنعني من تنظيفها إلا بإذنك ؟!

قلب شفتيه بصوت ساخر مقلدًا شقيقته وهو يتراقص أمامها في إستهزاء :

- ألم تمنعني من تنظيفها إلا بإذنك ؟!

ثم أردف بغضب :

- أومال أنا بقولك إيه دلوقتي ؟ ولا ما بتفهميش ؟!!

هزت رأسها ولم ترد سوى بكلمة واحدة :

- حاضر.

وقال موجهًا الكلام لوالدته :

- ها يا حاجة .. فكرتي في الكلام ولا لسه ؟

قلبت والدته شفتيها وتمتمت بخفوت وقالت :

- ربنا يهديك .. ربنا يهديك يابني.

فانفجر قائلا :

- بتقولي إيه ؟! شايفاني مجنون ولا إيه ؟!!

هبت «سلوى» شقيقته تقف أمامه وتقول بخنوع وقلق :

- خلاص يا علاء .. ماما تعبانه أوي النهارده .. بلاش خناق كل يوم ربنا يخليك يا خويا كفاية .. أنا هاعملك توكيل وإعمل اللي أنت شايفه .. يرضيك كده ؟!

لكزها في كتفها وهو يقول بعنف :

لازم الحاجة أمك هي كمان تعمل توكيل .. وسعي من وشي بقى .. أوف.

ثم دخل إلى الحمام وهو لايزال يواصل السباب والتأفف، وأغلق باب الحمام بعنف في حين بادرت «سلوى» بالتربيت على كتف والدتها التي لازالت جالسة ترتكن بيدها على مسند المقعد وباليد الأخرى تمسح دموعها التي كانت تنساب في صمت. فجأة هبت واقفة حين سمعت صوت زوجها الراقد مريضًا في الحجرة المجاورة، وبسرعة لا تتناسب مع سنوات عمرها دخلت أسرعت وأحضرت كوبًا من الماء ووضعته فوق شفتي الرجل ليرشف منه رشفات قليلة، وبوهن وبصوت مرتجف وضعيف قال:

- تسلم إيدك .. أكان هذا صوت علاء ؟ أما زال يتحدث في موضوع التوكيل ؟!

قالت وهي ترفع حاجبيها وتقول بخيبة أمل واضحه:

ومن غيره قلب حياتي إلى غم ؟! لم يكفيه كل ما باعه حتى الآن .. حتى المحلات لم تسلم من يديه .. والآن يريد أن ينهي على الباقي.

ثم قالت بتأفف واضح :

- ياليتك لم تكتب شيئًا بإسمي أنا وسلوى.

هز رأسه في أسى وقال :

وبعدين يا حاجة ؟ كنت فاكراني باحمي حقكم في البيت.

لم تعلق زوجته بأي كلمة غير أنها شردت قليلا ثم قالت بهدوء :

- من قال لك أني أريد شيئاً ؟ يبدو أن حب المال وراثة في هذه العائلة.

نظر إليها نظرة عتاب وقال :

- ماذا تقصدين ؟! ألا ترين مرضي وما أصابني ؟!

نهضت وهي تمسح دموعها وتغادر الحجرة وتردد بقهر وحرقه :

- سامحك الله .. سامحك الله.

ترقرقت دمعة بين جفنيه، فأغلق عينيه وأشاح بوجهه وهو يغمغم في خفوت :

- اللهم إغفر لي وأرحمني .. يارب سامحني فأنت الغفور الرحيم.

.....

وقف الحاج «محمد» في المسجد الصغير الذي يقع أسفل العقار الذي يملكه، ليصلي المغرب في جماعة، وما أن إنتهى من الصلاة حتى التفت لأحفاده الصغار الذين أنهوا الصلاة وقال لهم :

- هيا من منكم سيبدأ بالتسميع ؟

تقافز الأطفال حول جدهم في فرح، فانتحى بهم في زاوية المسجد وجلس يستمع لهم في تلاوة السور التي يحفظونها. وفي الشقة التي تقع في أول دور من نفس العقار جلست الحاجة «عائشة» مع بناتها يُحضرن الحلوى والمشروبات للرجال وللجد والأطفال الذين سيصعدون بعد الصلاة لإكمال التجمع العائلي الذي إعتادوا عليه، وقد كان لهذا اليوم أهمية فهو اليوم التالي لحضور الوالدين المسنين من العمرة، شعرت الحاجة «عائشة» بسعادة غامرة حين حضر الأحفاد الصغار يلتفون حولها ويتحدثون بمرح ويلتقطون قطع الحلوى ويرشفون العصير بنهم فتذكرت شهر رمضان الكريم وقالت:

- فكرتوني برمضان يا ولاد.

فوقفت أمامها طفلة جميلة وقالت :

- عمل إيه الراجل الطيب يا تيته ؟

فجلست تحكي للصغار الذين التفوا بسرعة يجلسون على الأرض حولها ليستمعون حكايات الرجل العجوز الحاج «محمد الطيب» وتجارته الناجحة وجولاته في بلاد الله باحثًا عن الكنوز لأميرته الجميلة، وأن تلك الكنوز لم تكن دومًا أموالا لكنها كانت أغلى من الأموال لأنها كلمات الله ورسوله ونصائح وأخلاقيات الدين، وهذا ما جعل الأميرة تحبه أكثر وأكثر. وقف أمامها الصغير يستمع إليها ويتلمس بيده الصغيره وجهها ويضع إصبعه فوق شامة في وجنتها ويقول لها :

- إيه دي يا تيته ؟

ضحكت وقهقهت كثيرًا، فهذا الصغير بالذات أقرب الأحفاد إلى قلبها، ودائمًا يداوم على ذلك السؤال، فقبلته في رقبته ودغدغته قائله :

- تاني يا كريم طب هاكل منك حته .. هات .. هات هاهاها.

قهقه الصغير في حين شردت الجدة في ملامح وجهه الطفولي البرئ، لكم يشبه هذا الصغير إبنها «محمود» أحقا كما يقولون الولد لخاله ؟ أيعقل أن يشبه الطفل الخال إلى ذلك الحد ؟ ياله من طفل جميل ولكنه يثير شجونها دومًا بهذا الشبه بينه وبين إبنها الراحل «محمود» الذي رحل في سن صغيرة، ولكن ذاكرتها لا تزال تعج بصوته وملامحه وضحكاته، إنها تذكر تفاصيل ذلك اليوم جيدًا حين خرج «محمود» الصغير للعب مع إخوته البنات وأبناء وبنات العم كما تعوَد، وحين عادوا صعدت الشقيقات إلى الشقة في حين تأخر «محمود» كثيرًا، فقد أصر أولاد عمه على أن يتناول الغذاء لديهم، تناول الطعام في شقة عمه ثم عاد، ولم تمر ساعة إلا وصار شاحبًا وهزيلا، وظن الجميع أن الشمس أصابته بضربة، ظل يتقئ طوال يومين متواصلين حتى فاضت روحه إلى بارئها وهو في الثامنة من عمره. عند هذه النقطة بالذات طفرت الدمعة من عينيها، وأفاقت على يد حفيدها الصغير يهزها ويقول :

- تاني يا تيته .. هاهاها تاني.

مسحت عيناها حين رأت نظرة عتاب رقيق في عيون زوجها الحاج «محمد» فمازالت الحاجة «عائشة» بعد مرور كل هذه السنوات تشعر بالحزن والإفتقاد لطفلها الصغير. ولا يشعر بها سوى رفيق عمرها فيعاجلها بنظرة حنان تبث الدفء في نفسها. أو بنظرة عتاب رقيق فتنتبه حتى لا تنساق وراء مشاعرها فتثير

شجن الجميع، رسمت إبتسامة سريعًا على شفتيها وقالت للصغير:

- تاني ؟

فمدت يدها تمسك الصغير وتعاود دغدغته مرة أخرى، وإنطلقت الضحكات.

.....

خرج «علاء» من الحمام وهو لايزال يحتفظ بذلك الوجه المتجهم العبوس الذي أصبح شبه دائم طالما أنه في المنزل، وظل يتأفف وهو يرتدي ملابسه ليكمل يومه كالمعتاد بالسهر خارجًا مع أصدقاءه والتسكع هنا وهناك. فأقبلت عليه سلوى بتردد، وقالت بخوف :

- علاء .. أريد أن... لقد إتصلت بي... لقد...

فصرخ فيها وقال :

- إخلصي .. عايزه إيه ؟ مين اللي إتصلت ؟

إبتلعت كلماتها وهي تخاف أن تكمل ولكنها ألقت الكلمات وأسرعت تتراجع للخلف. قالت :

- لقد إتصلت رضوى وتحتاج بعض المال .. تقول أن إبنتك مريضة.

صرخ فيها بعنف وقال :

- كداابه .. هو أنا قاعد على تل فلوس .. مش خلاص طلقتها عايزة إيه ؟!!

قالت «سلوى» بطيبة :

- يا علاء إنها بنتك .. لا علاقة لها بخلافاتك أنت وأمها ثم إنك طردت رضوى من الشقه ولم ترفع عليك أي

قضايا مع أن الشقة كانت من حقها وهي أم وحاضنة وأنت...

قاطعها بصوته العالي وبلهجته السمجة وإسلوبه الساخر المستهزئ :

- الشقة إتباعت .. أجيب منين ؟! هي هتشحت على بنتي ولا إيه ؟ لومش عاجبها تبقى ترفع قضية بقي وتشوف المحكمه هتحكم لها بإيه ؟ هو أنا حيلتي حاجة.

تنهدت «سلوى» بعمق وقالت بصوت هادى :

لقد أبلغتك رسالتها وهذا ما أستطيع فعله .. إفعل ما تريد يا علاء.

وهمت بالإنصراف لولا أن قال :

بكرة الصبح عندى مشوار في مصر .. أرجع الاقي التوكيل بتاعك إنتي وأمك .. وإلا والله لأهد البيت على راس اللي فيه .. سمعتيني ؟!!

هزت رأسها وقالت وهي تنصرف :

- قول إن شاء الله.

ثم أردفت بيأس :

- حاضر سوف أعمل التوكيل غداً بإذن الله.

وما أن خرجت حتى جلس «علاء» يرتدي الحذاء على طرف الفراش ويتذكر كيف أن «رضوى» كانت من أجمل البنات التي رأتها عينيه، وكيف أنها أعجبته وهو لم يتعود أن تعجبه الأشياء ولا تطالها يديه، وظل يحاول معها لأن تحدثه أو لأن ينال منها إبتسامة رضا، وحين لم تفلح محاولاته قرر أن يتزوجها في مغامرة منه لأن يجرب حظه، وبالفعل فاتح والده في موضوع الزواج وطلب منه النقود لإتمام الزواج، وطلب منه أيضاً أن يفتتح له سوبر

ماركت أسفل العقار الذي يمتلكه والده، كما طلب منه أن يجهز له الدور الثاني ليصبح عش الزوجية، وتم الزواج. ولكن «رضوى» لم تكن كما تخيلها، كانت كثيرة الشكوى لأهلها منه حين يتشاجرا سويًا أو يتطاول عليها أو يمد يده عليها. وهو بالطبع لن يوافق على أن تخرج زوجته أسرار البيت، فقرر أن يمنعها من زيارة أهلها وأن يضيق الخناق على زيارات أهلها لها، فهو رجل البيت وهو الآمر والناهي. حتى والدته حين تدخلت في الخلافات منعها من التدخل وأثار المشاكل حتى مع والده المريض. وفي النهاية أيقن أنها لا تصلح لأن تكون زوجته، ما هذه الزوجة التي لا تحتمل زوجها حين يغضب ؟! وماذا يحدث إن ضربها وكسر أنفها أو ضلوعها ؟! أليس زوجها وله الحق أن يحطم حتى رأسها الفارغ. ما للنساء الفارغات العقول. ثم تخبره أنها حامل. ماذا تريد بذلك ؟! أن تطوق عنقه بطفل يزعجه ؟! وما الذي حدث حين طلب منها التخلص من الجنين ؟! ما المشكله في إختيار الوقت المناسب لإنجاب طفل ؟! بالطبع لم تكن «رضوى» تصلح له. خاصة حين كانت تتأفف من طول جلسته في المنزل وكسله في متابعة السوبر ماركت حتى سرقه العمال. وحين أقامت الدنيا ولم تقعدها حين قرر أن يغير النشاط ويجعله نت كافيه. كانت تتشاجر في كل وقت. مرة لأنه لا يصعد لبيته إلا بعد شروق الشمس بساعات. ومرة لأنه لم يعد منذ يومين متواصلين. بالطبع لم تكن «رضوى» تصلح له. وظنت أنها ستجعله يخضع لها حين هددته بالرحيل لبيت أهلها !! فلترحل إلى الجحيم وتبحث عن من يصرف عليها إذا !!

أنهى إرتداء الملابس وخرج من باب المنزل وهو يخرج من بوابة العمارة آلقى نظرة طويلة وفاحصة لـ«فاتن» التي تعمل في محل

من المحلات التي تقع أسفل العمارة، ظل يراقبها وهو يحك راسه بخبث ثم قال لها بصوت عال :

- مش هنتجوز بقي يا فاتن ؟

نظرت له نظرة إحتقار ولم تجاوبه وسارعت تدخل إلى المحل، سمع قهقة «سيد» صبي المكوجي، فضحك «علاء» بعصبية ليغطي على حرجه وقال :

- شايف يا سيد حركات الحريم .. دي شكلها هتموت وتتجوزني .. هاها بس بعينها .. هو أنا ناقص بلاوي.

وأكمل طريقه بدون إهتمام، وذهب لمقابلة أصدقاءه، ليقضي معهم اليوم أو ما تبقى منه.

إنصرف أبناء الحاج «محمد» والحاجة «عائشة» كلٌ إلى بيته أو إلى شقته حيث يقطن الجميع في عمارة سكنية واحدة لكل، فالحاج «محمد» كما عاش وترعرع في بيت العائلة الكبير أراد نفس الحياة لأبنائه، أراد أن يتجمعوا في مكان واحد فينعم الجميع بدفء العائلة الرائع. كانت الحاجة «عائشة» تعدل من وضع وسادة الأريكة حين قال لها الحاج «محمد» :

- كفاكِ يا حاجة .. إرتاحي قليلا.

جلست وهي تقول بإبتسامة هادئه :

- لماذا .. أراك تعتقد أني أصبحت مسنه خقا ؟!

ضحك الرجل وداعب زوجته وقال :

- ما زلتِ جميلة كما رأيتك أول مرة.

قالت له وهي تتنهد وتتذكر أيام الصبا :

- أتذكر ؟ كانت أيام .. العمر يمر سريعًا .. ولكن بحمد الله كان عمرًا سعيدًا معك.

أمسك يدها وساعدها على النهوض، فدخلت حجرتها وجلست على الكرسي الوثير أمام السرير لتقرأ في المصحف الكبير الذي وضع على حامل خشبي أمامها، وشردت مره أخرى تذكرت كيف أن الحاج «محمد» تزوجها رغم رفض شقيقه «جلال» لأن يتزوج أخوه من خارج بنات العائلة، ولكن «محمد» أصر عليها وقد وافقت هي عليه لما كان يشهد له من رجوله وأخلاق، فمنذ صغره وهو يساعد والده في إدارة أعمال الوكالة الخاصة بتجارة الأرز الذي تشتهر به محافظة الغربية والتي تنتمي إليها عائلاتهم، وأتقن أسرار التجارة ونجح فيها في حين رفض شقيقه «جلال» أن يفعل مثله وأصر على أن يشق طريقه في التعليم، ومع كل الإعتراضات التي قابلها «محمد» لإتمام زواجه من «عائشة» إلا أن الله قدر لهما أن يتزوجا وعاشا في سعادة وكللها الله بأن منّ عليهما بأول طفل فتاة جميلة إسمها «زينب» ومن بعدها فتاة أخرى هي «ثريا» ثم جاءت فتاة ثالثة هي «إبتسام» ثم جاء الصبي «محمود». أخرجها حديث الحاج «محمد» من شرودها حين قال :

- سيأتي علاء غدًا بإذن الله .. فسوف أطلب منه البقاء اليوم بطوله معنا وتناول الغذاء.

نظرت له «عائشة» وقالت بحنان :

- طبعًا يا حاج .. بيت عمه .. شفى الله والده وكان في عون والدته.

ربت على يدها وقال :

- بارك الله فيك يا حاجة .. لم تمنعيني يومًا من أداء الواجب نحو إخوتي.

قاطعته بتنهيده عميقه وقالت :

- أنتم أشقاء مهما حدث .. ربنا يخليكم لبعض.

ولكن رغمًا عنها شردت مرة أخرى وتـذكرت كيف أنـه لـم تمـر على ولادتها للصبي الصغير «محمود» ثلاثة أشهر إلا وإنقلب حال «جلال» وأثار ميلاد الطفـل المـشاكل المتوالية، وكانـت المـشاكل تشتد كلما كبر الولد، فصار «جلال» كالشيطان ينفـث سـمًا وسـط العائلة ويقلـب الجميـع علـى «محمـد» وزوجتـه. وبـدأت النفوس تحمل الضغائن، ولأن الجميع يسكنون في بيت العائلة الكبير فلـم يكـن يمـر يومًـا دون مـشاحنات ومـضايقات، ثمانيـة أعـوام مـن الخلافات والمشاكل المفتعله بسبب «جلال» حتـى تـوفي الطفـل الصغير فتغير كل شيء، إنتقل «محمد» بأسرته إلـى القـاهرة وبـدأ في إنشاء بيت للعائلة خاص به بعيدًا عن المشاكل، ولم يمر عـام على وفاة «محمود» الصغير إلا ورزقهم الله صبيًا كان «عبد الجليل» كم هو كريم رب العالمين، كم هو معطاء، وإستطاع الحاج «محمـد» أن يعيد العمل في التجارة بالقـاهرة، وإزدادت أموالـه وبـارك اللـه في رزقه. رفعت الحاجة «عائشة» كفيها تدعوا من اللـه أن يحفـظ لها عائلتها، وراحت تحمد الله على نعمته وستره وتطلـب رضـاه. أفاقت مرة أخرى على كلمات زوجها حين قال :

- آآآمين .. هيا فلننم يـا حاجـة حتـى نـستطيع النهـوض لصلاة الفجر بإذن الله.

ومـد يـده وأغلـق ضـوء المـصباح الـصغير بجـوار الفـراش منهيًـا شرودها، فنامت هي الأخرى.

.....

ركـب «علاء» البيجو المتجه إلى القـاهرة قبيـل آذان الفجـر بقليـل وتذكـر الإتصال بصديقه الذي سيجلب له مشتري للبيت، فإتـصل به ودون مراعاة للركاب النصف نائمون في السيارة، قـال بـصوت ضاحك :

-    ها يا حسين .. الراجل اللي هيشتري جاهز؟
قال «حسين» :
-    جاهز من زمان .. أنت بقى جاهز؟ ولا برضو هتقول كاني وماني !!
رد «علاء» بعنف :
-    كاني إيه وبتاع إيه شايفني عيل ؟! أنا مش ممكن أرجع في كلمتي أبدًا .. المهم أنت فين وبتعمل إيه دلوقتي ؟
قال «حسين» :
-    على القهوة ياخويا .. هو في حتة أحسن منها وقولنا لأ !
ضحك «علاء» بصوت أجش وقال :
-    وعلى كده واخد الإذن من المدام ولا هتسمعلك كلمتين زي كل يوم.
قال «حسين» سابًا «علاء» بالفاظ قبيحة :
-    أنا يا... طب إقفل بقى يا...

في حين ضحك «علاء» مرة أخرى دون إكتراث بالناس، وأنهى المكالمة. وشرد يفكر فيما سيفعله بالنقود حين يبيع نصيب الجزء الخاص بأمه وشقيقته في البيت، وإبتسم بفخر عندما تذكر ذعر شقيقته منه وإذعانها لمطلبه بعمل التوكيل أخيرًا، فكان الغرور يملأ نفسه، فهو بالفعل يعتقد أنه أكثر الناس ذكاءًا وأكثرهم قدرة على تحقيق ما يريد، كما أنه يستطيع أن يفعل أي شئ دونما إكتراث لأي شخص مهما كان، فقد باع شقة الزوجية حين غضبت «رضوى» وتركته وذهبت إلى بيت أهلها وكانت مفروشات زوجته لا تزال فيها ولم يهتم بأهلها نهائيًا. كانت السيارة البيجو قد وصلت إلى القاهرة في وقت مبكر، فنزل منها «علاء» متكاسلا. القاهرة دومًا لها رونقها في ساعات الفجر، فظل ينظر للمباني والطرقات وهو يصر على أسنانه ويتحسر على

حياته في مدينته الصغيرة، ويبحث عن مقهى صغير ليجلس عليه ويدخن الشيشة ويتناول وجبة وكوب شاي حتى ينطلق مجددًا.

.....

رقد «جلال» في فراشه وهو يشعر بالألم يمزق عظامه جراء مرض السرطان الذي أصيب به، فأصبح جسده واهن وضعيف، وسمع صوت آذان الفجر منذ وقت ليس بطويل ثم سمع الإقامة للصلاة وسمع همهمات زوجته وهي تصلي بجوار الفراش، وما أن أنهت صلاتها حتى نادى عليها بضعف قائلا :

- أريد أن أتيمم يا حاجة .. ساعديني في الجلوس للصلاة.

أسندته وجلس يصلي. ولما أنهى الصلاة وجدها تنظر له وتقول:

- لقد قررت أنا وسلوى أن نعمل التوكيل لعلاء.

فتح الرجل عينيه وحدق بذهول وقال :

- كيف ؟! لا يا حاجة لا تساعديه على الظلم.

قالت بضعف :

- لا أريد أ] من متاع الدنيا الزائل، و«سلوى» كفاها ما تراه من أخاها ومن إهانات كل يوم، حتى خُطابها رحلوا دون رجعة بسبب سمعة «علاء» السيئة ومعاملته الجافة والمجحفة.

قال الرجل :

- لا يا حاجة .. هكذا تضيعون كل ما عشت العمر أجمعه وأسعى لتحقيقه .. وكل ما أســـ...

قاطعته وقالت بعنف وحدة :

- الله معك .. أمازلت تفكر بهذه العقلية ؟! ما نفعك كنز المال يا جلال ! تذكر ماذا فعلت لتحصل على الأموال ! وماذا جرّت علينا الأموال من مصائب.

قال بيأس :

- لقد تصدقت كثيرًا .. وأخرجت حق الله كثيرًا.

نهضت وقالت بجديه :

- لقد قررنا .. ولا أنا ولا سلوى نريد من البيت شئ .. كفانا هذه الشقة التي نعيش فيها.

هم بالتحدث إلا أنها لم تعطه الفرصة وغادرت الحجرة تاركة «جلال» للذكريات الأليمة، تذكر كيف كان وضعه المادي ممتاز حين أراد شقيقه الرحيل من البلدة وتصفية أعماله بعد وفاة إبنه، فعرض عليه أن يبتاع نصيبه في الوكالة بمبلغ يمثل أضعاف السعر الحقيقي وكيف إشترى بهذا المال من شقيقاته أنصبتهم في بيت العائلة وبسعر أقل بكثير من السعر الأصلي، وتعجب لأن ما يريد «علاء» أن يفعله بشقيقته ووالدته الآن يشابه ما فعله هو منذ زمن، لكم يندم على تدليل إبنه بهذا الشكل الذي أفسده، فكم من مرات طاوعه في التصرف في بعض ممتلكاته لتوفير الأموال له، مرة بحجة الزواج ومرة بحجة عمل مشروع بمشاركة أصدقاءه، ومرة لتغيير سيارته، وفي كل مرة تضيع الأموال ويظل «علاء» يلح ويصر على أن ينال المزيد، نعم لقد كنز المال كثيرًا وأخفى ذلك عن الجميع خوفا من أن يكتشف «علاء» الأمر فتمتد يده إلى الأموال ويصرفها دون إكتراث لحق أو نصيب، ولولا ما كان يرسله «محمد» شقيقه له، ولولا فوائد الوديعة التي خصصها بإسم زوجته لما استطاع أن يحصل على العلاج والمصاريف، ولكن كان هذا قبل أن يتوقف شقيقه عن مساعدته، ولكن كان «جلال» يعلم جيدًا أنه كان يعامله معاملة سيئة على مدار السنوات، بل أنه أساء له بشكل

كبير، كم خدعه واستغله ! كم غالطه في نسبتة من الأرباح وأخذ أكثر من حقه ! حتى البيت ساومه على نصيبه فيه ! حتى «محمود» رحمه الله... ذلك الطفل البرئ...!! طفرت الدموع من عينيه وتذكر «علاء» الذي إنقلب ليصبح شيطانًا يعيث في حياتهم فسادًا ولا يهتم بأحد ولا يتعب نفسه في إلقاء التحية على والده المسكين حتى أنه قد تمر أيام دون أن يراه، وهو من يفصل بين حجرتيهما جدار واح، وكم أن صوته أصبح الآن يعلوا بالصراخ في وجه الجميع دون مراعاة لهيبة أبوه، أو مراعاة لكبر سن أمه، يالها من حياة عجيبة !!

.....

أكمل «علاء» طريقه باتجاه موقف الميكروباص الذي سيركبه لإكمال باقي الرحلة بعد أن قضى ساعتين أو أكثر جالسًا على المقهى يراقب هذا وذاك، وقف يدخن السيجارة قرب الميكروباص الذي سيقله إلى مكان سكن عمه، كم هو ساذج ذلك العم، يرسل معه النقود كل شهر للمساهمة في نفقات علاج والده ولا يعرف أنه يأخذها لنفسه. إتصل به من هاتفه المحمول يبلغه بقدومه في الطريق، ثم وضع الهاتف في جيبه وأخرج سيجارة أخرى وأشعلها.

- مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!!

سمع النداء بالصوت العالي، فأطل ببصره للسيارة الفارغة من الركاب ومن السائق وأكمل السيجارة التي بيده وهو يفكر فيما يؤرقه الآن بعد أن قام والده بتوزيع أملاكه في البيت بينهم جميعًا، وسجل البيع في الشهر العقاري، وبعد أن باع «علاء» كل ما يملك، يريد الإستيلاء على نصيب والدته وشقيقته في البيت،

فـ«سلوى» لها مثلما كان له، شـقة بـدور كامـل، ووالدتـه أيـضًا أمـا والده المريض فسيموت قريبًا ويصبح كل ما يملكه من أموال له.

- مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!!

إخترق النداء أذنيه مرة أخرى، فتأفف وهـو ينفـث الـدخان، كـان الآن ليركـب سيارته الخاصة لولا أن نـصب عليـه ذلـك المـدعو «عطاالله» إنقضى عهد السيارة ولكن سوف يشترى أخـرى قريبًـا، أما الآن فليسد أنفه حتى لا يشم روائح العرق المقززة التي تخـرج من أجساد البشر فـي الميكروبـاص. ألقـى الـسيجارة حـين وجـد الناس بـدأت فـي الـصعود ولـم يتبقـى إلا مكانـان فانـدفع متأففـا يسابق الناس للصعود، فدفع تلك المرأه التي تمشي بتكاسل حتى أنها قالت له :

- حاسب يا بني هتوقعني.

ولـم يعيرهـا أي إهتمـام، وجلـس بـلا إكتـراث وكأنهـا لاتتحـدث أساسًا، فقالت :

- يـا بنـي أنـا باغـسل الكلـى وتـأخرت علـى دوري فـي المستشفى.

قال «علاء» بسخافه :

- أنا كمان مستعجل يا حاجة.

يبدو الضيق كان على كـل الركـاب فتتعـالى طقطقـات الإسـتنكار، وقال له شاب :

- يا أخي حرام عليك بتقولك عيانة.

فيقلب «علاء» شفتيه ويهز كتفه ويقول بسماجة :

- متنزل أنت وركبها .. ولا لازم تبقشش من جيبى أنا !

فينزل الشاب للسيدة العجوز والتي ظلت تدعوا له في حين نظـر له «علاء» وضحك بسخرية، وهو يتعجب من ذلـك الـشاب الأبلـه الذي يترك مكانه للسيدة العجوز، فليس ذنب أحد أنهـا مريـضة !

وتحركت السيارة، وأدار السائق الشريط العجيب وأدار مؤشر الصوت عاليًا، بدأ الناس في الإعتراض على السائق، فتلفت «علاء» إلى الناس وتعجب من مطلبهم في إخفاض الصوت، أيعجبهم الصمت طوال الطريق، ياللناس العجيبة، ثم أن الأغنية لأصحاب المزاج العالي، قال في نفسه :

- والله راجل جدع .. ولا يهمه من الناس وكلامهم .. هم الناس هيمشوه على مزاجهم ولا إيه ؟!

وتذكر حين تطلب منه شقيقته إخفاض صوت الكاسيت في المنزل وكيف يصرخ فيها ويهينها حتى لا تتجرأ في الحديث معه مرة أخرى. هز رأسه مع نغمات الأغنية وفكر فيما سيفعل عندما يعود اليوم إلى بلدته ولم يجد «سلوى» قد نفذت ما أمرها به بشأن التوكيل، سيكسر رأسها....

قاطعه صوت الصراخ العالي، تشبث بالمقعد وإرتفع صراخه أعلى من صراخ النساء وكل ما يفكر فيه أنه حين تقف السيارة سيوسع ذلك السائق ضربًا حتى يلقنه درسًا فليس معنى أن السائق أعجبه فيما يخص الصوت العالي أنه يسمح له بأن يندفع بهذه السرعة ويعرض حياته هو بالذات للخطر، ثم ما لبث أن أيقن تمامًا أنه لن ينجو وأنه لن يجد الوقت ليلقن السائق درسًا ولن يفعل شيئًا بالتوكيل، حين طار الزجاج المتحطم في وجهه وإنقلبت السيارة أكثر من مرة وسمع صوت تحطم عظامه ورأى دماء الركاب المتناثرة، وحتى حين توقفت السيارة عن الإنقلاب وظن للحظة أنه سينجو شاهد تلك السيارة الضخمة تطبق عليهم لتحول جسده إلى كومة لحم فاقدة الحياة في لحظات.

.....

إتصل العميد «التوني» بالحاج «محمد» يبلغه بأمر الحادثة فقد كان رقمه آخر رقم على هاتف «علاء» وبكلمات مقتضبة أبلغه بأسفه بوفاة إبن شقيقه والذي كانت إصابته أسوأ الإصابات، وعلى الفور كان الحاج «محمد» منطلقا بسيارته مع إبنه «عبدالجليل» متجهًا إلى مدينته ومسقط رأسه في محافظة الغربية ليقف بجوار شقيقه ويشد من أزره في مصيبته. وصل إلى المنزل القديم والذي تغيرت معالمه تمامًا، هذه المحال التي تكدست أسفله وهذه المباني التي أحاطت به من كل إتجاه حتى الشارع نفسه تغير، لمح «سلوى» ووالدتها تخرجان من البوابة بتأني حيث كن في طريقهن إلى الشهر العقاري لعمل التوكيل لـ«علاء» كما قررتا، أقبل عليهن الحاج «محمد» وهو ينادى بإسم «علاء»، فالتفتت «سلوى» تنظر لعمها ثم مالبثت والدتها أن أيقنت أن هذه الزيارة ليست طبيعية، فمنذ سنة أو أكثر لم يعبر الحاج «محمد» بوابة منزلهم، فمنذ رحل قديمًا إلى القاهرة وكم سعد «جلال» لرحيله بعيدًا وكم كان إستقباله له دائمًا غير مرحب، فتباعدت الزيارات. لكن الحاج «محمد» اليوم قد عاد محملا بذكريات أكثرها محزن، وقد كان لابد أن يعود، لكن عودته هذه المرة ستؤثر كثيرًا على حياة من في ذلك البيت، خاصة «جلال».

.....

كان صوت مقرئ القرآن الكريم ينطلق بصوت عال من مكبر الصوت في ذلك الصوان الكبير الذي تم إعداده تحت عمارة الحاج «جلال» ليتم تقبل العزاء فيه، فقد كانت مصيبة كبيرة حقا، ولم يكن العزاء عادي فقد أتى الجميع من كل أرجاء المدينة، فقد كان المصاب كبيرًا بحق، إنها مصيبة أن تفقد الأسرة إثنين من رجالها في يوم واحد، لم يستطع «جلال» تحمل الخبر فظل

يهذي بين يدي شقيقه طالبًا منه العفو والسماح على كل ما إقترفه في حقه، حتى فاضت روحه. جلس الحاج «محمد» يدعو لوالديه ولشقيقه ولإبن شقيقه ولأموات المسلمين جميعًا، في حين جلست زوجة «جلال» تبكي بدون صوت في الشقة التي فتح بابها على مصراعيه وقد إمتلأ البيت بالنساء المعزيات وشقيقات «جلال»، إنهمرت دموعها وهي لا تصدق أن تفقد إبنها وزوجها في يوم واحد، ظلت تدعو لهما بالرحمة وقلبها يتعصره الحزن والكمد، وتذكرت كيف أنها شاركت زوجها في الكثير من الأخطاء وأن هذا عقاب الله لها أن يحترق قلبها بكل هذا الحزن، لقد تمادت في الخطأ الذي بدا عندما توفي والد «جلال» و«محمد» وتم توزيع الميراث، وفوجئ «جلال» بأأ أباه خصص جزء من المال لـ«محمد» نظير تفرغه لمساعدته في التجارة ونظير رعايته للمصالح دون شقيقه ولحرمانه من التعليم وتأجيله للزواج ليظل بجوار والده، فشاركت «جلال» إستنكاره لما فعل أباه، وثارت معه عندما عرضت شقيقاته البنات على «محمد» بيع أنصبتهم له في وكالة أبيهم، وكان المبلغ الذي تم تخصيصه لـ«محمد» كفيلا بمساعدته في حيازة ملكية الوكالة بشراكة «جلال» والذي أصبح له بذلك ربع الوكالة فقط، وحتى حين أقدم «محمد» على الزواج ووقف «جلال» في وجه تلك الزيجة، وقد ساعدت هي زوجها في النيل من شقيقه وزوجته «عائشة» بإثارة المشاكل بينهم وبين باقي أفراد العائلة. وبعد سنوات وبمجرد ظهور مولود ذكر زادت المشاحنات فكان ظهوره في ذلك الوقت له معاني كثيرة، وقد صرح «جلال» في أكثر من مناسبة بأنه لا مانع من أن تلد «عائشة» البنات ولكن أن تلد وريثا لمال شقيقه الذى هو في الأصل مال والده هذا ما لا يقبله، وتذكرت كيف أن الحاج «محمد» كان متسامحا لأقصى الحدود ومع ذلك لم تهدأ الأمور بينه وبين

أخيه بسهوله، حتى بدأت تفيق على فداحة أفعالها بتأييد زوجها في خطئه، فتمادى «جلال» وأصر على أخذ نسبة غير شرعية وغير عادله من الأرباح الخاصة بالوكالة، وإستمر في خداع شقيقه وأخذ الأموال من خلف ظهره، ولكن مالم تستطع أن تتحمله، أنه أجبرها على مشاركته بالجرم الأكبر في حق «محمود» إبن «محمد» حين فعلها بكل قسوة وسمم الصغير ليتخلص منه، لم تستطع أن تفتح فمها بالكلام عن ما فعله زوجها، منذ ذلك الحين وهي تُحَمِل «جلال» تبعة ما آل إليه إبنهما العاق ولم تسامحه يومًا على فعلته وتحجر قلبه مع الطفل الذي مات بغير حق، وها هو الله يرد المال لأصحابه بوفاة «علاء» الإبن الذكر لـ«جلال» ليصبح الحاج «محمد» من الورثة الشرعيين لمال شقيقه، ظلت ترددها :

- عسى سامحك الله يا جلال .. وسامحني .. عسى رحمك الله يا علاء .. وكان رحيمًا بي.

أيمن

بقلم : عماد حجاب

الفارس النبيل : ممكن أسألك سؤال وحوي قصدي حيوي ؟!
شجون : ها ها ها .. دمك خفيف موووت .. إسأل.
الفارس النبيل : إنتي لابسه إيه ؟
شجون : يا قليل الأدب.
الفارس النبيل : على فكرة دي مش قلة أدب.
شجون : أمال دي إيه ؟
الفارس النبيل : دا حب إستطلاع.
شجون : !!!
الفارس النبيل : قولي لي إنتي لابسة إيه وأنا أقولك أنا لابس إيه.
شجون : مش عايزة أعرف إنت لابس إيه.
الفارس النبيل : دا أنا لابس هدوم فظيعة .. هتعجبك أوي.
شجون : طيب قول.
الفارس النبيل : وهتقولي لي.
شجون : أما أشوف .. ربنا يسهل.
الفارس النبيل : لابس شراب .. ها ها ها.
شجون : بس .. ها ها ها.
الفارس النبيل : لا في حاجة كمان.
شجون : إيه ؟!

الفارس النبيل : لابس نضارة .. ها ها ها.
شجون : ياه .. ومستحمل اللبس ده كله في الحر ده إزاي ؟
الفارس النبيل : وإنتي بقى لابسه إيه ؟
الفارس النبيل : هااااي .. رحتي فين ؟
الفارس النبيل : إنتي نمتي ولا إيه ؟!
الفارس النبيل : ألووو.
الفارس النبيل : يالهووووي.
شجون : إيه الهيصة دي .. معندكش صبر خالص !!
الفارس النبيل : رحتي فين بقالك خمس دقايق ؟!
شجون : بابا دخل عليا.
الفارس النبيل : طيب ومالو هو إحنا بنسرق ؟
شجون : لأ .. لا سمح الله.
الفارس النبيل : بس لو تريحي بالي و تبلي ريقي بكلمة.
شجون : قلت لك ما ينفعش دلوقتي.
الفارس النبيل : يعنى يرضيكي تكوني إنتي عارفة عني كل حاجة وأنا ماعرفش عنك أي حاجة ؟!
شجون : لو زهقت مني ممكن أريحك.
الفارس النبيل : أنا زهقت منك ؟! دا أنا مش بفكر في أي حاجة غير فيكي.
شجون : يا سلام !!
الفارس النبيل : آه والله .. من ساعة ما إتعرفت عليكي من شهر وأنا قايم نايم وصورتك في خيالي.
شجون : وبعدين بقى ؟ كده حتصعب عليا !
الفارس النبيل : بجد ؟ يا ريت .. يا ريت أصعب عليكي.
شجون : طيب صعبت عليا .. عايز إيه بقى ؟

الفارس النبيل : عايز أتعرف عليكي .. عايز أعرف أنتي مين وعرفتيني إزاي.
الفارس النبيل : دا أنا النهاردة عندي جامعة ومرحتش عشان خاطرك.
شجون : إيه يا بني أديني فرصة أتكلم.
الفارس النبيل : أصل أنا فرحاان.
شجون : فرحان ليه ؟
الفارس النبيل : فرحان إن أنا صعبت عليكي.
شجون : مش للدرجة دي !!
الفارس النبيل : وأكتر .. دا أنا متنيل بستين نيلة.
شجون : ها ها ها.
الفارس النبيل : آه والله .. دا أنا شكلي هسقط السنة دي.
شجون : تسقط ؟!
الفارس النبيل : آه والله شكلي هسقط .. أنا نسيت كل حاجة عن الكلية والمذاكرة .. وبافضل طول النهار والليل قدام النت مستنيكي تدخلي .. دا أنا باكل قدام النت وبانام قدامه عشان مضيعش لحظة ممكن تدخلي فيها من غير ما أعرف.
شجون : !!!
الفارس النبيل : مستغربة ؟.. طيب والله دي الحقيقة.
شجون : خايفة لتكون بتزاولني.
الفارس النبيل : بتزاولني ؟!.. إنتي بتجيبي الكلام ده منين ؟!.. يعني إيه بتزاولني دى ؟
شجون : يعني خايفة لتكون بتسرح بيا.
الفارس النبيل : الله يسامحك .. بعد ده كله ولسه شاكة في إخلاصي !!

شجون : إخلاصك ؟!.. إنت فاكرني عبيطة .. تلاقيك بتقول الكلام ده لكل واحدة تكلمها على الشات.

الفارس النبيل : أبدًا والله .. من ساعة ما عرفتك وإنتي بقيتي كل حاجة في حياتي.

شجون : مش عارفة ليه مش مصدقاك .. حاسة إنك بتهيس عليا.

الفارس النبيل : بهيس ؟! أبدًا والله .. إنتي فعلا بقيتي كل حاجة في حياتي.

شجون : وبعدين بقى في الكلام الكبير ده ؟ أنت عايز إيه بالظبط ؟

الفارس النبيل : عايز أعرفك .. أنا لغاية دلوقتي معرفش حاجة عنك ؟!

الفارس النبيل : عايز أعرف شكلك إيه .. عايز أحفظ ملامحك .. عايز أشوف إذا كانت الصورة اللي رسمتهالك في خيالي صح ولا بعيدة.

شجون : أنت رسمتلي صورة في خيالك ؟

الفارس النبيل : دا أنا رسمتلك حوالي سبعميت صورة !

شجون : يا سلام !!

الفارس النبيل : آه والله .. كان نفسي أكون بعرف أرسم كنت رسمتك من خيالي.

شجون : يعني أنت دلوقتي عارف ملامحي ؟

الفارس النبيل : آه بس عايز أتأكد.

شجون : تتأكد من إيه ؟

الفارس النبيل : أتأكد إذا كانت عنيكي زي ما أنا متخيلهم .. شعرك .. خدودك .. مناخيرك !!

شجون : مناخيري ؟!

الفارس النبيل : يعني وشك كله على بعضه.

الفارس النبيل : يعنى مثلا أنا متخيل عنيك لونها أخضر زرعي بنفسجي !!
شجون : يعنى إيه أخضر زرعى بنفسجى ؟ في حاجة كده ؟
الفارس النبيل : مش عارف بس حاسس كده !!
شجون : و إيه كمان ؟
الفارس النبيل : و حاسس إن خدودك بيضة ؟
شجون : مسلوقة ولا مقلية .. ها ها ها.
الفارس النبيل : ها ها ها .. دمك زي العسل .. أي حاجة تقوليها بتبقى سكر .. يخرب بيتك.
شجون : بقولك إيه .. أنا لازم أقفل معاك دلوقتي.
الفارس النبيل : إيه ؟ ليه كده ؟ حرام عليكي دا أنا ما صدقت إنك تدخلي .. دا أنا بقالي أربع ساعات مستنيكي.
شجون : بالليل هابقى أكلمك.
الفارس النبيل : طيب متخليكي كمان شوية.
شجون : ما أقدرش .. هاخرج مع أختي نشتري شوية حاجات.
الفارس النبيل : هدوم يعني ؟
شجون : آه .. هدوم يعني.
الفارس النبيل: طيب وأنا هاعمل إيه لغاية بالليل بقى ؟!
شجون : معلش إستحمل وأنا بالليل هاعوضك.
الفارس النبيل : هتعوضيني إزاي ؟
شجون : هاقولك أنا مين.
الفارس النبيل : بجد والله .. هتعرفيني عليكي ؟!
الفارس النبيل : إوعي تكوني بتضحكي عليا.
الفارس النبيل : يا نهار أسود .. أخيرًا هاعرف إنتي مين.
شجون : آه بالليل هاقولك كل حاجة عن نفسي.
الفارس النبيل : بالليل .. يعني الساعة كام كده.

شجون : الساعة حداشر اتناشر كده .. مش عارفة بالظبط.
الفارس النبيل : وهتركبي الكاميرا وتكلميني في المايك ؟
شجون : متبقاش طماع .. مش كله مرة واحدة.
الفارس النبيل : أبوس إيدك .. أبوس رجلك .. أنا قربت أموت.
شجون : ها ها ها .. بعد الشر عليك .. وأنا ميخلصنيش.
الفارس النبيل : يعني هاشوفك النهاردة.
شجون : اممممم.
الفارس النبيل : بتفكري في إيه ؟
شجون : ماشي .. يلا بقى عشان إتأخرت.
الفارس النبيل : أنا مش مصدق .. أنا هافضل قاعد قدام الجهاز لحد الساعة حداشر.
شجون : يا سلام .. يعني هتقعد تسع ساعات كاملين.
الفارس النبيل : دا أنا ممكن أقعد تسع تيام .. تسع تشهر .. تسع سنين.
شجون : ها ها ها .. آه يا فشار.
الفارس النبيل : أنا مش مصدق نفسي .. أخيرًا رضيتي عني.
شجون : آه أصلك صعبت عليا .. يلا باي بقى.
الفارس النبيل : هاستناكي علي نار .. متتأخريش عليا.
شجون : لا إله إلا الله.
الفارس النبيل : محمد رسول الله.

.....

يعلو البِشر وجه «أيمن» البادي الإصفرار وتبرق عيناه الحمراوان من شدة الإجهاد، أخيرًا سيراها ويسمع صوتها، تلك التي عذبته شهرًا كاملا، تلك التي جعلته يهمل دراسته وجامعته ويقبع أمام شاشة الكمبيوتر بالساعات الطويلة، حتى الطعام والشراب

أهملهما فاضمحل جسده وكأنه يمارس حمية عنيفة، حتى أصحابه لم يعد يراهم، كل هذا ليس مهمًا، المهم أنه سيكلمها ويراها هذه الليلة، رفع صوته يغني :

"*عندما يأتي المساء .. عندما يأتي المساء .. عندما يأتي المساء*"

لم يكن يحفظ في الأغنية كلها إلا هذا المقطع فظل يردده عشرات المرات. قام من على مكتبه وذهب إلى سريره ليتمدد عليه، أغلق عينيه وبدأ يحلم أحلام اليقظة التي هي عنده البحر المتلاطم الذى ليس له أول ولا آخر.

.....

طبعًا من نافلة القول أن هذا الحديث الذي دار بين الفتى والفتاة كان عن طريق أحد برامج المحادثة (Chat rooms) المنتشرة على الإنترنت، حيث يختار كل طرف إسمًا مستعارًا يظهر به أمام المتحدثين، وهذه الأسماء في الحقيقة تحتاج إلى دراسة مستفيضة، فمن الملاحظ أن هؤلاء المتحدثين يتخذون أسماءً مستعارة لا تتناسب مع شخصياتهم بالفعل، فالبنت مثلا قد تكون سمينة مثل الفيل أبو زلومة وتسمي نفسها «الفراشة الرقيقة» وقد تكون دميمة للغاية وتسمي نفسها «قمر ١٤» وقد تكون حسودة وحقودة وتسمي نفسها «قلب أبيض» وغيرها من الأسماء الشفافة الرقيقة التي قد تكون بعيدة كل البعد عن شخصية صاحبتها مثل : نبض القلب، القطة، القمر الحزين، وأحيانًا كثيرة ما تكون هذه الأسماء غامضة مثل : فكرة، هموم، ذكرى ... إلخ، كذلك الولد يسمي نفسه بإسم أبعد ما يكون عن الحقيقة معتمدًا على أن من يكلمه ويحدثه لا يراه، فقد يكون ضعيف البنية كفتاة مصابة بالأنيميا ويسمي نفسه : الجسور، وقد يكون مصابًا بغباء وراثي ويسمي نفسه : المحترف أو الغامض أو الحكيم، وهكذا، المهم من

الملاحظ وبشدة أن هذه الأسماء لا تمت من قريب أو بعيد بأي صلة لمدعيها، هذا ما هو الواقع وبشدة على شخصية بطلنا الذى إتخذ إسم «الفارس النبيل» فلا هو فارس ولا هو نبيل؛ هو شاب في التاسعة عشر من عمره نحيل كالقلم الرصاص، ضعيف كالقلم الرصاص، طويل كالقلم الرصاص. آسف أن أقول هذا ولكنه فعلا أقرب ما يكون إلى القلم الرصاص، لذا فلا أجد شيئًا أشبه ما يكون به إلا القلم الرصاص، مع الإعتذار للقلم الرصاص !!. في الفرقة الثالثة للمرة الثالثة من كلية التجارة، والده متوفى من عشرة أعوام وله أخ واحد إسمه «فريد» أكبر منه بثلاث سنوات ولكنه يختلف عن «أيمن» تمامًا فهو متخرج من كلية الهندسة وجاد ونشيط ومحترم، أما صاحبنا فقد حاولت أمه أن تعوضه عن حنان الأب الذي فقده وهو صغير بعد فدللته حتى أفسدته، وهي الآن تجني ثمرة ما زرعته فما من ليلة تنام فيها إلا ودموعها على وجنتها مخافة على هذا الولد الذي يسير في طريق الضياع يومًا بعد يوم .

...

ترررن ترررن

ينظر «أيمن» في الموبايل فيجد أن المتصل هو «مدحت» صديقه.

أيمن : ديحه .. عامل إيه يا مان.

مدحت : و الله !!.. أخيرًا رديت .. إنت فين ياض ؟

أيمن : مش فاضيلك يا أمور.

مدحت : ماشي يا عمنا أنا بس لاقيتك منفض للشلة كلها قلت أسأل عليك.

أيمن : إسكت ياض يا مدحت أخوك مظبط تظبيطةناار.

مدحت : أيوه يا عم .. ماشية معاك.

أيمن : موزة إنما إيه .. صاااروخ.

مدحت : عرفتها منين ؟
أيمن : الشات يا مان.
مدحت : وشفتها ؟
أيمن : لسة.
مدحت : وعرفت منين ؟!
أيمن : هي اللي قالتلي !
مدحت : (يضحك بسخرية) أيوة يا عم .. ليك حق تنفض للشلة وللجامعة.
أيمن : أي خدمة.
مدحت : لعيب طول عمرك يا مان .. مش هتعرفنا عليها ؟
أيمن : ما تحترم نفسك .. حد قالك عليا بقرنين ؟!
مدحت : ها ها ها .. مش القصد.
أيمن : إتعلموها بقى.
مدحت : ماشي يا عم .. طول عمرك حقنة.
أيمن : أومال يا بني .. دا أنا بقالي شهر بسوي في الطبخة.
مدحت : طيب يا مان أنا قلت أطمن عليك.
أيمن : لأ إطمن .. أخوك يفوت في الحديد.
مدحت : بيس يا مان.
أيمن : بيس.

كان «أيمن» يشعر بالفخر الشديد لدرجة الإنتفاخ، فأخيرًا قبلت فتاة أن تصاحبه وأن تكلمه، وأخيرًا ستصبح لديه مغامرة حقيقية يحكيها لأصحابه بدلا من المغامرات المختلقة التي لا تنطلي عليهم فيسخرون منه ويستهزئون به. نظر في الساعة فوجد أن الساعة ما زالت الرابعة عصرًا وهو لم ينم منذ الأمس، فكر أن ينام حتى موعد اللقاء في الحادية عشر مساءًا، ولكنه تراجع فمن أدراه أنه إذا نام لا يستغرق في النوم حتى يفوته الموعد، أهم موعد في

حياته، أخيرًا سيراها ويسمع صوتها تلك الجميلة الرقيقة التي هي أجمل وأحلى ما حدث له في حياته، إستغرق في تصوز وتخيل شكلها الذي لم يره وصوتها الذي لم يسمعه، حتى غلبه النوم فنام في مكانه.

.....

عاد «فريد» من عمله الجديد حوالي الساعة الخامسة عصرًا فوجد والدته جالسة في الصالة على منضدة السفرة تقطع بعض الخضر للسلطة.

فريد : سلامو عليكو يا ماما.

الأم : وعليكم السلام يا حبيبي .. عملت إيه النهاردة ؟

فريد : الحمد لله ياماما .. الناس مبسوطين مني قوي.

الأم : (منشرحة) الحمد لله يا بني ربنا يحبب فيك خلقه .. ربنا يهدي أخوك هو كمان.

فريد : آمين .. أومال هو فين ؟

الأم : في أوضته مخرجش منها من الصبح .. ولا حتى فطر لغاية دلوقتي.

فريد : لا حول ولا قوة إلا بالله .. والجامعة بتاعته.

تتنهد الأم في حسرة وتترك السكين وتهز رأسها ألما، فيحاول «فريد» أن يخفف عنها فيقول لها :

فريد : والله يا ماما بكرة هيبقى كويس إن شاء الله .. خو بس لسه صغير ومتدلع .. وبعدين ربنا هيكرمه عشان خاطرك والله.

الأم : يا رب يا بني .. يارب يهديك يا أيمن يا بني .. معلش يا فريد قوم خش له كلمه كلمتين يمكن ينفعوا معاه المرة دي.

فريد : حاضر يا حاجة .. بس أنتِ عارفة إنه مبيقتنعش بكلامي.

الأم: معلش .. يمكن المرة دي ربنا يكون فاتح قلبه .. خش له لحد ما أحط لك الغدا.

فريد : حاضر يا أمي.

يقوم «فريد» ويطرق باب حجرة أخيه ويدخل فيجد «أيمن» وقد وضع يديه على منضدة الكمبيوتر وقد جعلهما كالوسادة ووضع عليها رأسه ونام، نظر إليه «فريد» فرق له جدًا، كان قد إزداد نحولا، وقد طال شعر رأسه وإزداد شعثًا، وقد لبس فانلة داخلية وبنطلون بيجاما متسخين. على عكس «فريد» الذي رزقه الله جسدًا قويًا رياضيًا وكان وسيمًا متفوقا متدينًا، فالذي يراهما لا يخطر بباله أنهما أخوان أبدًا، لذلك كان «أيمن» يشعر بغيرة شديدة من أخيه ويشعر أنه قد أمتاز بكل شئ في حين أنه قد حُرم من كل شئ. إقترب منه «فريد» وربت على كتفه برقة فإذا به ينتفض فزعًا ويقوم من مكانه كالمجنون حتى أن «فريد» قد فزع، وإذا به يتجاهل أخوه ويمسك بالموبايل ويقربه من عينه فقد كان نظره قد ضعف وينظر في الساعة ليدرك أنها مازالت الخامسة عصرًا فيتنهد في إرتياح ويسقط على المقعد ويلهث وكأنه قد بذل جهدًا خرافيًا. كل هذا و«فريد» ينظر إليه في ذهول، فلشد ما تغير في اليومين الذين لم يره فيهما. يبتسم «أيمن» في خجل ويقول لـ«فريد» :

أيمن : إيه يا عم .. خضتني.

يسحب «فريد» مقعدًا ويجلس بالقرب من أخيه، فيزفر «أيمن» في ضيق وهو يستشعر ثقل اللحظات القادمة لأنها ستكون مواعظ من أخيه، وهو لا يطيق المواعظ خاصة إن كانت من «فريد».

فريد : (مبتسمًا) إيه يا كابتن .. عامل إيه ؟

أيمن : ماشية.

فريد : قول الحمد لله.

أيمن : بقول في سري !

يلتفت «أيمن» لجهاز الكمبيوتر ويضع النظارة على عينيه ويمسك بالماوس ويهزه ليصرف شاشة التوقف، وكأنه يقول لأخيه أنه غير مرحب بالجلوس معه، ويفهم «فريد» ذلك ولكنه يتغافل.

فريد : عامل إيه في المذاكرة يا إم ؟

أيمن : ما أنا قلت لك ماشية.

فريد : ماما بتقول إنك مش بتروح الجامعة.

يرد عليه «أيمن» وهو يتعامل مع الجهاز :

أيمن : عادي.

فريد : يا عم كلمني كويس .. إنت مشفتنيش بقالك كام يوم .. موحشتكش ؟!

يلتفت إليه «أيمن» وقد علاه الضيق ويزفر بصوت عال.

أيمن : عاوز إيه يا فريد ؟!.. أمك مسلطاك عليا مش كده ؟

فريد : مسلطاني عليك ؟! ليه بتقول كده يا أيمن ؟

أيمن : بقولك إيه يا فريد .. أنا مأفور ومخنوق .. ومش ناقص مواعظ.

فريد : يا بني أنا لسة إتكلمت !!

أيمن : ما أنا عارف هتقول إيه .. مذاكرتك .. كليتك .. مستقبلك .. زفتك .. إرحموني بقى.

نظر إليه «فريد» بدهشة ولم يستطع أن يرد عليه.

فريد : ولا حاجة من اللي قلته ده كله .. أنا جي أشوفك عشان وحشتني !

أيمن : (ينظر إلى الجهاز) متشوفش وحش.

فريد : (مبتسمًا) ما أنا شوفتك وخلاص .. ها ها ها.

أيمن : (يتصنع الإبتسام) شكرًا يا مان.

فريد : (ضاحكا) ها ها ها .. طيب يلا قوم عشان نتغدى .. ماما مستنية.
أيمن : لا قوم أنت كل أنا مش جعان دلوقتي.
فريد : (بإصرار) لأ هتقوم تاكل معانا عشان ماما قلقانة عليك.
أيمن : أووف .. قلقانة ليه هو أنا مسافر ؟!!
فريد : معلش تعالى بس شوية عشان خاطرها.
أيمن : بس أنا مش جعان.
فريد : معلش تعالى أقعد معانا ولو مش عاوز تاكل ماتكلش.
أيمن : طيب نصاية كده وهاجي.
فريد : إيه نصاية دي ؟!
أيمن : قديم يا مان .. نصاية يعني نص ساعة.
فريد : (يجذبه من ذراعه) يا عم يلا بقولك ماما مستنية.
يقوم معه وقبل أن يخرج من الحجرة يرتفع رنين هاتفه المحمول فينظر فيجده صديقه «علي» فيقول لـ«فريد» :
أيمن : طيب هرد على صاحبي وآجى علطول.
يخرج «فريد» ويفتح «أيمن» المحمول.
أيمن : لول .. عامل إيه يا مان.
علي : يا إبن الـ(...يسبه بأمه...) مبتردش عالزفت الموبايل ليه ؟!
تلقى «أيمن» السبة بإبتسام فقد كانوا معتادين على سب أمهات بعضهم.
أيمن : أبدًا يا مان .. مش فاضي لأمثالك.
علي : يا إبن الـ(...يسبه بأمه...) خلاص بعتنا.
أيمن : بصراحه آه .. بعتكم.
علي : بعتنا بإيه بقى إنشاء الله ؟
أيمن : بفردة جزمة قديمة .. ها ها ها.
علي : ما شى يا إبن الـ(...يسبه بأمه...).

أيمن : ها ها ها .. أسكت يا لول .. أخوك وقع وقعـة .. إنمـا إيـه .. مُكن !!
علي : إيه .. إوعى تكون موزة ؟!
أيمن : مش أي موزة يا بني .. دي حاجة طحن.
علي : مين الحمارة أم بدوي دي اللي هترضى تبص لك .. يا بني إنتوا معندكوش مراية.
أيمن : ها ها ها .. أنت هتتنفسن عليا من أولها يا مان .. أومـال لـو شفتها بقى هتعمل إيه.
علي : أنا أنفسن عليك أنت ؟!
أيمن : بص يا علي أنا مضطر أقفل معاك دلوقتي.
علي : ليه بقى إنشاء الله ؟!.. دا أنا اللي متصل.
أيمن : عشان أنت مش من مستوايا.
علي : أنا مش من مستواك يا معفن يـاللي عامـل زي البـرص .. دا أنا ها.....
أغلق «أيمن» الخط في وجهه وغرق فـي نوبـة مـن الـضحك، فقـد إسـتطاع أن (يحـرق دمسه). خـرج إلـى الـصالة حيـث أمـه وأخيـه جالسان على مائدة الطعام ينظران إليه فانطفـأ سـروره وعـاد إلـى تجهمه ووقف أمام المائدة.
أيمن : نعم ؟!
نظر «فريد» إلى أمه كمن يقول لها *ألم أقل لكِ* ..
الأم : أقعد يا حبيبي كل معانا.
يطقطق بلسانه ويزفر في ضيق.
أيمن : أووف .. أنا هاقعد بس مش هاكل ومش عايز مواعظ.
الأم : أقعد يا بني ربنا يهديك.
أيمن : (بعصبية) يهديني ؟!.. هو أنتي شايفاني مجنون ؟!
فريد : (يتمالك أعصابه ويبتسم) يا عم أقعد بس.

يجلس على طرف المقعد جلسة متوترة.
أيمن : قعدنا .. خير ؟
الأم : أحط لك طبق ؟.. دا أنا عاملالك الأكل اللي بتحبه.
أيمن : مليش نفس.
فريد : إيه يا أيمن .. متضايق ليه ؟.. حد فينا زعلك ؟
أيمن : يا عم مش متضايق .. أنت هتضايقني بالعافية !!
هنا يبلغ الصبر منتهاه بـ«فريد» ولا يتحمل أكثر من هذا فيعتدل في جلسته ويتناول طعامه في صمت.
الأم : يا بني إيه اللي جرالك ؟.. حالك ما يسرش.
أيمن : أيوه .. حنبدأ بقى !
الأم : يا حبيبي إحنا خايفين عليك .. كده هتضيع نفسك.
يقوم في غضب وينظر إلى أمه.
أيمن : بقولك إيه يا ماما .. أنا زهقت من الكلام ده .. محدش له دعوة بيا .. أنا عارف مصلحتي كويس.
فريد : خلاص يا ماما .. روح يا أيمن شوف بتعمل إيه.
يتركهم ويدخل غرفته من جديد. وبمجرد أن يدخل الغرفة ينسى كل ذلك الحوار الشبه يومي، ولم تخالج صدره ذرة شفقة على أمه التي تذوب جزعًا و همًا على ولدها الذي تراه يضيع يومًا بعد يوم. ينظر في ساعته فيجد أن الساعة لم تتجاوز الخامسة والنصف، معنى ذلك أن أمامه أكثر من خمس ساعات، فيحدث نفسه :
"أووف .. لسة بدري أوي .. خمس ساعات وزيادة .. دا لو بدأنا الساعة ١١ فعلا .. ودا صعب لأنه كل مرة بتتأخر ساعة وساعتين "
يقوم ويدور في غرفته، ينظر لعل شيئًا يزجي به وقته، رتب حجرته لا لأنه نظيف ومرتب ولكن لعل الكاميرا تنقل لها ما لا يحب أن تراه، لذا فقد وضع ملابسه غير النظيفة تحت السرير

ورتب السرير الذى لم يرتب منذ شهر، برغم محاولات أمه لكنه كان ينهاها لأنها تضيع أشياءه فلا يجدها بعد ترتيب الحجرة، وجعل ينظر إلى الحجرة نظرات متفحصه لعل شيئًا هنا أو هناك لا يرضى شجون !

أيمن : شجون .. آآه .. أخيرًا هاشوفك .. أخيرًا بقالي جو .. عندما يأتي المساء .. عندما ياتي المساء.

فتح مجلد الأغاني في الكمبيوتر وأختار أغنية رومانسية شاعرية حساسة ...(هاركب الحنطور)... !! و ظل يهز جسده راقصًا على أنغامها، وبينما هو كذلك إذ حانت منه إلتفاتة إلى مرآه فكاد يصعق، من هذا ؟!.. بل ما هذا !!.. ما هذا المسخ الذي يطل من المرآة، شعر كالليف لا يصلح معه التمشيط، لحيته لا تنبت إلا في طرف ذقنه فبدا وكأنه ذكر الماعز الجبلي، ثم ما كل هذه الحبوب النابتة في وجهه والتي جعلت وجهه وكأنه مصاب بالجدري.

أيمن : يا نهار اسود .. هاقابلها كده إزاي .. لازم أروح للحلاق .. لسة بدري.

وقف أمام المرآه ينظر إلى وجهه بحسرة، وتمنى لو كان مثل وجه فريد وجسده، ولكن ليس هذا وقت الندب، يجب أن يذهب إلى الحلاق ليحلق شعره ويصففه ويصنع له ماسك وحمام بخار وينتف له حاجباه ويسوي له سوالفه الطويلة ويحلق لحيته وشاربه الذي يبدو كشئ متسخ فوق شفته العليا. قام من فوره إلى صوان ملابسه وفتحه ووقف أمامه وقد واتته فكرة أخرى.

أيمن : يا نهار اسود تاني .. هالبس إيه لما أقابلها .. دا ما عنديش غير كام تيشيرت جربانين .. يا خراب بيتك يا إم .. لازم أشترى تيشيرت كويس .. يعني حلاقه بخمسة وعشرين جنيه وتيشيرت بخمسين وبرفان ومزيل بخمسة وعشرين كمان .. آدي ميت جنيه .. وإحنا معانا تسعين جنيه .. طيب نعمل إيه .. آه مفيش

داعي للبرفان والمزيل يعني هي هاتشم ريحتي ع الشات ؟!
المهم هنقضي خمستاشر يوم بخمستاشر جنيه .. قشطة .. بس كله يهون عشان خاطر .. شجونتي !!
إرتدى أحد تيشرتاته الجربانة – على حد قوله – و دس نفسه في البنطال، وفجأة حانت منه إلتفاتة إلى نتيجة الحائط.
.....

كانت الأم تجلس مع ولدها «فريد» في حجرة المعيشة يتحدثان في تلك المشكلة الأزلية التي يبدو ألا حل لها، «أيمن» ومستقبله.
الأم : وهنعمل إيه يا فريد .. أخوك كل يوم بيضيع عن اللي قبله .. أول إمبارح لقيت أعقاب سجاير تحت السرير.
كان «فريد» يعلم أن أخاه يدخن من زمن ولكنه لم يخبر أمه كي لا تحزن.
فريد : ما أنا قلت لك يا ماما بس أنتي اللي بتزعلي.
الأم : قلتلي إيه بس يا فريد هو بقى كبير على الكلام ده !
فريد : هو أنا يا ماما قلت لك نضربه .. أنا بقول نشد عليه شوية.
الأم : إزاي يعني ؟
فريد : يعني مش كل حاجة عايزها تبقى مجابة .. ميرجعش البيت الساعة تلاتة بالليل .. أوضته تتفتش أول بأول
الأم : يا فريد دا كبر وبقى راجل .. دا عمري ما...
و فجأة قاطعتهم صرخة «أيمن» :
أيمن : يا لهوووي.
إنتفض «فريد» وسبق أمه التي هرولت وراءه إلى حجرة «أيمن» وفتح «فريد» الباب فوجدا «أيمن» قد إرتمى على السرير وفرد يديه بجواره ودلى رجليه على الأرض مغلقا عينيه وبدا أشبه بميت، صرخت أمه بإسمه ولم تستطع أن تتحرك من مكانها،

وجرى إليه أخوه وهو يهتف بإسمه، جلس على طرف سريره ونظر إلى أمه وأخيه في دهشة.

أيمن : فيه إيه ؟!!

سقطت الأم على أقرب مقعد وزفر «فريد» في قوة ثم قال لأخيه :

فريد : مالك يا بني .. صرخت ليه كده ؟!

الأم : مالك يا حبيبي ؟.. إيه اللي حصل ؟

كان وجه «أيمن» يبدو عليه الحزن الشديد.

أيمن : عارفة النهاردة إيه يا ماما ؟!!

الأم : إيه ؟

أيمن : النهاردة الاثنين والحلاقين قافلين.

فريد : نعم ؟!.. يعني الصوات ده كله عشان الحلاقين قافلين !.. ما أنت بقالك ثلاث شهور محلقتش.

أيمن : بس النهاردة لازم أحلق.

الأم : يا بني حرام عليك .. قلبي كان هيقف.

لم يبد على «أيمن» أنه قد سمع كلام أمه ولم يتأثر به.

أيمن : الله يخرب بيت الحلاقين .. مين اللي قال ياخدوا أجازة يوم الاثنين.

ينظر «فريد» إلى أمه وتنظر إليه في إستغراب شديد، ولسان حالهما يقول "*الواد باين عليه اتجنن*"

فريد : إيه يا أيمن الجنان ده .. حلاقين إيه و يوم الإثنين إيه .. وإيه اللي يخليك تصرخ كده و تخضنا !!

الأم : وكمان يا بني النهاردة مش الإثنين .. النهاردة الجمعة ما هو لو كنت صليت الجمعة كنت عرفت !!

كان «أيمن» قد نظر إلى النتيجة فوجد أن الورقة الحالية هي ليوم الإثنين ونسى أنه لم ينزع أوراق النتيجة من شهور، ولكن لأن عقله قد تعب والإنهاك قد بلغ به منتهاه من قلة النوم والتفكير فقد

سيطرت عليه فكرة أن اليوم هو الإثنين وليس الجمعة، فبدا وكأنه يفيق بعد سبات على قول أمه، فتجاهل كل ما سبق ونظر إلى أمه بدهشة وفرح شديد.

أيمن : بجد يا ماما النهاردة الجمعة ؟

تنظر الأم إلى «فريد» بتعجب ثم تنظر إلى «أيمن» وتقول له

الأم : أيوه يا حبيبي سلامة الشوف.

فيصفق على يديه في سوقية وهو يصرخ بأعلى صوته.

أيمن : قشطة .. بالصلاة على النبي.

ثم يضع حافظة نقوده في جيبه الخلفي ويغادر الحجرة أمام نظرات أمه وأخوه الذاهلتين. فخرجت الأم و«فريد» إلى حجرة المعيشة مرة أخرى وهما يضربان كفا بكف، وإن كان «فريد» قد إشتم رائحة فتاة في الموضوع، لأن الشباب عادة لا يذهبون إلى الحلاق ولا يستحمون إلا من أجل الفتيات ! ولكنهما ما كادا أن يستقرا في مقعديهما إلا فوجئا بباب الشقة يفتح ثانية ويدخل منه «أيمن».

الأم : بسم الله الرحمن الرحيم .. إيه يا أيمن اللى رجعك ؟!

فيرد عليها وهو يدخل حجرته.

أيمن : قلت آخد دوش الأول.

وبعد قليل يخرج وقد وضع المنشفة على كتفه فيجد أمه وأخاه ينظران إليه فيبتسم في حرج وهو يقول :

أيمن : إيه ؟!.. أول مرة تشوفوا نجم !!

فيضحك «فريد» ويقول له :

فريد : لا أبدًا .. بس غريبة إنك تستحمى دلوقتي والعيد لسة فاضل عليه شهرين.

فتضحك الأم وينظر «أيمن» إلى «فريد» ويبدو عليه الاشمئزاز.

أيمن : مضحك يا مان.

الساعة الآن الثامنة. يعود «أيمن» من عند الحلاق وكأنه إنسان جديد، وسيم طويل شعره ناعم ذقنه حليقة وجهه قد أختفت منها البثور تحت طبقات الكريم وجهاز تفتيح البشرة، المهم أنه عاد إنسانًا مختلفا تمامًا عن الذي ذهب حتى أن أمه و«فريد» قد تعجبا من كل هذا التغير الذي طرأ عليه بمجرد أن قام بزيارة الحلاق، يبتسم «فريد» لأنه يعلم ما وراء ذلك، وتبتسم الأم فرحًا بولدها الذي عاد مرة أخرى بني آدم، ويبتسم «أيمن». وقد ملأه الزهو والثقة.

فريد : إيه يا عم الجمال ده .. عريس ؟!

الأم : يسمع منك يا فريد يا بني .. بس هو يشاور وأنا أجوزه ست الستات.

أيمن : (مبتسمًا) ممكن أتنازل وأقعد معاكم ثلاث دقايق.

كانت نفسيته في القمة مما أشرق له وجه أمه وأخوه وبان في عيونهما الفرح .

فريد : إيه يا عم أيمن .. حارمنا من أنسك ليه ؟

أيمن : عادى .. مشغول شوية.

الأم : (تبتسم) والله لو أعرف إن الحلاق هيروق دمك ويخليك تقعد معانا كنت خليتك تروحله من زمان.

فريد : بس إيه يا عم الجمال والوسامة دي كلها ؟

يزيح «أيمن» خصلة من شعره الذي أصبح ناعمًا بفضل هواء السيشوار الساخن.

أيمن : حاجة بسيطة يا مان !!

يضحكون جميعًا وقد إستبشرت الأم خيرًا.

الأم : تحب أحط لك العشا ؟

أيمن : لأ .. أنا ضربت برة ساندويتشين كبدة.
ثم ينظر في ساعته وينهض .
أيمن : طيب .. كفاية عليكو كدة.
فريد : (يغمز له) ما لسة بدري يا عريس .. ملحقناش نقوم بالواجب.
أيمن : آه .. لأ معلش .. أصل الدكتور محذرني من الزلال.
يضحك «فريد» وهو يسأله :
فريد : زلال إيه ؟
أيمن : زلال البيض يا مان !
فيضحك «فريد» ملء فيه وتضحك الأم ويدخل «أيمن» إلى حجرته.

.....

الساعة الآن التاسعة. ومازال «أيمن» واقفا أمام المرآه وقد لبس التيشيرت الجديد وأخذ يعدل من وضعية شعره.

.....

الساعة الآن العاشرة. وقد فتح «أيمن» جهاز الكمبيوتر وأعد برنامج المحادثة وجلس أمام الشاشة يجهز الكلمات والنكات والطرائف التي سيقولها لـ«شجون» حبيبته التي لم يرها، كانت ضربات قلبه تتزايد وأخذت تسابق عقارب الساعة، كاد العرق أن يفسد الماسك الذي صنعه له الحلاق فقام وأشغل المروحة رغم برودة الجو النسبية، عقارب الساعة تتجه نحو العاشرة والربع، ثلاثة أرباع الساعة ويراها ويسمعها ويكلمها ويعرف عنها كل شئ، ثلاثة أرباع الساعة ويتحدد مصيره، ثلاثة أرباع الساعة

ويتحقق حلم حياته في أن يراها، ثلاثة أرباع الساعة .. لا، ثلاثة أرباع الساعة إلا دقيقتين

ثلاثة أرباع الســ......

وتنقطع الكهرباء.

ويلطم «أيمن» خديه.

أيمن : يا نهار اسود .. النور قطع !!.. يا خرابي يامًّا .. طيب وبعدين .. دا فاضل ساعة إلا تلت، ثم بثورة :

أيمن : آه يا ولاد الـ(.....) دا وقت ينقطع فيه النور.

جال بخاطره أن يجري إلى السايبر في الشارع المجاور ويلحق بموعده، وقام فعلا وقبل أن ينزل نظر من الشباك فوجد أن النور قد إنقطع في المنطقة كلها، فملأه اليأس، دخلت عليه أمه بشمعة تضئ له، فهرع إلى أمه وهو يقول بصوت باك :

أيمن : شفتي يا ماما .. شفتي ولاد الـ(.....) قطعوا النور إزاي.

الأم : (متعجبة) معلش يا حبيبي .. زمانه جي !

أيمن : زمانه جي ؟!.. إنتي مش عارفة لما النور بيقطع ممكن يفضل كده يومين !!

لم تدر الأم بم ترد ولكنها أرادت أن تسكن غضبه.

الأم : معلش يا حبيبي .. مش عارفة أعمل لك إيه والله .. طيب تعال أقعد معانا بره لحد ما النور ييجي.

يضئ «أيمن» الموبايل وينظر في الساعة التي أوشكت على العاشرة والنصف.

أيمن : يا ماما أقعد معاكم إيه ؟!.. دي الساعة بقت عشرة ونص .. روحي يا ماما .. روحي أنتي.

تخرج الأم وتتركه وهي تظن بأن عقله قد ولى مدبرًا ولن يعقب، تركته وهو يدور حول نفسه، ولم يتوقف لسانه لحظة عن الكلام، فمرة يوجه أقذع الشتائم إلى العاملين في شركة الكهرباء، ومرة

يبتهل إلى الله عز وجل بأن يأتي النور سريعًا. نظر في الساعة فوجد أنها قد جاوزت العاشرة والنصف بخمس دقائق، فكاد ضغط دمه أن يأخذه وينطلق به في الفضاء مثل المكوك !! الحادية عشر إلا الثلث، لولا أنه يخاف على شعره لمزقه من شدة الغيظ، ويبدو أن دقات قلبه الآن قد ضربت الرقم القياسي في سرعة الضربات، ولو إستمر على ذلك قليلا لتوقف قلبه فعليًا، ولكن رحمة الله سبقت، وأضاءت الكهرباء فجأة كما إنقطعت فجأة، فأشرقت دهاليز نفسه التي أظلمت ودلهمت، فسقط على المقعد وكأن طاقته كلها قد فرغت، وأمسك بمنديل ورقي وأخذ ينشف عرقه بعنايه حتى لا يفسد الماسك. أعاد فتح الجهاز من جديد وجهز البرنامج ونظر فوجد أنه قد بقى ربع الساعة على الحادية عشر فغرق في تأملاته وخيالاته وأخذ يجهز الكلمات التي طارت من رأسه والنكات التي تبخرت من عقله، ثم إنتفض فزعًا لما علا صوت الموبايل، فنظر فوجد أنه صاحبه «زيكو». كانت نفسه قد هدأت والوقت مازال أمامه فلم يجد مانعًا من الرد على صاحبه.

أيمن : زيكا .. إيه يا مان.

زيكو : إنت فين ياض .. كل الشلة بتسأل عنك ؟!

أيمن : إيه الحكاية .. كلكم إفتكرتوني النهاردة .. إنت ومدحت وعلي .. ما أنتو مشوفتونيش من شهر .. إشمعنى النهارده يعني ؟!

زيكو : عادي .. صدفة .. إيه بقى اللي واخدك كده.

أيمن : (ينفخ أيمن في ثقة) يا بني هو أنا فاضيلكم .. أنا مشغول .. مشغووول.

زيكو : ماشية معاك يا عم .. أنا سامع إنك مظبط.

أيمن : حاجة زي كدة .. طيب يا مان .. أنا مضطر أقفل في وشك عشان ورايا اللي أهم منك !!

زيكو : (يضحك) ماشي يا عم .. عقبالنا إحنا كمان.
أيمن : ما أظنش يا مان .. الحكاية دي عايزة مواهب .. مش موجودة فيك ولا في أي واحد من الشلة.

يضحك «زيكو» وينهيان المحادثة بـ(بيس يا مان) كالعادة.

الآن بقيت ثمان دقائق .. سبع .. ست .. خمس .. أربع .. ثلاث .. إثنان .. واحدة .. تن تن تن ...

الساعة تدق الحادية عشر مساءًا، سمعها «أيمن» وكأنها زغرودة فرح تبشر بالبشر والسعادة .. ولكن .. لم يحدث شئ فهي غير موجودة.

.....

تن تن تن

الساعة تدق الثانية عشر مساءًا، و«أيمن» أمام الجهاز وقد تبدلت هيئته وتهدلت أكتافه وبانت عليه آثار الشيخوخة. ما زالت غائبة، أين أنتِ يا «شجون» ؟!!

.....

تن تن تن

الساعة تدق الواحدة صباحًا، مرت ساعتان و«أيمن» يحملق في إسمها على الشاشة وفي علامة (X) الموضوعة أمامه التي تدل على أنها ليست موجودة. متى ستأتى ؟!! متى ستكون موجودة ؟!! هل بعد أن يخلع «أيمن» ملابسه ويجرى عاريًا في الشارع ؟!!

تن تن تن

الساعة تدق الثانية صباحًا، ومازال الوضع كما هو. إحمرت حدقتاه وشعث شعره وسال عرقه حتى أغرقه، ليست المرة الأولى التي تغيب فيها عنه ولكنها المرة الأولى التي وعدته بأنه سوف يراها فيها، وهي المرة الأطول غيابًا. ثلاث ساعات مرت عليه وكأنها ثلاثة قرون.

أيمن : (في خفوت ويأس) حسبي الله ونعم الوكيل !!

.....

تن تن تن

الساعة تدق الثالثة صباحًا، وما زال الوضع كما هو. لماذا تدق الساعة بهذه الصورة المزعجة الساخرة، لأول مرة ينتبه إلى أن دقات الساعة سمجة، بيض !

.....

تن تن تن

الساعة تدق الرابعة صباحًا، قرآن الفجر يتعالى من المساجد المحيطة

عيناه تحرقانه بشدة، حمراوان بلون الدم، خمس ساعات من الحملقة في الشاشة أمر ليس باليسير. يغمض عيناه ثم يفتحهما فيخيل إليه أنهما أصدرتا صوت صرير، كأنما أغلق بابًا عتيقا قديمًا ذات مفصلات صدئة. شعر بيأس شديد وسالت دموعه من عينيه وكانت أعصابه قد تعبت من كثرة الوقوف فقررت أن تجلس قليلا لتلتقط أنفاسها، هدأت نفسه وشعر بشفافية الحزن تغزو أركانه فأمسك بالقلم، حان وقت الشعر ! إن لم أكتب شعرًا الآن وأنا مشحون بكل هذه المشاعر فمتى سأكتبه :

لماذا تركتيني يا حبيبتي؟

وأعطيتيني هذه البمبة !
لماذا لم تفي بموعدنا ؟
ولم تجلسي معي حَبّة !
هل كنت تشتغلينني ؟!
هل أنت ...

مزق الورقة ورماها أرضًا ووضع يديه على المنضدة على هيئة الوسادة ووضع عليها رأسه المتعب. أحلام، تخاريف، أوهام.

في خلال خمس دقائق يحلم أكثر من عشرين حلمًا قصيرًا، كلها يرى فيها أنها قد أتت في موعدها ولكنه يستيقظ و ينظر إلى الشاشة فيجدها مازالت غير موجودة. يوقن بالفشل، ويستسلم لليأس، ومع ذلك ينظر إلى الشاشة لآخر مرة في أمل لعل الـ(x) اللعينة تختفي. ثم يضع رأسه المنهك على يديه مرة أخرى.

تيت تيت تيت

صوت بوق سيارة، ما الذي أتى بالسيارة إلى حجرته، يبدو أنه يحلم أو يخرف.

تيت تيت تيت

فيقول «أيمن» وهو بين النوم و اليقظة :

أيمن : يا عم بطل كلاكساتك دي صدعتنا.

لكن هناك شئ غريب، ذلك الصوت يصدر من سماعات الكمبيوتر ما الذى أتى بالسيارة في جهاز الكمبيوتر. وفجأة ينتفض «أيمن» كمن لدغه عقرب، ذلك الصوت، بوق السيارة، هو علامة على أن أحد المشتركين في برناج الشات يناديك.

تيث تيت تيت

إنها تناديه، إنها تناديه، ينظر فيرى أن علامة (x) اللعينة قد إختفت، وأصبح إسمها واضحًا بعد أن كان باهتًا.

أيمن : أخيرًا .. الله يخرب بيتك !!

.....

الفارس النبيل : حرااااام .. دا أنا دبت.

شجون : آسفة آسفة آسفة.

الفارس النبيل : معقول دا كله .. خمس ساعات !!

شجون : معلش كان عندي مشكلة في الجهاز.

الفارس النبيل : الله يخرب بيت الجهاز على بيت اللي عمله .. دا أنا بظت خلاص مش نافع تاني .. ممكن ماما تستعملني مشاية.

شجون : ها ها ها.

الفارس النبيل : إنتي بتضحكي .. والله حرام عليكي.

شجون : ما أنا قلتلك الجهاز كان بايظ.

الفارس النبيل : الله يخرب بيت الجهاز على بيت اللي عمله.

شجون : تاني ؟!

الفارس النبيل : تاني وتالت .. دا أنا إتعذبت عذاب .. الله يسامحك.

شجون : يا حرام .. خلاص بقى عشان صعبت عليا.

الفارس النبيل : هيييه .. مش هتنفذي إتفاقك ؟

شجون : إتفاق !!.. إتفاق إيه ؟!!

الفارس النبيل : بقولك إيه .. أنا بقالي ٨٠ ساعة مستنيكي .. مش عاوزين حمرقة.

شجون : طيب فكرني.

الفارس النبيل : مش قلتيلي إني هاشوفك النهاردة !!

الفارس النبيل : ألووو.

الفارس النبيل : رحتي فين يا حاجة ؟؟!

شجون : بافكر.

الفارس النبيل : بتفكري في إيه ؟ هي كيميا ؟!
الفارس النبيل : لازم أشوفك .. أنا تعبت.
شجون : طيب هافكر.
الفارس النبيل : نعم ؟ إنتي لسه هتفكري ؟!
شجون : طيب طيب .. متزقش .. بس أنا خايفة منك.
الفارس النبيل : خايفة مني أنا .. ليه ؟!
شجون : خايفة لتكون بتلعب بمشاعري !!
الفارس النبيل : أبدًا والله دا أنا كلي حب وإخلاص .. إنتي غيرهم كلهم !!
شجون : طيب ركب الكام والمايك.
الفارس النبيل : راكبين من خمس سنين.
شجون : ها ها ها.
الفارس النبيل : يلا أنتي شغليهم.
شجون : مستعد ؟
كانت ضربات قلب «أيمن» تزداد سرعة وقوة.
الفارس النبيل : مستعد.
كان «أيمن» قد إنتصب كالصنم أمام الشاشة منتظرًا أن تأتي صورة شجون وقد ركز حواسه كلها على الشاشة، وفجأة ظهرت الصورة في الشاشة، وأريد وجه «أيمن» وغارت منه الدماء وكاد أن يصاب بأزمة قلبية مع تصاعد الصوت من سماعات جهازه، فما رآه و سمعه كان فوق ما يحتمل. ما هذه القسوة، أهناك شئ كهذا في الوجود، من أي حجر صلب قدت هذه القلوب، أي نشوة وأي شهوة يجدها المرء في تحطيم قلوب الناس وجرحهم، كيف يجد الإنسان لذة في رؤية أخيه وقد تمرغ في وحل العار والخجل، كيف صنعوا هذا بـ«أيمن» ؟!

كل ذلك الحلم الذي عاش فيه «أيمن» شهرًا كاملا، وكل هذه الرومانسية والشاعرية التي غرق فيها حتى أذنيه، وكل هذا السهر وذلك التعب، كل ذلك كان غشًا وخداعًا وتزويرًا. كانت خدعة من أصحابه، مقلب يقصدون به التسلية على صاحبهم ليصلوا في النهاية إلى ذروة المشهد الدرامي، وهذه هي اللحظة التي ستكون ذكرى منها على مدى الأيام، ولم يلتفتوا إلى مقدار وكم الحزن والأسى والعار الذى سيلحق بصاحبهم.

.....

كادت دموع القهر الصامتة أن تحفر لها مجريان بخدي «أيمن» فقد ثقته نهائيًا بنفسه، شعر أنه لا شئ، أحس أن الدنيا كلها تكور فمها لتبصق عليه، شعر بتفاهته وضحالته وضآلته، شعر أنه قزم وأن عنقه الذي إنكسر على صدره لن يستطيع أن يحمل رأسه ويرفعها مرة أخرى، سيصير إلى آخر العمر ذليلا محطمًا، خنجر مسموم ضرب به في قلبه. أين أنتِ يا «شجون» الآن، لا توجد «شجون» لايوجد إلا الوهم والعار الأبدي، قد تكون هذه المشاعر مبالغًا فيها، ولكنها شخصية «أيمن». وفجأة إنتفض وقام من مقعده وشعر بأن حجرته قبر لا يوجد فيه ذرة هواء واحدة يتنشقها، شعر بالإختناق وبأن روحه تتسرب منه فهرول خارجًا من حجرته.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا

كان هذا هو نداء «سيد» الذى يمسك بشطيرة الفول – هى إفطاره اليومى – وبدأ أول الركاب فى الصعود إلى الميكروباص .. «أيمن» شاب جامعى، وسيم.

.....

كانت جلسة «أيمن» في السيارة بجوار «عبده» السائق، وكانت رأسه تطن بألف سؤال لا يجد لهم جوابًا : " *ما الذي حملني على الذهاب للجامعة في هذا اليوم؟ لابد أن الجامعة كلها قد عرفت بما حدث* "

.....

أفاق «أيمن» من شروده لما رأى مؤشر عداد السرعة يتقافز في جنون حتي تعدى المائة وأربعين فأصابه الرعب وبدأ الصراخ قبل الركاب، حاول أن يصنع شيئًا، ولكن قدر الله قد سبق.

" *وهذا الشاب المسكين الذي تلطخ بالدم من رأسه حتى قدميه، كيف كانت نهايته. وأهله كيف سيتلقون الخبر، يا رب سلم* "

هذا ما دار بعقل وقلب العميد «التوني» وهو يتأمل الجثث ومن بينها جثة «أيمن» ولم يفق من تساؤلاته إلا على صوت مساعده «كريم» وهو يناديه فالتفت له وإذا به يستند إليه شاب منهار من البكاء والحزن، إنه «فريد» أخو «أيمن» يبكي بحرقة وقد أوشك على السقوط لولا مساندة «كريم» له.

كانت إحدى سيارات الإسعاف قد وصلت فأمر العميد «التوني» أن يذهب «فريد» مع جثة أخيه في السيارة إلى المستشفى، جلس «فريد» على المقعد بجوار جثة أخيه التي حملها مسعفان إلى سيارة الإسعاف، وكان «فريد» قد هدأ نسبيًا وكان المسعفان ينظران إليه بإشفاق وإن كانا قد إعتادا هذه المواقف، ولكن

الدهشة قد إعترتهما حينما رأيا أن «فريد» بين دموعه هذه يبتسم.

....

كان «فريد» قد عاد من المسجد بعد صلاة الفجر ونظر إلى حجرة «أيمن» فوجد أن النور فيها ما زال مضاءًا، فعلم أن أخاه مازال متيقظا جالسًا كالعادة أمام جهاز الكمبيوتر، فحوقل في أسف، ثم دخل إلى حجرته وجلس على طرف سريره يردد بعض الأدعية التي أعتاد أن يرددها في ذلك الوقت من الصباح، ولما إنتهى رأى أنه قد بقي أكثر من ساعة على ميعاد ذهابه إلى العمل فأراد أن يغفو قليلا، لكنه إستفاق على صوت باب حجرته يُفتح ويدخل منه «أيمن» الذي لم يدخل حجرته منذ أكثر من عام، ولكن مهلا، هذا الذي دخل ليس «أيمن» أخوه الذي رآه منذ ساعات وكان في منتهى الحيوية والنشاط، أما الذى دخل الآن فكان «أيمن» آخر وقد شاخ ثلاثون عامًا مرة واحدة، كتفاه مهدلتان، حدقتاه حمراوان، ظهره منحن، عيناه مكسورتان، صورة مجسمة للحزن والأسى. إنتفض «فريد» وطار النوم من عينه لما رأى أخاه على هذه الهيئة وسأله بإنزعاج :

فريد : مالك يا أيمن.

لم يرد «أيمن» لكنه ظل واقفا ينظر لأخيه وكأنه يستغيث به، فأسرع إليه «فريد» وأسنده على كتفه وجذبه برفق إلى سريره فجلس على حافته ودفن رأسه في صدر أخيه وأفرغ ما بقى لديه من دموع أحرقت صدر «فريد» وتلوع لها قلبه على أخيه الذي يحبه، حكى له على كل شئ، وأفرغ ما في قلبه لأخيه، وكأنه يفرغ قيح نفسه وصديد قلبه وأحسن «فريد» الإنصات وأعطاه أذنيه كاملتين ولم يقاطعه حتى فرغ، فلما فرغ شعر ببعض الراحة

فرقأ دمعه وتباطأ نبض قلبه حتى عاد إلى طبيعته، وأحس كأن أخاه طوق نجاة ألقى إليه في خضم بحر زاخر . وكانت إبتسامة أخيه له كالبلسم الشافي فشعر بندم خفي لأنه كان قد حرم نفسه من مصاحبة أخيه أقرب الناس إليه وأخوفهم عليه. وكذا شعر «فريد» أن أخاه في مسيس الحاجة إليه.

فريد : على فكرة يا أيمن أنا مش عايز ألومك بس عايز أقولك إني كنت متوقع حاجة زي كده.

أيمن : وعرفت إزاي إن هم ممكن يعملوا فيا المقلب ده ؟

فريد : لأ أنا كنت عارف إن فيه حاجة هتحصلك منهم تعرف بيها إن هما مايستاهلوش يكونوا أصحابك .. ولو تفتكر أنا وماما حذرناك منهم قد إيه،

نكس «أيمن» رأسه، فكان هذا إعترافا منه بخطئه وأنهما كانا على حق.

فريد : بس الحمد لله إن الموضوع ده حصل

أيمن : يعنى أنت فرحان فيا يا فريد ؟

فريد : لأ والله .. أنا بقول الحمد لله إن الموضوع حصل عشان تعرف إن هم أصحاب سوء وتبعد عنهم .. صحيح إن التمن كان غالي بس معلش .. المهم هتعمل إيه دلوقتي ؟

أيمن : (دامعا) مش عارف .. قولي أنت يا فريد .. أنا دلوقتي حاسس إن عقلي اتلحس .. مش عارف أعمل إيه ؟

فريد : طيب إسمع .. أول حاجة تعملها إنك تستغفر ربنا وتبعد عن العيال دي.

أيمن : أستغفر الله العظيم.

ابتسم «فريد» في رقة و شفقة و قال :

فريد : لازم بقا تبدأ تغير حياتك من دلوقتي.

أيمن : إزاي يعني ؟

يضحك «فريد» ويربت على ظهر أخيه :

فريد : يعني تهتم بنفسك وتحاول أنك تبطل الشات مع البنات المايصة والكلام الفارغ وإنك تبعد عن المواقع الخارجة اللي بيدخلها الشباب .. وحاول أنك ترضي ربنا وترضي أهلك وتختار أصحابك صح.

يطرق «أيمن» في حرج ويومئ برأسه. ولم يرد «فريد» أن يطيل في المواعظ حتى لا يثقل قلب «أيمن» الموجوع.

فريد : ربنا يوفقك يا أيمن .. آخر حاجة بقى .. عايزك تبقا تيجي وتقعد معايا وتحكيلي على مشاكلك وهتلاقيني أكتر واحد بيحبك وبيخاف عليك.

بدا التأثر الشديد على وجه «أيمن» وهو يستمع إلى تلك الكلمات التي أجرت الدموع على وجنتيه.

أيمن : إدعيلى إن ربنا يهدينى يا فريد وإن حياتي تبقا أحسن.

فريد : ربنا يهديني ويهديك .. وإن شاء الله حياتك هتبقى أحسن.

.....

منى

بقلم : يمنى حافظ

جلست الفتاة في الصف، تنظر إلى معلمتها «أمل» بإعجاب شديد وهي تراقبها، كيف تتحرك، وكيف تكتب على لوح الشرح بخط عربي جميل ومتقن، وقد إرتدت الحجاب الأبيض اللون الذي أحاط وجهها بجمال هادئ وأضفى عليها سكينة من نوع خاص. وما أن إنتهت الحصة والتي كانت الأخيرة حتى خرجت الفتيات بحركة سريعه وبضوضاء وضحكات عالية مغادرات الصف، في حين هرعت هي نحو معلمتها وهي تمسك في يدها كشكول صغير، وقالت بهدوء :

- أستاذة أمل .. لقد كتبت شيئًا أريد رأيك فيه !!

إبتسمت الأستاذة وقرصت وجنة «منى» بلطف وقالت :

- ماشاء الله .. بهذه السرعة يا منمن ؟! واضح إنك ستتفوقين على معلمتك.

إلتهمت الأستاذة السطور بسرعة وهي تبتسم بهدوء، ثم قالت باعجاب :

- بارك الله فيكِ حبيبتي .. ماشاء الله كلمات رائعة ومنمقة إستخدمتِ فيها الكثير من المفردات العميقة .. رائع يا مني.

ضحكت «منى» وقالت :

- أستاذتي التي علمتني أستاذة رائعة .. وبإذن الله سأدخل نفس كليتك .. كليه دار العلوم لدراسة اللغة العربية .. لغة القرآن.

ومدت يدها لتأخذ الكشكول، وفجأة أمسكت المعلمة بيد «منى» وأزاحت طرف الحجاب لتشاهد جرحًا عميقا يبرز جزء كبير منه في ساعد «منى»، فسحبت «منى» يدها بسرعة وأسرعت ترتدي القفازين. فتنهدت المعلمة وقالت :

- لا حول ولا قوة إلا بالله.

وقفت «منى» في ثقة وهي تقول :

- أخبريني مرة أخرى بالآيه الكريمة التي تحث على طاعة الوالدين والتي أخبرتني بها الإسبوع الماضي.

صمتت المعلمة وقد فهمت ما ترمي إليه طالبتها المجتهدة الذكية، فقالت بصوت رخيم :

- بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

صدق الله العظيم.

فلمعت عينا «منى» بدمعة لم تغادر مقلتيها، وقالت بصوت منخفض :

- وصاحبهما في الدنيا معروفا وإتبع سبيل من أناب إلي .. صدق الله العظيم.

وقالت لمعلمتها :

- أتذكرين يا أستاذة ما رد فعل والدي حين أرتديت الحجاب ؟!

قالت معلمتها :

- نعم أذكر.. وأنه حضر إلى المدرسة وحدث المديرة وكاد يتسبب في أزمة في المديرية التعليمية التابع لها مدرستنا.

قالت «منى» :

- ثم ماذا حدث بعدها ؟!

قالت المعلمة وهي تهز كتفها :

- لا شئ .. على ما يبدو هدأت الأمور.. الحمد لله.

قالت «منى» بتفاؤل :

- كان الله معي لأني أردت أن أطيعه وأن أتبع سبيله .. وهذا بالضبط ما أشعر به دومًا .. أن الله بجانبي.

إبتسمت المعلمة فخرًا بطالبتها الزاكية وقالت :

- ماشاء الله .. أنا فقط أشعر بالقلق عليكِ.

فإبتسمت «منى» بدورها وقالت لها :

- جزاكِ الله خيرًا .. منذ كنت في الصف الأول الثانوي ومنذ أصبحتِ معلمتي للغة العربية وكنتِ دومًا سببًا في كل تغير جيد في حياتي .. فقد جعلتني أكتشف بنفسي أنني أستطيع أن أكتب وأن أعبر عما بداخلي .. وإرتداء الحجاب الذي لم يهتم أبي بأن أرتديه كنتِ أنتِ سببًا لهدايتي له بحمد الله .. وساعدتني في حفظ القرآن .. والتفقه في أمور ديني .. والصبر على الإبتلاء .. في إنفصال والدي .. وقسوة أشتياقي لوالدتي .. وحتى قسوة أبي عليَّ .. كنتِ دومًا تضعيني على طريق الصبر .. فلا تقلقي الآن عليَّ.

لم تستطع المعلمة أن تمنع نفسها من أن تحتضن تلك الفتاة، وأن تقبلها وأن تهمهم بالدعاء لها، وربتت على كتفها وقالت لها :

-   هيا حتى لا تتأخري .. لا تنسي يوم الأحد بإذن الله في وقت الراحة سنسمع سورة مريم .. أراكِ على خير حبيبتي .. أتمنى من الله أن تقضي أجازتك الإسبوعية في طاعة الله.

ودعتها «منى» بإبتسامة واسعة :

-   أراكِ على خير بإذن الله.

وإنطلقت في طريقها للمنزل، فاليوم من الأيام التي تنتظرها، اليوم سترى «إيهاب» لا تستطيع الإنتظار، فقد إفتقدته طوال الإسبوع الماضي.

.....

بقدر ما كان سعيدًا بإنتهاء إسبوع طويل من الدراسة في كليته العسكرية والذي يقضيه في ملل وإحباط مرغمًا ومجبرًا، فهو إلى الآن لم يحب كليته هذه، ولكنه أيضًا كان حزينًا لأنه مضطر للعودة لهذا البيت الذي يحمل كل ركن فيه ذكريات أليمة ومؤسفة ومحبطة، إلا شقيقته، هي الوحيدة التي يعود من أجلها، فرغم أنها الأصغر إلا أنه يشعر أنها شقيقته الكبرى أو كاأها والدته.

وصل إلى أسفل العمارة، نظر لأعلى بقلق إلى الشرفة التي تقع في الدور الأول ثم تنفس الصعداء، إنه لم يجد والده جالسًا فيها كما إعتاد، صعد الدرج حاملا حقيبته وهو يتمنى لو أن يجد والده خارج المنزل، ثم هز كتفه في يأس وواصل الصعود إلى باب الشقة، ومن خلف الباب المغلق سمع صوت والده يسعل، فاقشعر بدنه كله، وإرتجفت أوصاله بشكل لا إرداي وسرى الخوف في صدره، فتأفف بغضب من تلك المشاعر التي لازمته منذ طفولته حتى بعد أن أصبح شابًا يافعًا ورجلا في كلية من الكليات العسكرية المرموقة. وبسرعة مد يده يتحسس.جيبه، وفي سرعة

أخرج الهاتف المحمول وأغلقه ودسه مرة أخرى في الجيب فهو لا يريد أن يدق فيكتشف أباه أنه يحمل هاتفا محمولا محطمًا بذلك قوانين والده الصارمة بشأن حصول أى من أولاده على ما يسمي بالمحمول، لأنه كما يقول دائمًا بأنه باب لكل تفاهات وطيش وتسيب الشباب وهو مالا يسمح به، مد يده دق الجرس رغم أنه يحمل مفاتيح المنزل إلا أن قوانين والده أيضًا تمنعه من إستخدام المفتاح في الدخول. فهو لا ينسى أول مرة عاد من كليته وإستخدم المفتاح وما إن دخل إلى المنزل حتى تفاجأ بوالده يوجه له السباب والإهانات، وأجبره على الخروج مرة أخرى وعدم العودة إلا في اليوم التالي، لأنه تجرأ ودخل المنزل دون إعتبار بمن فيه، فكما يقول له دائمًا :

- هذا البيت ليس وكالة من غير بواب.

أخرجه من ذكرياته صوت الباب يفتح، فتحه رجل يرتدي ملابس مهندمة بشكل متقن، فوقف «إيهاب» معتدلا أمام أبيه الذي ظل يتأمله وينظر في ساعته ثم يدقق النظر في مظهره ثم مالبث أن قال له بصرامة وبجدية وكأنه يحدث طفلا في العاشرة من عمره :

- متأخر عشر دقائق .. أدخل على الحمام .. الغذاء بعد خمس دقائق .. أختك بتحضره.

هرول «إيهاب» مسرعًا إلى حجرته، وضع الحقيبة وأحضر ملابسه ودخل الحمام برغم من أنه كان يشتاق لأن يرى شقيقته وأن يسمع منها كلمات الترحيب إلا أنه نفذ الأوامر وبسرعة، وما إن دخل الحمام وأغلق بابه حتى إستند عليه بظهره وعض على شفتيه في يأس، فلا يزال يرتعد خوفا منه، لا يزال يتجرع الأسى والمرارة ويشعر بلعنة تلك الأبوة المهينة، كم هو صعب أن يكون واحد من أولاد ذلك الرجل، واحد من أولاد اللواء «ماهر وهدان» .

.....

كان الوقت أقرب إلى آذان المغرب، وقد وساد الهدوء في الأجواء، ومـن تلـك الـشرفة الـصغيرة تـصاعدت الأدخنـة مـن الـسيجارة المحترقة وغلفت المكان بغيمة ثقيلة من الدخان الخانق، ومعها تعالـت أصـوات الـسعال الـشديد مـن بـين طيـات صـدر الرجـل الجالس على الكرسي الهزاز الخشبي الـضخم، سعل مـرة أخـرى بـصوت مختنـق يـدل علـى صـدر أرهقـه التـدخين وأمـتلأت حويصلاته الرئويـه بـالنيكوتين القاتـل. ثـم مالبـث أن بـصق فـي منديل قماشي وطواه ووضعه في جيبه، ومرة أخرى تابع إستنشاق الدخان بكل إستمتاع وهو يراقـب المـارة ويركـز بـصره مـع تلـك المرأة تارة وعلى ذلك الشاب تارة أخرى، راح يراقب الشاب وهو يتحرك ويتحدث في الهاتف المحمول، ثم ما أن إقتـرب وجلس على مقدمة السيارة البيضاء حتى هب الرجل واقفـا، وأطلـق وابـلا من السباب القذر والإهانات للشاب، وطالبه بالإبتعاد عـن سـيارته الخاصة. ثم إنطلـق ينـادي علـى بـواب العمـارة بـصوت جهـوري مرعب :

- أنت يا وحيد أنت يا (.....) أنت يا (.....).

وظل يسب ويلعن في البواب الذي ترك مكان جلسته أمـام العقـار ولم يلتفت لعمله في إبعـاد النـاس عـن سيارته متهمًـا إيـاه بأنـه خيـال مآتـة ولا يـصلح لعمـل أى شئ. هـرول البـواب وفـي يـده الممسحة الخاصة بالسيارات وأسرع يلمع السيارة هو يقول برعب واضح:

- حاضر يا ماهر باشا .. والله ماتتكرر تاني يا بيه .. حقك عليا يا سيادة اللواء.

وما أن إنتهى الرجل من الصراخ حتى عاد مرة أخرى إلى مقعده وقد إرتسمت أمارات الرضا على قسماته فهو لن يترك الموقف يمر مرور الكرام دون أن يفرض سيطرته وأن يعلن عن وجوده وأن يعيد النظام للمكان، هكذا كان. لم ينس يومًا أنه كان لواء في الجيش وأن النظام والإلتزام لابد أن يسود كل مكان ولو بالإجبار. منذ خرج من الخدمة وهو يجلس في الشرفة طوال النهار والليل يراقب هذا وذاك، ويفتخر بأنه يعلم كل كبيرة وصغيرة في الشارع من حوله، ولا يترك جارًا أو زائرًا إلا ووجهه أو عاتبه أو حتى تشاجر معه، وكم من مرة أحضر الشرطه لجيرانه، وكم مرة وقف يهلل ويسب ويشتم بعض المارة حتى عرف الجميع إسلوبه البغيض.

دق جرس الهاتف الموضوع أمامه على المنضدة الصغيرة فمد يده ليتناول السماعة، وقال بكل غطرسة :

- أيوة .. مين بيتكلم ؟

إستمع قليلا للمتحدث عبر السماعة ثم قال بصوت حازم :

- لا يا بابا هو مش هنا ومش فاضي يكلم حد .. وياريت بلاش إزعاج تاني.

ووضع السماعة بكل صفاقة، ثم نهض يدخل من الشرفة متهاديًا بخطوة عسكرية لا تخطئها عين، ثم خطا خارج الحجرة وتجول ببصره في أنحاء المنزل ليتأكد من أن كل شئ كما ينبغي أن يكون وكل شئ في مكانه بدقة متناهية، فوجد باب الصالون العتيق الذي إعتاد إغلاقه مفتوحًا، إقترب مطلا برأسه فوجد إبنته تقف بالداخل أمام الدرج الخاص بالصور تطالع ألبوم الصور القديمة، تشاهد صورًا لها مع والدتها وهي تبتسم بهدوء. فصرخ مناديًا لها بصوت عال :

- أنتِ يا بنت .. بتعملي إيه عندك ؟

فقفزت من مكانها في ذعر وسقطت الصور من بين يديها، وإرتجف صوتها وهي تقول بخفوت :

- كنت أنظف الحجرة وكنت أشاهد الـ...صور.

خطا داخل الصالون وهو ينظر إليها في غضب ويقول :

- كم مرة حذرتك من الدخول هنا دون إذني ؟

لملمت الصور بسرعة وقالت في خضوع :

- آسفة .. سأعيد الصور مكانها .. لن أفعل...

ولكن لم تستطع أن تكمل كلماتها، فقد كانت الصفعة التي تلقتها وأستقرت أعلى وجهها وفوق عينها اليسرى مباشرة كفيلة بإخراسها تمامًا إلا من آهة ألم تمزق صدرها.

.....

جلست المرأة النحيلة بملامحها الرقيقة وعيونها الحزينة تتحدث في الهاتف بصوت هادئ وهي تقول :

- والله مشاغل يا خالتي .. بإذن الله سأزورك أنا ونبوية ونقضي معاكي يومين في البلد.

أشارت لها المرأة الكبيرة التي تجلس أمامها وقالت بصوت تعمدت أن يكون مسموعًا :

قوليلها على موضوع محمد .. عشان تعرف عمايل ولادها.

أشارت لها المرأة التي تتحدث في الهاتف بأن تخفض صوتها ثم قالت :

- أبدًا أبدًا يا خالتي .. دي نبوية بتسلم عليكي .. وبتطمن على عبير وأولادها.

تأففت «نبوية» وأشاحت بيدها لشقيقتها ثم نهضت لتدخل المطبخ وهي تهمهم وتقول :

- والله مفيش فايدة في طيبتك وخيبتك دي يا حسنية.

في حين أكملت «حسنية» حوارها الهادئ مع خالتها :

- سألت عليكي العافية .. منى دلوقتي في ثانوية عامة .. وإيهاب في ثالثة كلية .. دعواتك يا خالتي.

في حين خرجت «نبوية» بأطباق الطعام وبدأت في تحضير المائدة ذهابًا وإيابًا تشير لها بأن تنهي المكالمة لأن الطعام سوف يبرد، ثم قالت بصوت عالي :

- المغرب سوف يؤذن يا حسنية.

إنتهت المكالمة بين «حسنية» والخالة العجوز على وعد بزيارتها في أقرب وقت، وما إن وضعت «حسنية» السماعة حتى إنطلقت «نبوية» تتحدث معها بحدة شديدة وهي تقول :

- إيه ؟ المغرب أذن .. مش هتفطري ؟! برضو مش عايزه تقوليلها ؟

قالت «حسنية» بطيبة وهي تنهض ببطئ وتجلس على المائدة المعدة بهدوء :

- هيا .. لنأكل .. والله حرام عليكي يا نبوية هي خالتك ناقصة !! إيه يعني محمد يقولك مشغول ومش فاضي الإسبوع ده !! الدنيا مشاغل يا حبيبتي.

قلبت «نبوية» شفتيها ومدت يدها لتمزق رغيف الخبز وتقول بسخريه :

- مشاغل ؟!.. مش إبن خالتنا الراجل .. ومحامي .. مين غيره هيشوف مصالحنا ؟!

هزت «حسنية» رأسها في تعجب وهي تمد يدها للطبق أمامها وتقول:

- أعذري الناس شوية .. وأصبري .. أكيد مشغول بجد.

ضحكت «نبوية» بغيظ وصكت الملعقة في الطبق بصوت عالي وقالت لشقيقتها بحدة :

- والله ؟!! أقولك إيه ؟! دي مش طيبة .. ده عبط بقى .. كان واضح إنه بيتهرب طبعًا .. تلاقي مراته هي الـ...

قاطعتها «حسنية» وقالت وهي تشير بيدها :

- حرام أنتي صايمة .. بلاش الظن السئ ده .. إن بعض الظن إثم.

قالت «نبوية» بغيظ شديد :

- مش باقولك خيبانة .. والله يبقي عنده حق جوزك يبيع ويشتري فيكي ويعمل أكتر من كده .. ولا هو كان محمد أيامها عملك إيه ؟!

وضعت «حسنية» الملعقة من يدها ونظرت بعتاب لشقيقتها وترقرقت دمعة في عيناها وقالت بخفوت :

- ربنا يسامحك .. ليه كده يا نبوية !!

تنبهت «نبوية» لأن كلامها قاسي وأنه نكأ جرح في قلب شقيقتها الصغرى وبدون تفكير نهضت تحتضنها وتقبل رأسها وهي تقول:

- حقك عليَّا يا حبيبتي .. سامحيني لم أقصد.

قالت «حسنية» بهدوء :

- أنت بالذات أكثر واحدة تعلم ما كنت أقاسيه .. لقد كنت مجرد فتاة في السابعة عشر من عمري .. خرجت من جنة أبي الرجل الشهم الحنون .. إلى بيت رجل قاسي .. لا يتحدث إلا بيده .. وموت أبي بعد زواجي بعام لم يترك فرصة لوقوف أحد بجواري .. وأنتِ تذكرين تمامًا ما حدث من ماهر وإستخدام سلطته في إيذاء كل من وقف بجانبي خصوصًا المرحوم حسين أخانا .. حتي محمد لم يستطع أن يفعل شيئًا .. فلم

يكن أمامي إلا الصبر .. من أجل أولادي يا نبوية .. ولكن فاض الكيل .. صبرت ستة عشر عامًا.

ربتت «نبوية» على كتف شقيقتها وقالت :

- أيوة فاكرة .. يومها طردك بملابس النوم في الشارع .. بعد ما ضربك .. والله يرحمه حسين بات يوميها في القسم .. ومحمد إتبهدل عشان يعرف يخرجه .. يااه كانت أيام سودا الله لا يرجعها.

ثم مدت يدها بقطعة خبز ووضعتها في طبق الملوخية ووضعتها في فم شقيقتها وقالت بمرح :

- باقولك إيه بقى .. إكسري صيامك .. ودوقي الملوخية وإنسي.

أخذت «حسنية» اللقمة في فمها ثم قالت :

- الولاد وحشوني يا نبوية.

فقالت «نبوية» :

- يارب يرضى المرّة دي ويسيب العيال تزورك.

هزت «حسنية» رأسها وسرح خيالها في وجهي أولادها الأحباء، «منى» والتي لم تكن مجرد إبنة بل كانت بمثابة صديقتها فمنذ صغرها وعقلها أكبر بكثير من عمرها، تركتها وهي في الثانية عشر من عمرها تقريبًا، وهي الآن عروس بملامحها الجميلة وقلبها الطيب. «إيهاب» قرّة عينها تركته في عمر الخامسة عشر وما أكثر ما قاسى من دونها، حيث كان الولد البكر وكان والده يريد أن يجعله رجلا أو هكذا كان يبرر ويتعلل كلما قسى عليه. لها الآن أكثر من خمس سنوات منذ تركت المنزل وفارقت أولادها وحُرمت منهم إلا من زيارات قليلة حين يوافق وأبوهم، أو من زيارات يختلسونها بين الحين والآخر دون إعلامه، حتى المحادثات الهاتفية كانت محرمة حتى أنها إشترت هاتفا

محمولا لـ«إيهاب» حتى يستطيع هو وشقيقته أن يسرقوا لحظات ويحدثونها. ألم، دموع، وحرقة قلب هي كل ما يكتنفها حين تفكر وتتذكر ما كان في الماضي، ثم مالبثت أن تساءلت، ترى هل سيسمح والدهما لهما بزيارتها قريبًا ؟!

.....

إمتدت اليد القوية لتهز الجسد النائم فوق الفراش، وإنطلق صاحب اليد ينادي بصوت خافت :

- منى .. منى .. منى.

إنطلقت شهقة رعب من بين شفتي الفتاة الراقدة على جانبها الأيمن وإنقلبت على ظهرها في سرعة وفزع، وهي ترفع يدها لتحجب وجهها وتقول :

- لن أفعلها مرة أخرى .. والله لن أفعـ...

وبسرعة مد «إيهاب» شقيقها يده مرة أخرى مربتًا على كتفها ليهدئها ويقول بحنان :

أنا ايهاب يا منى .. آسف يا حبيبتي لم أقصد أن أخيفك.

فتحت «منى» عيناها بصعوبة، وما لبثت أن مدت يدها بسرعة لتضعها فوق عينها اليسرى وتتحسسها بألم شديد، فتلك كانت العين المتورمة المصابة والتي إلتف حولها اللون الأزرق المتشرب بدموية في شكل كدمة مخيفة، فأغلقت تلك العين وإعتدلت بسرعة في جلستها، وقالت بصوت واهن :

- إيهاب !!.. جيت إمتى !!

إبتسم «إيهاب» في حنان وقال :

- جيت عشرة بالظبط .. هو أنا أقدر أتأخر !! وإنتي طبعًا كنتي نايمة !! هيا لقد إقتربت الساعة من الرابعة والنصف فجرًا صلاة الفجر يا منى !!

تنفست «منى» بعمق وقالت :

- نعم .. نعم .. جزاك الله خيرًا .. سأنهض الآن.

وما أن نهضت وهمت بالإقتراب من باب الغرفة، حتى لمح شقيقها في ذلك الضوء الخافت تلك الكدمة التي أصابت عينها فأوقفها قائلا بغضب شديد :

- ما هذا ؟!.. متى حدث ذلك ؟! لم تكن تلك الكدمة موجودة وقت الغذاء .. فعلها وأنا بالخارج !!

أفلتها بعنف وتحرك بسرعة يريد الخروج من الحجرة، فهرعت من خلفه وأمسكت به بشدة وهي ترجوه وتستعطفه :

- أرجوك يا إيهاب .. أرجوك لا.

وتعلقت برقبته تحتضنه بشدة وتهمس في أذنه :

- لن أسامح نفسي إن آذاك بسببي.

توقف، ونظر إليها وقد شاهد الهلع يكسو ملامحها فربت على رأسها، وقال وهو يصر على أسنانه :

- إلى متى ؟! ليت بإستطاعتى الوقوف في وجهه ولكني جبان.

مسحت «منى» على وجنتي شقيقها وقالت بعطف وحنان :

- بل أنت تعرف أن ما تفعله هو الصواب .. كما ربتنا أمنا .. ولا تنسى أنه والدنا .. وله علينا كل الحقوق.

قال بغضب حاول أن يكتمه :

- أي حقوق ؟!! كيف تقولين هذا وهو يؤذيك كل يوم دون سبب ؟! كيف تصمتين ولم أراك مرّة واحدة تثوري أو تغضبي.

قالت «منى» وقد إرتسمت أهدأ إبتسامة على وجهها :

- من أجل ربي .. ورغبة في رضاه .. فمهما حدث منه هو أبي.

قال «إيهاب» بغضب :

- مش في الظلم ده .. ده ظلم .. ظلم.

قالت بهدوء :

- وإن ظلمني .. فهو لايزال ابي .. أحبه وواجب عليّ طاعته.

هز «إيهاب» رأسه مستنكرًا وعض على شفتيه في حزن وقال وهو يجاهد ألا تخونه الدمعات :

- سبحان الله .. بعد كل ما عانيناه معه وبسببه .. وظلمه لأمنا وطرده وسبه وضربه لها .. وإجباري على دخول كلية لا أطيقها .. وظنه السيئ بكِ دائمًا .. لايزال لديك قدرة على أن تسامحيه ؟! أنا لم يعد لدي القدري يا منى.

وأطرق برأسه بعد أن دمعت عيناه وإهتزت شفتاه وقال بأسى :

- لن أسامحه بعد أن حييت على سنوات شقاء وذل ومهانه .. لن أسامحه بعد أن حرمني من أمي .. لن اســ....

أمسكت «منى» يده وقالت :

- والله يا إيهاب إنني لأشفق عليه لما هو فيه.

نظر إليها من بين دموعه وقال :

- تشفقين عليه ؟!

قالت :

- نعم .. فأنا يومًا ما سأتزوج .. وأنت ستنشغل في عملك أما هو فسيعيش وحيدًا .. سامحه الله .. إدعوا له كما

أفعل كل يوم في صلاة الفجر .. قل (اللهم إهده إلى الصواب وإرحمه وأنر بصيرته)

فقال «إيهاب» بصوت خافت :

- آمين.

لم ينتبه أحد منهم لأن هناك من يقف بجوار باب الحجرة، قابضًا على العصاة الغليظة في يده، مستعدًا لدخول الغرفة، فقد كان والدهما والذي تنبه لصوت اقدام «إيهاب» وللحركة في الحجرة الخاصة بـ«منى» فنهض وقد عزم الأمر على أن يلقن الإثنين درسًا لن ينسوه !!

.....

إرتفع آذان الظهر، وإرتفعت صوت خطبة الجمعة في المساجد، وهرع كل المصلين من كل مكان لأداء صلاة الجمعة، ومن بين المصلين كان «إيهاب» ووالده. إنتهت الصلاة وككل يوم جمعة بعد إنتهاء الصلاة وقف والد «إيهاب» أمام المسجد ليشترى الفاكهة، يشتم هذا ويسب ذاك ويتهم البائع بأنه لص ويغالي في ثمن البضاعة في مشهد أصبح مألوفا لسكان المنطقة، وعادا، ولم يكن فنجان القهوة الخاص باللواء «ماهر» قد تم إعداده بعد، وكانت «منى» لا تزال في المطبخ تغسل الصحون وتجهز طعام الغداء. وقف والدها عند باب المطبخ ومن خلفه هرع «إيهاب» تحسبًا وخوفا من أن يتطور الموقف أو أن يضرب «منى» مرة أخرى، وقد عزم أمره أنه لن يتركه يمد يده عليها مرة أخرى، قال الوالد بهدوء لم يعهداه :

- أين فنجان القهوة يا منى ؟!

إرتجفت «منى» وسقطت من يدها الملعقة التي كانت تغسلها وقالت:

- حالا .. حالا.

الغريب في الأمر أن والدها وقف لحظات يتأملها وينظر إليها، دون أن يتكلم ولم تكن في عيونه تلك الشرارة التي تشتعل حين يغضب، ولم يكن في عيونه تلك النظرة الشرسة التي تعودتها «منى» منه حين يجد منها تقصيرًا أو تأخرًا في إجابة أحد مطالبه، ولكنها كانت نظرة عجيبة، وغريبة، نظرة لم يفهمها أي من «منى» أو «إيهاب»، وقال بهدوء مرة أخرى :

- هاتي القهوة .. أنا في حجرتي.

تعجب «إيهاب» ونظر لوالده نظرة شك، فماذا أصاب والده ؟! وفي الحجرة الخاصة بالوالد، جلس على مقعده يتذكر أيام مضت حين كان في عنفوان صحته وجبروت وظيفته وأنجبت له زوجته تلك الفتاة بعد أن أنجبت له ذكرًا، وكيف أنه كره الفتاة وكيف أنه إتهم الأم بأن الطفلة ليست من صلبه لأن الصغيرة كانت خمرية اللون بعيون سوداء وشعر خيلي أسود فاحم وأن أمها كانت بيضاء بشعر يقترب إلى الذهبي وهو رجل أسمر البشرة وشعره بني وأنه يجزم أن كل عائلته ليس من ضمن أفرادها أي من يتمتع بتلك الصفات التي ظهرت على الفتاة حتى أنها لم تكن تشبه شقيقها «إيهاب» الذي ورث عن أبيه كثير من الشبه بشكل يكاد يكون مطابقا، فمن أين أتت تلك الفتاة ؟! نعم كان يقسو عليها، تذكر تلك المرّة التي وقفت «منى» تغني أمام المرآة وهي تمشط شعرها الأسود الطويل فثار ثورة عارمة وإتهم الأم أنها ربت إبنتها على الخلاعة والفجور، وما كان منه إلا أن حلق لإبنته شعرها وضربها بالحزام الجلدي حتى تصبح فتاة محترمة. وعادت هي ببراءة الأطفال تتساءل :

- هل سينمو شعري مجددًا ؟

كانت القسوة من وجهة نظره تربية وحزم لا غنى عنها في تربية الأبناء خاصة الفتاة، فكان يقول إكسر للبنت ضلع... ثم أنه رجل الجيش المنظم والتقليدي الذي لا يرضى الإخلال بأي نظام ويضع القواعد الغير قابلة للمناقشة، وللأسف لم تكن زوجته تقدر أي من ذلك فكانت تتهمه بالقسوة وتقف بينه وبين أولادها وتنال منه الصفعات بغير رضا، ففاض به الكيل وطردها ذلك اليوم الذي عاد وعلم أنها خرجت دون علمه متعللة أن إبنها أطاحت به سيارة أمام المنزل وأنها سارعت به إلى أقرب مستشفى بمساعدة بعض الجيران، فكيف تسمح لنفسها بأن تخرج بصحبة الجيران وإن مات إبنهما، فلابد أن تنتظر عودة رجل البيت قبل أن تتصرف، فماذا سيظن الجيران الآن! إنها إمرأه منحلة، كيف يحتفظ بمثل هذه الزوجة ؟! وبالطبع لم يدخر وسعًا في تأديبها وإستخدم سلطته في الإلقاء بشقيقها «حسين» في السجن حتي لا يتدخل في أمور بيته مرة أخرى. تذكر أيضًا كيف أقام الدنيا ولم يقعدها حين إرتدت إبنته الحجاب، فإتهمها أنها فلاحة مثل أمها وأنها تحاول أن تشوه صورته العظيمة بتلك الملابس التي لا يرتديها سوى الفلاحين والجهلة، ومنعها من الخروج وأثار زوبعة في مدرستها متهمًا إياهم بإجبار إبنته على إرتداء ذلك الزي. ثم في النهاية تركها، قائلا :

- فالترتدي ما شئت .. يا فلاحة.

مواقف كثيرة لا تستطيع ذاكرته أن تحصيها جميعًا، وكان مقتنعًا أنه على حق في كل المواقف، ولكن بعد تلك السنوات فجأه وبدون أن يدري وبدون أن يقصد سمع في جلبتهما في الفجر ونهض ليلقنهما درسًا ولكن بدلا من أن يضربهما إستمع لحوار دار بينهما غيَّر بداخله الكثير. لم يتوقع أبدًا أن إبنه الذي عاش يحلم بأن يصبح مثله في يوم من الأيام يكرهه ويشعر بأنه أجبر على

دخول كلية لا يرغب فيها ولا يسامحه على قسوته معه !! وتلك الفتاة التي لطالما كسى وجهها بالصفعات ولون جلدها بالجروح تدعوا له يوميًا في صلاة الفجر !! كيف كانت عيناه لا ترى تلك النعمة التي سقطت بين يديه ؟! شئ ما تغير في قلبه تلك الليله، شئ ما حول الصلابة إلى لين، شئ ما جعله يرى كم تشبه «منى» عمته الكبيرة التي توفيت وهو لا يزال طفلا الآن يتذكرها جيدًا بشعرها الأسود الفاحم وعيونها الشديدة السواد. شئ ما تحطم في قلب الرجل. أفاق على صوت دقات رقيقة على باب الغرفة. كانت «منى» حاملة صينية وضعت فنجان القهوة وبجوارها الكوب الطويل النظيف المملوء بالماء البارد، وضعت الصينيه من يدها على المنضدة الصغيرة ووقفت أمام والدها تتساءل :

- هل من شئ آخر.

لم يجيبها والدها، لم ينظر حتى إليها، همت بالخروج ثم إلتفتت إليه وقالت :

- بعد إذنك يا أبي.

فرفع رأسه إليها، فرأى الكدمة التي أحاطت بعينها وكأنه يراها لأول مرة، فاشاح بوجهه، فقالت وقد ترددت وإرتعش صوتها :

- أتسمح لي أنا إإيهاب .. أن .. أن نذهب إلى أمي لزيارتها اليوم ؟

رفع رأسه وقال :

- أتحبين أن تقضي عندها الليل ؟

لم تصدق «منى» أذنيها، فترددت في الإجابة ثم قالت :

- كما ترى يا أبي.

فقال والدها :

-    خذي معكِ ملابسكِ وأقضي عندها الليلة فلكِ أكثر من إسبوعين لم تزوريها، ولكن عودي السبت قبل الظهر، اتفقنا ؟

هرعت «مني» نحو والدها وقبلت يده وهي تقول :

-    شكرًا يا أبي .. شكرًا شكرًا.

وخرجت تهرول نحو شقيقها لتخبره، في حين رفع الرجل يده التي قبلتها إبنته ودق قلبه بعنف، فتلك اليد التي لطالما إمتدت إلى وجهها بالضرب، ها هي تقبلها، وتذكر ما كانت تفعله في صغرها حين يضربها بقسوة، فتمسح دموعها وتعود لتجلس في حجره بهدوء وتمسك بيده وتضع يدها الصغيرة بين أصابعه وتقول له :

-    إيدك كبيرة يا بابا .. وإيدي نونو.

ثم تقبل يده بعفوية الأطفال وهي تقول :

-    عايزة أكبر وإيدي تكبر زيك يا بابا.

وتذكر أيضًا كم كان يدفعها بعيدًا وينادي على أمها لتأخذها بعيدًا، قائلا :

-    بلاش دلع بنات.

تأفف وغمره إحساس بالحزن الشديد، فكل هذه الأعوام كان كالمبرمج الذي يتصرف دون وعي دون قلب، دون أي إحساس كيف قلبت كيانه كلمات قليلة سمعها من بين شفتي إبنته ؟! أطرق رأسه، وصمت، فلا يوجد ما يقوله حتى لنفسه.

.....

فتحت «حسنية» الباب وأطلقت شهقة تعجب وظلت تقبل أبناءها قبلات منهمرة لا تتوقف وهي تحتضنهم وتبكي وتقول :

-    وحشتوني يا حبايبي .. وحشتوني يا حتة من قلبي.

في حين خرجت «نبوية» من الحجرة مسرعة وهي تقول :

الله ! إيهاب ومنى مرة واحدة !! نورتوا البيت يا حبايبي.

وأخذت هي الأخرى دورها في توزيع القبلات الحارة على الأبناء، لاحظت «حسنية» العين المصابة في وجه إبنتها فبكت وإحتضنتها وقبلتها وهمت أن تسألها، إلا أن «نبوية» أسرعت تقول في محاولة منها لتشتيت إنتباه شقيقتها :

- حظكم حلو يا ولاد خصوصًا أنت يا إيهاب .. أنا عملت كيكة البرتقال اللي أنت بتحبها.

قال «إيهاب» :

امم طبعًا .. تسلم إيدك يا خالتي .. مفيش أجمل من كيكة البرتقال بتاعت خالتي.

ضحكت «نبوية» وأسرعت نحو المطبخ تحضر الكعك والشاي تاركة شقيقتها لتستمتع بصحبة أبناءها. لم تصدق «حسنية» «منى» حين أخبرتها أنها ستبيت معها الليلة. حتى «إيهاب» نفسه لم يصدق حين أخبرته «منى»، فقالت أمهم :

- الحمد لله .. ربنا يهديك يا ماهر.

مضى الوقت سريعًا، وغادر «إيهاب» بعد أن سلم على والدته وشقيقته وخالته، حيث أنه سيعود اليوم ليلا إلى كليته، وترك «منى» بصحبة والدته. قضت «منى» تلك الليلة في سعادة غامرة لم تشعرها منذ أعوام، إستلقت بين يدي والدتها كطفلة صغيرة، تذكرت معها أيام مضت حين كانت أمها لا تزال في المنزل حين كانت تحكي لها الحكايات قبل أن تنام وحين كانت تفصل لها الفساتين التي كانت «منى» ترسمها لها، فقد كانت مغرمة برسم الفساتين وهي صغيرة. حكت لها عن أستاذتها «أمل» وكيف أنها تحبها وتساعدها وتحدثت كثيرًا، فكانت كل منهما تريد أن

تستمع للأخرى وكأن أعوام من الفراق قد إختزلت في ليلة كاملة، ومر الليل دون نوم حتى آذان الفجر، فنهضت «منى» للصلاة في جماعة مع والدتها، ونامتا أخيرًا مع شروق الشمس، لكن إرتفع صوت «نبوية» تنادي عليهم لتناول الإفطار، أيقظتهما بكل همة، تقلبت «حسنية» في الفراش وقالت بعتاب لها :

- ياسلام عليكي يا نبوية .. الساعة سبعة .. فطار إيه بس إحنا يادوبك نايمين من ساعتين بس !!

ضحكت «منى» وقهقهت، وقالت :

- خالتي نشيطة.

ونهضت وقبلت خالتها، وقالت :

- هيا .. سوف أساعدك .. هيا يا أمي .. لأني سأعود للمنزل.

قطبت «حسنية» حاجبيها وقالت :

- ألم يقل لكِ قبل آذان الظهر ؟! لا يزال الوقت مبكرًا.

ضحكت «منى» وقالت :

- أريد أن أعود مبكرًا لأعد له الإفطار الذى يحبه شكرًا له أن سمح لي بالمبيت معكِ يا أمي.

مصمصت خالتها شفتيها وقالت :

- لأ طيبة .. زي أمك بالظبط .

فضحكت «حسنية» وإحتضنت «منى» وقالت :

- الله .. مش بنتي .. طبعًا تبقى زيي.

أما «منى» فقالت :

- قلبي يخبرني أنني سأرك كثيرًا يا أمي .. يبدو أن الله إستجاب لدعائي .. أشعر بذلك اليوم.

إحتضنت «حسنية» إبنتها، وتناولوا الإفطار، ورحلت «منى». وفى موقف الميكروباص انطلقت النداءات :

- مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسساااا!

وركبت «منى» ووضعت حقيبتها بجوارها، وكان عقلها مشغولا بالسورة التي ستتلوها غدًا في المدرسة، حتى أنها لم تهتم كثيرًا لتلك المناقشات التي دارت في الميكروباص بشأن الأغاني الصاخبة التي يصر على تشغيلها السائق، لأنها ببساطة كانت لا تسمع غير تردد الآيات التي تذكرها في سرها. وصلت إلى الربع الأول من السورة حين سمعت الصراخ، لم تصرخ، لم تتفوه بكلمة، كما أنها الوحيدة التي لم تشعر بشئ، فعندما إنقلب الميكروباص إرتطمت رأسها وغابت عن الوعي لم تشعر بأى شئ. لم تشعر ..

.....

تذكر العميد «التوني» مشهد تراص الجثث، وظل يتذكر كيف تعجب أن تلك الجثه كانت تبدو وكأنها فتاة نائمة، ومن يراها لا يتصور أبدًا أنها فارقت الحياة، لولا تلك الكدمة الزرقاء حول عينها. دخل عليه «كريم» ليخرجه من أفكاره :

- يا فندم .. واحد بيسأل عن ضحية من ضحايا الميكروباص.

قال العميد «التوني» :

- ضحية إيه ؟! مش الجثث كلها في المستشفى.

قال كريم :

- بيقول إسمه اللواء ماهر وهدان .. وعايز يقابلك شخصيًا.

قال العميد «التوني» وقد إعتدل في جلسته :

- خليه يتفضل.

خطا اللواء «ماهر» متخاذلا، وقد ظهرت عليه أمارات الوهن الشديد وإرتمى على المقعد المواجه لمكتب العميد، فقال له العميد «التوني» بلهجة جادة :

- خير يا فندم ؟ أي خدمة ؟
إبتلع الرجل لعابه بصعوبة بالغة، وقال :
- كوب من الماء من فضلك.
دق العميد «التوني» على الجرس وطلب كوب من الماء سريعًا، والتفت للرجل وهو يتجرع الكوب بصعوبة، وما أن إنتهى من الماء حتى قال :
- هل تأكدتم من أن منى إبنتي كانت بهذا الميكروباص ؟
تعجب «التوني» :
- منى مين ؟!
قال له الرجل بصوت مرتجف :
- منى كانت ترتدي حجابًا.. و...
أطرق «التوني» برأسه وتذكر صورتها وهي تبدو كالنائمة، وقال :
- نعم .. تلك .. ماشاء الله عليها .. رحمها الله.
إنهار الرجل، إنهار فعليًا، لم يتمالك دموعه، لم يتمالك أن إنتحب وبكى كطفل صغير.
(لا أصدق ..) كانت تلك الكلمة الوحيدة التي فهمها العميد «التوني» من ضمن همهمات الرجل المكلوم. ونادى على «كريم» قائلا :
- خذ سيادة اللواء إلى المستشفى ليتعرف على الضحية.
ولم يفهم لما كان يضرب بيده اليمنى على سطح المكتب حتى جرحت يداه !! لم يفهم لما ظل يردد كلمة واحدة :
- متأخر جدًا !! متأخر جدًا !!
ولكن اللواء «ماهر» كان يفهم جيدًا معناها، فقد شعر أخيرًا أن له إبنة، ولكن متأخر جدًا.

شوقي

بقلم : عماد حجاب

لم يكن في القاعة إلا عشرين فردًا معظمهم لم يكن يتابع ما يقال، وبعد مرور حوالي ربع الساعة كان كل منهم ينظر في ساعته مستعجلا الوقت حتى تمضي تلك الساعة الكئيبة التي ما شجعهم على حضورها إلا علبة الطعام والعصير التي توزع في آخر الندوة، غطس أحدهم في كرسيه حتى يداري نفسه ثم همس لجاره :

- الله يخرب بيتك يا زفت الطين أنت .. إيه الصداع ده.

فرد عليه جاره :

- يعنى دي جزاتي يا فرغلي .. ولا خير تعمل شر تلقى .. قلت أظبطك في أكلة حلوة عمرك ما شميت ريحتها.

فرغلي : أكل إيه وزفت إيه ؟! هو أنا دماغي ناقصة .. مش كفاية مراتى يا مندور.

مندور : (مبتسمًا) يا نهار اسود .. هي مراتك بتقولك كلام من ده.

فرغلي : يا راجل !!.. دا أنا كنت طلقتها بالتلاتة.

مندور : اسكت بقى يا نيلة أنت الراجل شافنا.

بالفعل شاهدهم «شوقي» الذي يحتل مكان المحاضر، وبالفعل كان يشعر بأنه لا أحد على الإطلاق يتابع كلامه فضلا عن أن يتحمس له، من أجل ذلك كان عرق الخجل والتعب والتكلف يسيل على

جبينه، فأمسك بمنديل يجفف عرقه به ثم جرع جرعة ماء تنفس الناس فيها الصعداء وقد ظنوا أنه قد أنهى حديثه، ولكن خاب رجاؤهم فقد واصل حديثة أمام الميكروفون.

شوقي : يا إخواني مش معنى إن أعداء الحرية كسبوا جولة إنهم كسبوا الحرب .. أبدًا .. الحرب بينا وبينهم طويلة .. لازم نرويها بالوقت والمال وإن لزم الأمر نرويها بالدم !!

كان قد تكلف كثيرًا في الجملة الأخيرة ونطقها بطريقة مسرحية للغاية وكان ينتظر أن تلتهب الأكف بالتصفيق ولكن لم يصفق إلا إثنان من أتباعه الذين أمرهم بالتصفيق عند تلك النقطة، ولم يتفاعل معهم إلا واحد أو إثنان على إستحياء مما زاد الأمر سوءًا، وواصل «شوقي» حديثه الممل.

شوقي : إن الأمم والشعوب تاريخها لا يقاس بالساعات ولا بالأيام وإنما يقاس بالقرون .. عشان كده إحنا لا ننتظر أن يأتي ما نتمنى في حياتنا ولكننا نصنع غدًا أفضل لأولادنا وأحفادنا .. يعني إحنا الشمعة التي ستحترق لتضئ للأجيال القادمة.

مال «فرغلي» على «مندور» وهمس له :

فرغلي : الله يحرقه بجاز .. هو الراجل ده الزمبلك بتاعه باظ مش عايز يفصل !!

مندور : المشكلة إني سايب الواد إبني الحمار في الدكان .. ربنا يستر وما يخربش الدنيا !

فرغلي : أنا قلت لك قبل كده .. اللي يمشي وراك يروح في توكر.

مندور : يا عم بلا توكر بلا جوكر .. خلاص كلها عشر دقايق ويتنيل يخلص.

فرغلي : ماشي يا أخويا .. إبقى صحيني لما يخلص.

وبالفعل سقطت رأسه على صدره وإرتفع غطيطه، ولاحظ «شوقي» أن «فرغلي» نام بل لاحظ أن حوالي نصف الحاضرين نام، لكنه

المحاضرة يتم تصويرها.
«شوقي» : الليبرالية.
ثم سكت ليستشرف ردود الأفعال، وبالفعل كانت ردود الأفعال ممتازة فقد زاد عدد النائمين !! فرفع صوته حتى يوقظ النيام.
شوقي : الليبرالية يا إخواني هي الحل .. الحرية .. التحررية.
طبعًا لم يكن أحد من الموجودين يفقه شيئًا عن ما يقوله، بل إن معظمهم لا يستطيع أن ينطق كلمة ليبرالية بشكل صحيح أصلا.
شوقي : وفي النهاية أحب أن أكرر أننا مازلنا في بداية الطريق .. وهو كما أشرنا طريق طويل مليئ بالصعاب والمشاق .. ولكننا ماضون فيه .. ولن تردنا عنه أي قوة على وجه الأرض .. فالحرية هي أثمن ما يشتريه الإنسان .. أشكركم على حسن الإنصات .. وإلى اللقاء.
نزل «شوقي» من على المنصة وهو في أشد حالات التذمر والغضب وهو يشعر بزفرات الخلاص تنتطلق من الصدور التي كانت تجلس أمامه، وجرى إليه «يحيى» سكرتيره وحمل عنه حقيبته وخرج به إلى حيث سيارته فركب «شوقي» في الخلف وجلس «يحيى» بجوار السائق الذى إنطلق بالسيارة فورًا.
شوقي : (بغضب) إيه ده يا زفت أنت .. إيه الأوباش اللي أنت جايبهم لي دول.
يحيى : أعمل إيه يا فندم .. كل اللي وجهنا ليهم الدعوات مجوش
شوقي : إزاي ؟! أكيد أنت إتأخرت في توزيع الدعوات.
يحيى : أبدًا والله .. الدعوات إتوزعت من أسبوع كامل.
شوقي : إزاي ده يحصل ؟! أنا أحاضر لشوية عمال ومكوجية وجهلة زي دول.

يحيى : طيب أنا أعمل إيه بس، يا شوقي بيه ؟ كان لازم المحاضرة تتسجل !!

شوقي : أنا أتكلم عن الليبرالية مع فرّان وسمكري ؟ هزلت !!

يداري «يحيى» إبتسامته التي خرجت رغمًا عنه وهو يتمتم " *الله يرحم أصلك* "

شوقي : كلهم ناموا بعد أول عشر دقايق .. واللي صاحي مبرق وعينه حمرا زي ما يكون مبلبع حاجة.

يحيى : و الله يا فندم ما لقيت غيرهم .. كان لازم أنقذ الموقف.

شوقي : طيب كنت إستنضف .. هات ناس متعلمة على الأقل .. يا راجل ده أنا شفت واحد منهم جي بالجلابية ولما حس بالحر راح رافع ديل الجلابية وقعد يهوّي بيه على وشه كأنه قاعد على الترعة.

يحيى : هنروح فين دولقتي يا فندم.

شوقي : (ينظر في ساعته) إطلع على الشيراتون .. مستر مارك مستنيني في الجناح بتاعه.

.....

الدنيا مقلوبة ! لأول مرة تشعر بأن الهواء نفسه معبأ بالتوتر، فيكفي أن تتنفس حتى تتوتر، هكذا شعر العميد «التوني» وهو يضع قدمه داخل مديرية الأمن. الكل يهرول، الكل يظهر على وجهه القلق، إجتماع على أعلى مستوى مع مساعد وزير الداخلية، ماذا حدث ؟! لا أحد يعرف، على العموم يا خبر بفلوس بعد ساعة واحدة سيكون ببلاش. هذا ما دار في عقل العميد «التوني» وهو يتوجه إلى حجرة الإجتماعات التي غصت عن آخرها بكل الرتب الكبيرة بداية من عقيد وحتى لواء، ربنا يستر.

.....

شوقي : الكلام ده مينفعش يا مستر مارك .. وبطل شغل اليهود وإفتكر إنك أمريكي.

مارك : يا مستر شوقي أنا...

شوقي : (مقاطعًا) أنا مش مستر يا حبيبي.

مارك : أمال أنت إيه يا مستر شوقي.

شوقي : أنا جحش يا سيدي .. إستريحت !!

مارك : (مبتسمًا) جحش ؟! لا يا مستر شوقي أنت أكبر من كد ! بس ليه بتقول الكلام ده ؟!

شوقي : مش عارف ليه بقوله ؟! بقول إني جحش عشان صدقتكوا.

مارك : وإحنا ما غيرناش كلامنا اللي إتفقنا عليه معاك هننفذه.

شوقي : (ثائرًا) أنت لسة عايز تضحك عليًا تاني يا مستر مارك ؟!

مارك : أبدًا .. أنت عارف إننا بنجهزك علشان تبقى البيج بوص في المنطقة كلها بعد الدكتور.

كان الدكتور الذي يشير إليه «مارك» هو الرجل الأول في المنطقة الذي تستعمله أمريكا كعصا لتأديب النظام وتغدق عليه من الأموال والعطايا، ولكن نظرًا لأن سنه قد كبر وأصابه داء عضال فإنهم قد فكروا في إستبداله فلم يجدوا خيرًا من «شوقي».

شوقي : بلا بيج بوص بلا بيج دونكي .. كل مرة تسمعني الكلام ده و تضحك بيه عليًا.

مارك : أبدًا .. بس إحنا عندنا أجندة وترتيب ونظام .. كل حاجة لها موعد.

شوقي : يعني أنسى كل اللي وعدتوني بيه.

مارك : أبدًا .. وأوعدك إن الموضوع قرب خالص.

شوقي : طيب .. هاعمل عبيط المرة دي كمان وأصدقكم .. رغم إني عارف إن المتغطي بيكم عريان.

مارك : (ضاحكا) حلوة دي يا مستر شوقي (المتغطي بيكم عريان) إكسيبريشن جديد .. كل مرة أتكلم معاك فيها يزيد رصيدي في اللغة.

شوقي : طيب .. كنت بتقول إنك عايزني في حاجة مهمة.

مارك : طبعًا في حاجة مهمة جدًا بس أنا كنت سايبك تخرج كل اللي عندك عشان تركز معايا في اللي هاقوله.

شوقي : قول يا سيدي.

مارك : أولا الشيك ده عشانك.

يضع «مارك» يده في جيب سترته ويخرج شيك يناوله لـ«شوقي» فيقرأ «شوقي» الرقم المكتوب في خانة المبلغ يجده ربع مليون دولار!

شوقي : إيه ده .. إيه الكرم ده كله .. ٢٥٠ ألف دولار مرة واحدة .. أحبك يا أخضر !!

مارك : (بحزم) إسمع اللي هاقولك عليه كويس وعايزك تنفذه بالحرف الواحد.

شوقي : إنت تأمر يا مستر مارك.

مارك : المبلغ ده مش كله لك.

شوقي : (متأسفا) ليه كده بس ؟!

مارك : إسمعني .. أنا معايا شوية ورق هديهم لك .. عايزك تقراهم وتدرسهم كويس عشان فيهم شوية تكليفات .. و قبل ما أمشي تكون حرقتهم .. مفهوم ؟

شوقي : عادى .. إيه الجديد في كده ؟! ما إحنا كل مرة بنعمل كده.

مارك : بس المرّة دي مش زي أي مرّة.

شوقي : إزاي يعني ؟

هتلاقي إستبيان تملاه .. هتلاقي تعليمات المفروض توزعها على الصحفيين بتوعنا عشان يعملوا أكبر صدى ممكن لحمل الرأي العام على اللي هانقولك عليه .. كل الصحفيين بتوعنا بلا إستثناء ينشروا الأخبار اللي هنقولها لك.

شوقي : أخبار إيه ؟

مارك : هتلاقي كلام عن التوريث .. وكلام عن صحة الرئيس .. وكلام عن البورصة .. وكلام عن تزوير الإنتخابات .. وكلام عن الإخوان المسلمين.

شوقي : وإيه الجديد برضه ما هو ده اللي بننشره على طول.

مارك : المرّة دي هيكون كله مرّة واحدة وبطريقة مركزة وبنغمة تصاعدية تشحن الناس شوية شوية .. يعني خلال السنة دي يكون الموضوع جاب ثماره.

شوقي : على كده المبلغ ده مش كفاية .. إنت طالب شغل كبير أوي.

مارك : فيه شيك زيه كل ثلاث شهور.

شوقي : (بلهفة) إذا كان كده أنا تحت أمركم.

مارك : وعايز كمان تعملي بحث مفصل عن حالة المجتمع ككل .. الناس بتتكلم في إيه .. إيه اللي بيتقال على القهاوي وفي البيوت .. إيه اللي بيدور في الجلسات المغلقة .. أخبار السكر والزيت والعيش والتموين .. أخبار الدراسة إيه وبالذات في الأزهر .. أخبار الولاد المتدينين إيه .. خطب الجمعة بتتكلم عن إيه .. وباقى الكلام موجود عندك في الورق اللي هديهولك.

شوقي : ماشي بس فيه حاجة كده مش مظبوطة.

مارك : إيه ؟

شوقي : إشمعنى بتقولي أنا الكلام .. ليه مطلبتوش من الدكتور ؟!

مارك : مش بقولك إن إحنا بنجهزك عشان تبقى نمبر ون في مصر.

شوقي : نمبر ون إيه يا عم ؟.. إنت هتخليني أصدق.

مارك : بكرة تشوف وساعتها تقول مارك قالي.

شوقي : بس أنا قلقان.

مارك : من إيه بس يا مستر شوقي ؟

شوقي : يا عم قلت لك أنا مش مستر.

مارك : ماشي .. قلقان من إيه ؟!

شوقي : قلقان وخلاص .. حاسس إن أنا مليش ضهر.

مارك : حد برضه يكون شغال مع أمريكا ويقول إن ملوش ضهر.

شوقي : مش عارف .. مش مرتاح لكم .. بصراحة كده حاسس إني شغال مع شوية تعابين.

مارك : ليه كده بس ؟.. أنت شفت مننا حاجة وحشة ؟

شوقي : لسة .. بس حاسس إن الوحش جي في الطريق.

مارك : يا راجل سيبك من كلام المصريين الخايب ده .. خليك مع الكسبان.

شوقي : الكسبان ؟!.. طيب بمناسبة الكسبان .. عملت لي إيه في موضوع الجنسية ؟

مارك : موضوع إيه ؟

شوقي : أيوة إعمل فيها أطرش بقى .. الجنسية .. الجنسية الأمريكاني.

مارك : (متظاهرًا بالتذكر) آه .. الناشيونالتي !!

شوقي : إسم الله عليك .. الناشيونالتي .. مردتش عليّا يعني من ساعة ما كلمتك.

مارك : متقلقش .. Everything is under control

شوقي : مش فاهم ؟

مارك : يعني كله تحت السيطرة.
شوقي : هو أنا بقولك مش فاهم إنجليزي .. أنا مش فاهم قصدك.
مارك : يا مستر شوقي الأمور عندنا لازم تاخد حقها في الدراسة. وكل شئ عندنا زي ما قلتلك بيخضع للأجندة والتوقيت .. أهم حاجة التوقيت.
شوقي : (مغمغمًا) روح يا شيخ .. الله يحرقكم إنتو والأجندة بتاعتكم في يوم واحد.
مارك : بتقول حاجة مستر شوقي ؟
شوقي : بقول يحييني ويحييك ربنا.
مارك : (مقهقهًا) أهي دي جديدة برضه .. إكسبريشن جديد.
شوقي : أهو ده اللي أنت فالح فيه.
مارك : يا مستر شوقي .. إنت شغال مع أمريكا .. عارف يعني إيه أمريكا.
شوقي : ما هو اللي مخوفني إني عارف يعني إيه أمريكا.
مارك : و إيه اللي مخوفك ؟
شوقي : اللي مخوفني إنكم بتلحسوا كلامكم ومعندكوش كلمة شرف.
مارك : (ببرود) وإيه كمان ؟
شوقي : والمتغطى بيكم عريان زي مقلتلك.
مارك : (يضحك) تاني .. عريان في البرد ده !! هاهاها !!

.....

كانت كل كلمة في ذلك اللقاء الذي جمع بين «شوقي» و«مارك» تنقل مباشرة إلى رجال الأمن.

.....

يحيي : ما شاء الله يا فندم .. عيني عليك باردة .. نازل من عند مستر مارك غير ما طلعت خالص.

شوقي : (مبتسمًا) مستر مارك ده راجل عسل .. بقولك إيه يا يحيى.

يحيى : أفندم ؟

شوقي : (ساهمًا) الساعة كام دلوقتي ؟

يحيى : الساعة ثلاثة وتلت يا فندم.

شوقي : عال أوي .. لسة بدري .. اليوم لسة قدامنا.

يحيى : هنروح فين دلوقتي يا شوقي بيه ؟

شوقي : (يبتسم منتشيًا) هتروحوا أنتم وتسيبوني عشان رايح مشوار .. مشوار خاص .. يلا أركن.

ينزل «يحيى» والسائق وقد فهما إلى أين سيذهب،.وإحتل «شوقي» مكان السائق ومضى وتركهما خلفه وأخرج هاتفه المحمول.

شوقي : ألو .. زيزي .. حبيبتي .. أنا جايلك دلوقتي.

زيزي : أخيرًا إفتكرت ؟!

شوقي : هو أنا أقدر أنساك يا قمر ؟

زيزي : ما أنت قدرت واللي كان كان.

شوقي : بقولك إيه .. أنا جايلك في الشقة بتاعة المرج .. عايزك تستنيني عشان النهاردة السهرة صباحي.

كانت هذه الشقة قد أشتراها للأخت «زيزي» ولا يعلم بها أحد غيرهما.

زيزي : مستنياك يا باشا .. ده أنت باين عليك مبسوط أوي.

كانت أمسية سعيدة، وكيف لا وقد قضاها مع «زيزي». ثم في حوالي الثامنة مساءًا إنصرفت «زيزي» لعملها في الملهى الليلي، وإستسلم هو للنعاس اللذيذ، ومنذ أن وضع رأسه على الوسادة لم

تفارق رأسه الأحلام الوردية، رأى نفسه وهو يحلف اليمين الدستورية، ورأى نفسه هو يدخل إلى القصر الجمهورى لأول مرة، ورأى نفسه وهو يأمر وينهى. وفي العاشرة مساءً إستيقظ على رنين الهاتف المحمول.

ترررن ترررن

شوقي : ألو.

مارك : أيوه يا شوقي.

شوقي : أيوة يا مستر مارك .. ليه بتتكلم على النمرة دي ؟

مارك : (بيأس) خلاص يا مستر شوقي كله زي بعضه.

سقط قلب «شوقي» بين قدميه من اللهجة التي سمع «مارك» يتكلم بها.

شوقي : هو إيه اللي كله زي بعضه ؟ يعنى إيه ؟!

مارك : يعنى الموضوع إنتهى .. اللعبة كلها إنكشفت.

لانت بطن «شوقي» وشعر بالمغص وبح صوته.

شوقي : أنت بتقول إيه ؟!

مارك : إسمعني كويس .. مفيش وقت .. أنت صدر ليك أمر إعتقال.

شوقي : (برعب) إيه ؟ .. إعتقال !.. ليه ؟!

مارك : مفيش وقت .. أنا قلت أحذرك عشان تعمل حسابك.

شوقي : وأنتوا هتسيبوهم يعتقلوني ؟

مارك : للأسف الموضوع خرج من إيدينا.

شوقي : والناس اللي عندكم .. فين هما ؟

مارك : للأسف يا مستر شوقي .. الناس بتوعنا بيعتبروك دلوقتي كارت محروق.

شوقي : (بغضب) يا ولاد الكلب .. يعني بعتوني !!

مارك : مش كده يا مستر شوقي .. بس المرحلة دي محتاجة شوية تضحيات.

شوقي : وإيه اللي حصل .. دا أنت من كام ساعة قلت لي كلام غير ده خالص .. إيه اللي حصل !

مارك : للأسف أنا عرفت إن كل اللي قلناه كان متسجل .. يظهر إن الأمن عندكم صاحي أوي .. غير ما كنا متوقعين.

شوقي : (بذعر) يا نهار أسود .. سجلوا كل حاجة ؟.. دي فيها إعدام.

مارك : عشان كده أنا قلت أحذرك .. أنت عارف إحنا مبننساش رجالتنا !!

شوقي : مبتنسوش إيه ؟!.. رجالتكم .. الله يخرب بيوتكم .. وأنت هتعمل إيه ؟

مارك : أنا راجع على الإستيت.

شوقي : راجع فين يا أخويا ؟

مارك : راجع على الولايات .. خلاص أنا دوري إنتهى هنا.

شوقي : (يوشك على الجنون) و إيه اللي حصل ؟

مارك : في أمور إستجدت.

شوقي : أمور إستجدت .. أمور إيه اللي إستجدت .. وأنت راجع أمريكا ليه ؟

مارك : Persona gradient

شوقي : نعم يا أخويا ؟

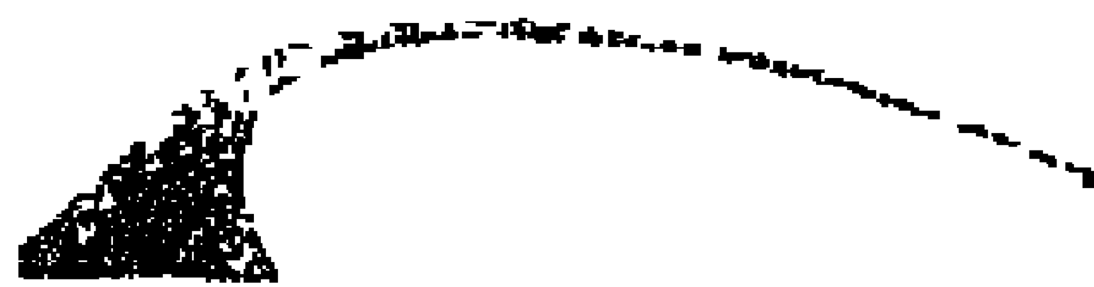
مارك : شخص غير مرغوب فيه .. الوداع يا مستر شوقي .. كان نفسي أودعك .. بس طيارتي كمان ساعة .. سي يو !!

يغلق الخط ويترك «شوقي» وبينه وبين الجنون شعرة، كيف حدث ذلك ؟! كيف حدث !! كيف حدث !!

شوقي : (يحدث نفسه) دا أنا كنت خلاص .. قربت .. إيه اللي حصل .. فين أمريكا .. فين مارك !! الله يخرب بيوتكم .. المتغطي بيكم عريان.
ثم قام من السرير ودار في الشقة كما يدور الحمار حول الرحى.

.....

خرجوا من الإجتماع وكل منهم يحمل تكليفا واحدًا، كل منهم خرج وتحت إبطه ملفاً فيه كل ما يتعلق بـ«شوقي المنيلاوي».
إقلبوا كل حجر وإبحثوا عن «شوقي المنيلاوي». أحضروا «شوقي المنيلاوي» حياً أو ميتاً.
ودخل «كريم» على العميد «التوني» مكتبه فوجده يصلي صلاة الضحى فإنتظر حتى إنتهى.
كريم : تقبل الله يا فندم.
التوني : منا ومنكم .. ها .. إيه الأخبار ؟!
كريم : تمام يا فندم .. شغالين.
التوني : وزعتم نشرة بأوصافه ؟
كريم : و ده محتاج نشرة يا فندم .. مين في البلد ما يعرفش شوقي المنيلاوي !
التوني : على رأيك.
كريم : بس سيادتك إيه رأيك في الموضع ده يا فندم ؟
كان العميد «التوني» أزهد الناس في الكلام عن هذا الموضوع، فلم يكن يحب هذا الصنف من الناس، ولو كان الأمر بيده لأعدمهم في ميدان عام بدون محاكمة، ولكنه كرجل قانون كان مكبلاً لا يستطيع أن يخالف القانون الذي من المفروض أن يحميه لذا فقد إقتضب الكلام مع «كريم».
التوني : رأيي إن الناس دي عايزة الحرق



كريم : بس الناس دي موجودة من زمان يا فندم ومع كده كنا سايبينهم .. إشمعنى دلوقتي يعني ؟

التوني : شغل سياسة يا كريم .. شغل سياسة.

كريم : بس الناس دي بتخرب في البلد فعلا يا فندم والبلد مش ناقصة.

التوني : هي السياسة كده .. مش أي حد يفهمها.

كريم : طيب ما في غيره كتير .. إشمعنى هو يعني ؟!

التوني : بقولك إيه يا كريم .. أنا مبحبش سيرة العالم دي.

كريم : تحت أمرك يا فندم .. أجيب لسيادتك اليومية دلوقتي ؟

.....

شوقي : ألو .. أيوه يا ريس مأمون.

مأمون : خلاص يا أستاذ شوقي .. كله تمام.

شوقي : عال عال .. إمتى بقى ؟

مأمون : بكره الصبح الساعة تمانية تطلع على موقف عبود هتلاقي كشك سجاير إسمه أبناء البحيرة .. هتلاقي جنبه عربية بيجو ٥٠٤ زيتي والسواق إسمه علوان هتقوله إنك من طرفي .. تديله الفلوس وتاخد منه جواز السفر وهيوصلك لحد المينا ويركبك وتسافر بالسلامة.

شوقي : ماشي يا ريس مأمون .. مش عاوزين حاجة تعطلنا.

مأمون : ولا يكون عندك فكرة يا أستاذ شوقي .. إحنا عايزين نرد الجمايل.

شوقي : ماشي يا ريس .. لو في جديد كلمني .. مع السلامة.

زفر «شوقي» في إرتياح وجلس على المقعد وقد بدأ الإطمئنان يغزوه ويحل محل القلق والتوتر والرعب الذي لازمه أيامًا وليالي طويلة، أخيرًا سيفر ويهرب ويترك ذلك البلد بلا رجعة، ذلك

البلد الذي لا يقدر الخبرات، ذلك البلد الذي إذا سرق فيه الغني تركوه و إذا سرق فيه الصغير أقاموا عليه الحد، ثم أسند «شوقي» رأسه إلى مسند المقعد ورحل وراء ذكرياته.

.....

تخرج «شوقي» من كلية الحقوق، ولقلة ذات اليد فلم يكن يملك ثمن شراء الكتب ولا حتى تصويرها، فكان يستعيرها من زملائه الذين أشبعوه سخرية ملأت حلقه مرارة تلازمه حتى الآن. حذاؤه الذي دخل به الجامعة هو نفس الحذاء الذي تخرج وهو في قدمه. تدنت نفسه وقبل العمل في وظائف حقيرة ليقتات، فوالده كان فقيرًا وأمه نشأ وجدها مريضة لا تريد أن تبرأ ولا تريد أن تموت، عمل بعد تخرجه في مكتب محاماة يملكه قريب له من بعيد وكان بحق نعم المعلم له فلم يبخل عليه بشئ من خبراته، علمه كيف يغش عملائه وكيف يستنزف الأرامل والمطلقات وكيف يمص دم الغلابة الذين يظنون أنه هو من سيأتي لهم بحقوقهم السليبة، علمه كيف يماطل ويؤجل القضايا ليطيل مكث القضية في مكتبه ليسحب بها أموالا إضافية، علمه كيف يقبل القضايا التي يعلم أن أصحابها مذنبون ويتحايل على القانون الوضعي الملئ بالثغرات حتى يأتي بالبراءة للمجرمين، بإختصار علمه كيف يكون نصابًا محتالا، ولأنه كان دنيء النفس خبيث الطوية لديه إستعداد فطري للحرام فإنه تلذذ بالعمل معه وتفوق في عمله لا كمحام ولكن كنصاب حتى فاق التلميذ أستاذه، وجاء الوقت الذي إستقل فيه بنفسه. وعلى نفس الدرب سار بل وسار في أعمال أشد خطورة وأكثر دناءة حتى ذاع صيته وإشتهر وأصبح يحمل في حافظته فيزا بنكية يسحب بها أموالا من حساب به مبلغ لا بأس به، ولكن هل يشبع طالب مال ؟ كلا

بالطبع. ركب الموجة التي كانت بمثابة الدجاجة التي تبيض ذهبًا، تعرف على أحد النصابين المودرن الذين أنشئوا المكاتب التي تتعاطى الأموال من أمريكا وأوروبا بحجة أنهم دعاة إلى الديموقراطية وأنهم نوافذ يتنشق منها المواطنون الحرية، إلى آخر هذا الهراء. وأصبح منبرًا من منابر الليبرالة.

" *نحن ندافع عن الحرية والديموقراطية* " هكذا كان شعاره الظاهر أما حقيقته فهو مجزم مرتزق ولكنه يرتدي زي الوطني المخلص الذي يضع روحه على كفه فداء للوطن !! بل والأدهى من ذلك والأمر، أنه عمل كجوسوس على بلادهم، يتقاضى ثمن المعلومات، وبالفعل إتهم أكثر من مرة ولكنه كمحام بارع في المقام الأول كان يستطيع أن يسل نفسه من التهمة كما تسل الشعرة من العجين.

.....

عاد إلى الواقع وحمد الله أنه جاء إلى تلك الشقة التي لا يعرف أحد عنها شئ وإلا كان الآن في قبضة رجال الأمن الذين سيسلمونه بالطبع إلى الحاج «عشماوي» ليلف الحبل حول عنقه السمين، إرتجف للفكرة ونظر في الساعة فوجد أنه لم تبقى إلا ساعة ونصف على موعده، سوف يفر، سوف يهرب بجلده إلى إيطاليا في المركب ومنها إلى سويسرا حيث أمواله التي إكتنزها على مدار عشر سنوات. قام وإرتدى ثيابه ووضع على عينه نظارة شمس ونزل إلى الشارع وترك سيارته في الجراج لأنه من السهل تتبعها، وقف منتظرًا لتاكسي فلم يظفر بواحد حتى شعر بالرعب من فوات موعده، فسار حتى موقف سيارات الميكروباص.

.....

سيد : مؤسسة عبود .. مؤسسة عبود .. مؤسسا!!!!!

ويندفع نحو السيارة رجلان وإمرأة مسنة؛ «شوقى» محامى، «علاء» عاطل، «أمينة» إمرأة مسنة مريضة.

.....

يركب «شوقي» الميكروباص ويجلس فيه ساهمًا محزونًا وقد تبددت أحلامه وتبخرت أمانيه. منذ ساعات كان على وشك الوصول إلى مقعد الرئاسة، وها هو الآن يفر محشورًا في ميكروباص، هل هناك أسوأ من ذلك. أفاق على صراخ الناس من حوله.

.....

رفع العميد «التوني» رأسه إلى «كريم» الذي ما زال واقفا.

التوني : إيه يا كريم .. في حاجة تاني ؟

كريم : أيوه يا فندم في حاجة مش هتصدقها سعادتك.

التوني : خير يا كريم .. أنت يومك كله مفاجآت النهاردة.

إبتسم «كريم» وأخرج له صورة مشبوك فيها صورة بطاقة، أمسك «التوني» بالصورتين وتمعن فيهما.

التوني : (مذهولا) ده من ضمن اللي كانوا في الحادثة ؟!

كريم : تمام سعادتك يا فندم.

التوني : سبحان الله.

كريم : مفاجأة رهيبة يا فندم مكناش نتوقعها.

التوني : فعلاً .. سبحان الله.

...

إسماعيل

بقلم : أحمد مراد

نهض «إسماعيل» بهدوءه المعهود من رقدته وأخذ يتمتم بكثير من الأدعية والأذكار التي إعتاد لسانه على ترديدها بشكل تلقائي، توضأ مسبغًا وضوءه وإنطلق تتساقط منه قطرات الماء ليصلي ركعتين وقت السحر كما إعتاد في كل ليلة قبيل الفجر. ومكث جالسًا على سجادته يردد أذكاره التي يلهج بها في هذا التوقيت دومًا، حتى سمع آذان الفجر فنهض منطلقا إلى المسجد القريب من بيته، ذلك هو «إسماعيل» في كل ليلة وذلك الأمر بالكامل لم يستغرق منه أكثر من نصف الساعة، لكنه كان له أبلغ الأثر في نفسه وروحه فهي السبب المباشر الذي يجعل الراحة تتسلل إلى كل جوانحه، والطمأنينة تسكن قلبه، والهدوء الرائع الذي عُرف به في كل تصرفاته، ومن العجيب أنك لو رأيت «إسماعيل» منذ خمس سنوات ما كان ليخطر ببالك أبدًا أنه هو نفس الشخص. ولنعد قليلا قبيل هذا التغير الذي طرأ عليه.

.....

قام «إسماعيل» من نومه وهو يتثائب بقوة وعلى وجهه تكشيرة لا تطيقها زوجته، التي قالت له :

- يا ستار يارب غطي بقك لتبلعنا.

فقال لها بخشونة :

- إجري يا ولية جهزي الفطار على ما البس.

إنطلقت وعلى محياها السخط الشديد من كل شئ محيط بها، زوجها المكفهر الوجه دائمًا، الرافض لكل ما حوله، العاجز عن توفير أبسط مقومات الحياة لهم، وبسبب عجزه هذا فهو يخرج كل إنفعالاته الرافضة والساخطة والغاضبة على الجانب الضعيف في حياته، زوجته وأبنائه، دومًا يهينهما ويشتمهما ويهون من قدرهما ويظن في نفسه أن زوجته هي سبب كل مشاكل العالم بأكمله، وأنه بدونها وبدون أولادها لكان ملكا لا ينقصه شئ. فضربه لأولاده الصغار لا ينقطع، وصوته العالي هو ما يقض مضطجع كل جيرانه بسبب عدم إنقطاعه، كانت زوجته تتعجب أشد العجب من كل ذلك فجارهم «حسين» في نفس ظروفه تقريبًا، بل لديه ثلاثة أولاد وليس ولدين مثله ولم تسمع له صوتًا، وزوجته دومًا باسمة وهادئة،

بل إنها تذهب لتستعير منها الكثير، فما السر في كل ذلك الغضب الواقع عليه من الله.

عندما تكونين مع الله .. فهو يضع بقلبك طمأنينة وهدوء رائعين .. جربي الصلاة وقراءة القرآن والاستغفار.

قالتها لها جارتها ببسمتها الجميلة التي لا تذهب عن وجهها. وحينها فكرت فعلا أن تجرب هذه الوصفة، بدأت تلتزم بالصلاة وقراءة القرآن الكريم، ورغم تعتعتها وقراءتها المتكسرة إلا أنها بالفعل بدأت تشعر بأنها تفعل شيئًا جميلا في حياتها، وكل يوم بعد ذهاب «إسماعيل» إلى العمل مسرعًا ومتأخرًا كعادته كانت تنهي بسرعة ما ورائها من طبيخ وغسيل ومسح للأرضيات وتذهب مسرعة إلى جارتها لتساعدها بسرعة إن كان لديها ما تبقى من عمل، وتجلس معها لتسمع منها الكثير والكثير من

المواعظ وتعاليم الدين. وسبحان الله. فعمل البيت الذي كان لا ينتهي أصبح لا يستغرق منها سوى سويعات ببركة عجيبة لا تعرف مصدرها، وكلمات جارتها أصبحت تنزل على قلبها بردًا وسلامًا، وصلت للهدوء والسكينة التي كانت تنشدها، وأصبحت الصلاة لها متعة وقراءة القرآن بلسمًا، والإستغفار دينًا، قالت لجارتها :

- أسألك الدعاء لزوجي بالهداية.

فقالت لها :

إطردي الشيطان من بيتك وسوف تكن الهداية بإذن الله ومن عند الله.

قالت :

- وكيف هذا ؟

فأخبرتها بأن يظهر أثر الطاعة عليها في تصرفاتها معه، بالطاعة له في غير المعصية إمتثالا لأمر الله عز وجل، وتحمل المعاناة منه بقلب صابر وراض دون تذمر ولا إعتراض، وتوجيه الأبناء نحو الصلاح وتعويدهم كل يوم قبل ذهابهم لمدارسهم وحين عودتهم، يقبلون يده ويسألونه هل هو راض عنهم أم لا، رغمًا عنه كل هذه التغيرات ستكون ذات أثر فعال عليه. ورغم كل هذه الوصفات، إلا أن «إسماعيل» كان ساخطا غاضبًا رافضًا لكل شيء، بل إنه كان يشعر بالمقت نحو جارتها هذه، وقال لها لو رأيتك تحدثيها أو تذهبين لها سيكون طلاقك. فما كان منها إلا أن تقيم الليل وتدعو الله له بالصلاح والتقوى، ولم تكن أبدًا تدري شيئًا عن المشكلة الكبرى التي يعاني منها، فرغم راتبه الضعيف في العمل صباحًا. وراتبه الأضعف في عمل المساء، إلا أن الحياة كانت تسير به كما تسير بغيره وليس هذا هو السبب الحقيقي وراء توتره وعصبيته الدائمة، فالمشكلة أكبر من ذلك بكثير، إنها الشقة الضيقة التي

مهدد بفقدها تمامًا والمبيت بأولاده في الشارع وبلا مأوى، وكل ذلك بسبب أخيه «حمدي» ذلك الشاب الفاسد رد السجون الذي إبتلاه الله به كأخ له

فالشقة هي الورث الوحيد من أبيهما، وكان قد أنهى أمرها معه وأعطاه مبلغًا من المال على أن يتنازل عنها، وحدث التنازل بالفعل

ولكن أخاه الفاسد واللص وبائع المخدرات تمكن من سرقة هذا التنازل ويهدده الآن بطرده من الشقة أو سداد مبلغًا أكبر من السابق، وهو لا طاقة له بشئ، ولم يكن ينقصه هذا الأمر ليحطمه، لولا زوجته وأسرته ما كانت هناك مسئولية ملقاة على عاتقه، ولكان قد أصبح ملكا يملك كل زمام أموره، لن تفرق معه أن يبيت على باب أحد المساجد أو أن يأكل أي طعام، أما تلك المسئولية الكبرى الملقاة على عاتقه بزوجته وأبنائه فهي تهد من عزيمته وتذهب بكل قواه، كان يرى زوجته ويتندم أشد الندم على اليوم الذي تزوجها فيه، ويرى أبنائه ويسأل نفسه ما فائدتهم في حياته؛ مجرد مصدر لتعبه وإرهاقه وألمه وتحمل مسئولية لا قبل له بها، ياليته ما أنجبهم ولا رآهم. ورغم أن زوجته قد تغيرت تغيرًا جذريًا وبدأت في أن تخفف عنه كثيرًا وتحاول حجب أولاده عنه بمتاعبهم وتركه للتفرد بذاته إلا أنه على غير المتوقع زاده هذا الأمر سخطا ونقمة فهي تشعره بأنه شيطان، ولا أحد فيهم يعلم بأنه أكبر ضحية، وكأنما أراد الله عز وجل أن يظهر له حقيقة الأمور، ففي يوم الجمعة أصرت زوجته على أن يخرج معهم الى إحدى الحدائق القريبة والمجانية، فرفض بعنف وهي تتعلق به وتقسم له بأن هذا اليوم سيكون بداية التغيير في حياته، ولا تدري بأي تغيير سيحدث وأمام إصرارها الغير مبرر والعجيب

وافقهم، لتقع الكارثة، كانو يقفون على جانب الطريق ودخل هو ليشترى علبة سجائر له بأحد المحلات وليخرج على صوت مكابح إحدى السيارت بصريرها العنيف وصرخات المارة العالية وخرج ليجد مشهداً لم يفارق مخيلته حتى آخر لحظة، زوجته وولديه ممزقين وغارقين في دمائهم أمام عينيه، لم يشعر بنفسه وهو يرتمي فوقهم ويجمع أشلائهم بيديه ويضمها إلى صدره وبكائه الحار والعالي ونهنهته التي تمزق نياط القلوب، وكم كانت زوجته صادقة لأبعد مدى بأن هذا اليوم هو بداية التغيير، وياله من تغيير. فجأة أصبحت شقته خاوية عليه وسادها سكون عجيب، أصبحت كالقبر المظلم، أين ضجيج أولاده الذي كان يتذمر منه هو الآن أصبح يتوق إليه، كم يشتاق لأصواتهم، كانت شقته رغم كل شئ تموج بالحياة، أما الآن فهو يشعر بكل موات الدنيا، وتوالت عليه كل ذكرياتهم أمام عينيه لتمزقه. وأخيرًا، زوجته الحبيبة التي تزوجته رغم فقره وتحملت منه كل سيئ وقبيح وفي النهاية كانت تسعى للتخفيف عنه وإشعاره أنه ليس وحده، وهو لا يقدرها ولا يعطيها حقها، ولم يدرك قيمتها الحقيقة إلا بعد فقدها، كان يرى بأن أسرته هي سر شقائه وعنائه في الدنيا، وعلم الآن أن الحياة الحقيقة لا تكون إلا بالمعاناة والألم والسعي للتخلص منهما والمثابرة، فالنجاح لا طعم له لو جاءك على طبق من ذهب وبلا أرق، أما أجمل وألذ وأروع إحساس فهو الوصول إلى الهدف بعد تخطي كل الصعاب، نظر إلى جانب غرفة نومه حيث كان يستيقظ ليلا فيجد زوجته ساجدة وصوتها يلهج بالدعاء له فينتقلب في فراشه ويعطيها ظهره ولا يعيرها أي اهتمام ولا كأنه سمع أو رأي شيئًا، فشعر بكل حنين وحب الدنيا لها ومزق قلبه شوق أحاط به لكل خلجة من خلجاتها فقام وأرتمي على موضع سجودها، وأخذ يبكي بكاءاً مرًا لأجلها وأخذ يدعو

الله عز وجل أن يجمعه بها مرة أخرى، وظل على حاله هذا قرابة الساعة حتى إنه ذهب في نعاس عجيب في موضعه هذا وإذا بها ببسمة وضاءة جميلة تأتيه في منامه، وتقول له :

- مش هتصلي معايا بقى يا إسماعيل ؟

فقام من رقدته منتفضًا وهو يشعر بسعادة الدنيا كلها أن رآها في منامه، وعلى الفور توضأ وأنغمس في صلاته هذه ساعات وساعات حتى مطلع الفجر، وطلع عليه الصبح وهو يشعر بميلاد جديد وعجيب، فما كان منه إلا أن ذهب ليطرق باب جاره «حسين» الذي ما إن فتح له حتى إرتمى «إسماعيل» على صدره وأجهش في البكاء، وقال له :

- إنقذني وعلمني كل أمور ديني.

وقد كان، ومن يومها و«إسماعيل» قد نذر أن يقيم الليل قبيل الفجر بلا إنقطاع إلا حين العجز عن ذلك عجزًا تامًا، وبعد أن كان يتمنى الموت كل يوم؛ فهم المعنى الحقيقي للحياة وبدأت الطمأنينة والراحة في جعل عبق جديد لحياته وبدأ كل يوم وليلة في الدعاء لزوجته وأولاده، حتى كان هذا اليوم وهو ذاهب لعمله صباحًا باكرًا

إستقل الميكروباص وفتح مصحفه كعادته ليشغل أوقات فراغه بالعبادة، وإذا به يستمع لصوت جاره الراكب وهو يقول :

- يارب خدني بقى وريحني.

فتعجب «إسماعيل» من ذلك الدعاء العجيب، لماذا يعتقد الجميع بأن الموت سيكون فيه الراحة وليس من الممكن أن يكون بداية لنوع جديد من الشقاء، وياله من شقاء فقد يكون بلا نهاية، فأي عنت أو ألم في الدنيا حتمًا له حد وينتهي، أما الآخرة ففيها كل شئ أبدى بلا حد ومنتهى، فنصحه قائلا :

- يا أخي لا يجوز شرعًا أن تدعو على نفسك بالموت والهلاك مهما كانت معاناتك فالله أعلم هل الموت راحة لك أم بداية الشقاء.

وكانت هذه بداية حديثه مع «محسن» والذي كان بسببه توبته السريعة والعجيبة، وكم شعر «إسماعيل» بكل راحة الدنيا، فلأول مرة يكن ذا أثر إيجابي وفعال، وحينما إرتفعت الصرخات كانت بسمته الوضاءة تملأ وجهه وبغير سبب، ولم يشعر بأي صوت ولا أي كلمة وإنما كانت صورة زوجته وأولاده هي كل ما يملأ مخيلته.

.....

دخل «كريم» على العميد «التوني» وهو متردد جدًا، فنظر إليه العميد «التوني» نظرة متفحصة وقال له

- ماذا ورائك يا كريم هذه المرّة.

هز «كريم» رأسه غير مصدق وقال :

- قضية ميكروباص الدائري تقريبًا قد إنتهت.

فقال له العميد «التوني» :

- نحن منذ خمسة أيام كل يوم نكتشف بها مفاجأة كبرى وكأن هذا الميكروباص قد حمل بين جنباته كل مفارقات الكون واختزنها لنا .. ولكن ما زلنا في مرحلة التحقيق ولم يصلنا التقرير الفني عن حالة السيارة رغم أن فحص دماء السائق أظهرت أنه كان تحت تأثير المخدرات بالفعل .. ولكن يجب إستكمال كافة الإجراءات للنهاية.

قال له «كريم» :

- إليك كبرى المفاجآت يا سيدي.

نظر إليه العميد «التوني» متسائلا، فأشار «كريم» إلى الجندي الواقف على الباب ليدخل شابًا أشعثًا إلى حجرته، وما إن دخل هذا الشاب حتى إنفجر باكيًا وبصوت متهدج قال :

- لقد كان يعلم .. والله كان يعلم.

كان المشهد عجيبًا ومحيرًا للغاية أمام العميد «التوني» فقال لـ«كريم»:

- ما هذا ؟!

فقال «كريم» :

- هذا شاب جاء ليعترف بأن حادث هذا الميكروباص كان مدبرًا وأنه خلف كل ذلك.

شحذت الجملة كل إهتمام العميد «التوني» فقام واقفا وأمسك بتلابيب ذلك الشاب وقال له :

- من أنت وما إسمك ؟

فقال له الشاب ببكاء مرير :

- أنا حنكش يا باشا.

إشمأز العميد «التوني» من الإسم وقال له :

- ما هو إسمك الحقيقي ؟

فقال له :

- حمدي حمدي يا باشا .. أنا أخو الشيخ إسماعيل الذي مات بالميكروباص وقد دبرت كل هذا لكي أتخلص منه وأحصل على الشقة وحدي بعد صراع خمس سنوات لنهبها منه بلا طائل فتقربت من ذلك السائق المعتوه عبده وأعطيته المخدرات بسعر أقل من السوق وغبت عنه مدة وبعدها حينما شاهدت إسماعيل بعيني وتأكدت من ركوبه للسيارة ألقمت عبده السائق حبة تسبب الهلاوس قبل خروجه بسيارته على الطريق

الدائري المزدحم وأنا أعلم بأن أخي إسماعيل يستقل سيارته كل يوم في نفس الموعد قبل ذهابه لعمله وخططت لكل هذا لأتخلص منه وفقط.

شعر العميد «التوني» بكل غضب الدنيا وبلا شعور إرتفع كفه ليهوى بصفعة هائلة إرتجت الحجرة كلها على أثرها، وهو يقول بصوت هادر :

- قتلت ستة عشر نفسًا لأجل شقة أيها الشقيّ ؟!.. أنت تستحق الإعدام ألف مرة.

قال حمدي :

- نعم سيدي إقتلني وأفعل بي ما تشاء فأنا أستحق كل ما تراه.

إنعقد حاجبا العميد «التوني» وهو يتسائل إذا كانت نفسه فعلا شريرة وأقدم على جريمته هذه بدم بارد ودون أدنى إعتبار لأي مقدسات ولا محرمات ولا مشاعر إنسانية، فما الذي جاء به هكذا باكيًا نادمًا معترفا بكل شئ ؟! وخرج سؤاله مباشرة إلى «حمدي» متسائلا عن ما دار في باله، فأخرج له «حمدي» ورقة من جيبه، وقال له بسبب هذه يا باشا، أمسك العميد بالورقة وبدأ يقرأ ما بها وإذا بها وصية «إسماعيل» والتي كان ينصح ويعظ فيها الجميع بأن الموت قادم وهو سيف مسلط على رقاب جميع العباد ويجب الإستعداد له ويأمرهم بعدم فعل المنكرات، وأخيرًا توجه بالحديث لأخيه «حمدي» فقال له،،

أخي الحبيب حمدي ..

والله إني أحبك حبًا كثيرًا، لأنك من لحمي ودمي وربطنا الله عز وجل برباط مقدس لا ينفصم، فقد خرجنا من رحم واحد ومن صلب رجل واحد، فأنت أخي رغم كل شئ .. أخي الحبيب، هذه

الشقة تم تسجيلها بإسمك منذ وفاة زوجتي وأبنائي، وكل راتبي الذي أتحصل عليه والذي كنت أشكو منه سابقا أصبح يفيض عن حاجتي فأنا أستخدم منه الكفاف، ونصف المتبقي صدقات والنصف الآخر أدخره لك عند جاري «حسين» وستعلم به فقط عند وفاتي .. أخي الحبيب، أنا أدعو الله عز وجل أن يجعل وفاتي سببًا لهدايتك كما كانت وفاة زوجتي وأبنائي سببًا في ذلك معي، فأستحلفك بالله العلي العظيم أن تأخذ العظة من موتي وأن تفكر في أن لك ربًا يجب أن تخشاه، ولقد سامحتك في كل ما فعلت وما ستفعل، وإذا كنت حقا تريد أن أرضى عنك رضا كليًا فتذكر الله عز وجل وفقط.

لم يتمالك العميد «التوني» زمام دموعة التي سالت رغمًا عنه وهو يقرأ هذه الكلمات التي خرجت من مكنون قلب طاهر وصادق، لأن الإخلاص كان يفيض منها، فقد إخترقت قلبه وعقله وروحه كما فعلت بحمدي صاحب كل البلايا، فنظر لـ«حمدي» وقال له :

حتما مصيرك الإعدام يا حمدي على جريمتك الشنعاء هذه .. فلا تخيب رجاء أخيك فيك .. فلتستغفر ربك ولتبدأ بالتوبة من الآن.

وأشار لـ«كريم» بأن يأخذه للخارج، وجلس على كرسيه خلف مكتبه، ووضع رأسه بين يديه وهي تموج بأفكار عجيبة.

الموت ذلك الكائن العجيب الذي يعيش بيننا وكلنا نحاول الهرب من واقعه ونخشاه، لماذا لا نستعد له في كل لحظة، فكلنا لا يدري متى ستكون ساعته الأخيرة، ولا يدري كيف ستكون.

أدب جماعي

هز كريم رأسه غير مصدق وقال :

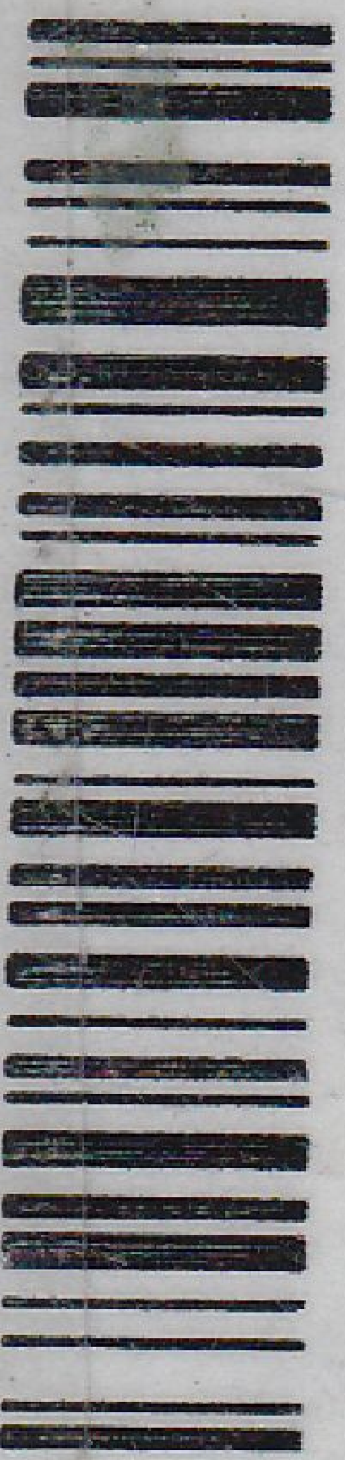
- قضية ميكروباص الدائري، تقريبًا قد إنتهت .

فقال له العميد التوني :

- نحن منذ خمسة أيام كل يوم نكتشف مفاجأة كبرى وكأن هذا الميكروباص قد حمل بين جنباته كل مفارقات الكون وإختزلها لنا .. لكن ما زلنا في مرحلة التحقيق، ولم يصلنا التقرير الفني عن حالة السيارة، رغم أن فحص دماء السائق أظهرت أنه كان تحت تأثير المخدر بالفعل .. ولكن يجب إستكمال كافة الإجراءات للنهاية .

قال له كريم :

- إليك كبرى المفاجآت يا سيدي





دار مير للنشر والتوزيع والترجمة